الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة-الجزائر

المجاهد بوعلام باقي

من معركة التحرير إلى البناء والتشييد

-تضحية وعطاء-

بمناسبة تخرج الدفعة الثلاثين

09 شوال 1438 هـ - 03 جويلية 2017م

معلومات الاتصال بالجامعة:

عنوان الجامعة:

ص.ب 137 شارع قدور بومدوس - قسنطينة - الجزائر

الهاتف:

031.92.21.34

031.92.21.99

031.92.26.94

031.92.26.95

الفاكس:

031.92.21.79 — 031.92.21.41

العنوان-الإلكتروني:

E-mail:pédagogie@univ-emir.dz

موقع الجامعة في شبكة الانترنيت:

www.univ-emir.dz

الرفعة الثلاثون

المجاهد بوعلام باقي

من معركة التحرير إلى البناء والتشييد

- تضحية وعطاء -

المشرف العام:

- مدير الجامعة أ.و. السعيد وراجي

رئيس لجنة القراءة والتحكيم:

- الأستاذ: عزيز حداد

لجنة القراءة والتحكيم:

- أ.و. اسماعيل سامعي
- أ.و. عمارة علاوة
- و. عيسى بوعافية
- و. رياض بن الشيخ الحسين

الإشراف التقني والإداري:

- السيد: صال عادل — متصرف مستشار ورئيس مصلحة
- السيد: ربعي الشريف — متصرف ورئيس مصلحة
- السيد: شرتي عبد المليك — متصرف ورئيس مصلحة
- السيدة: علاق صبرينة — مساعد مهندس من الصنف الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

سورة الأحزاب: 23

كلمة السيد مدير الجامعة

أ.د. السعيد دراجي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عندما طرحت فكرة تسمية الدفعة الثلاثين للطلبة المتخرجين لهذه السنة 2016-2017 كالعادة من كل سنة، حيث يتم اختيار لهذا الغرض شخصية وطنية أو عالمية لها بصماتها في تاريخ الأمة؛ فلم تكن مرت حينها على وفاة المجاهد والوزير الأسبق، إلا بضعة أشهر منذ وفاته يوم 16جانفي2017 رحمه الله.

وقد تم التوافق على تسمية هذه الدفعة باسمه نظرا لمكانته العلمية والتاريخية في هذا الوطن الغالي، ولشخصيته المتميزة، التي صقلتها الظروف التربوية والتعليمية والنضالية التي مرت بها، فهـو –ماضيا–ذلك الطفل الذي حفظ القرآن منذ نعومة أظافره، ثم غرف من المدرسة الرسمية بتلمسان، ثم المدرسة الثعالبية بالعاصمة، وتخرج منها عام 1943 مشبعا بالعلوم الشرعية فتعلم بها الفقه والفرائض والتوحيد والنحو والعروض. ثم شرب من مدرسة جمعية العلماء المسلمين ليصبح فيما مديرا لمدرسة غليزان ثم مدرسة سطيف، ناهيك عن جهاده الأصغر إبان الثورة التحريرية وجهاده الأكبر في بناء الجزائر.

كما انتخب بالمجلس الشعبي الوطني، وعين وزيرا للشؤون الدينية ووزيرا العدل، فهو بحق يستحق هذه المكانة التي بادرت بها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بتسمية دفعة الطلبة المتخرجين الثلاثين لهذه السنة الجامعية 2016-2017 باسم " **المجاهد بوعلام باقي من معركة التحرير إلى البناء والتشييد – تضحية وعطاء–** "، لأنه منذ نعومة أظافره شرب من منبع الدين الإسلامي وفي كبره سخر نفسه لخدمة هذا الدين والوطن.

ولتكن بذلك جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية أول جامعة أو هيئة علمية تبادر وتكرم هذا المجاهد والوزير الأسبق بوعلام باقي. فجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية تتشرف بتسمية دفعة الطلبة المتخرجين الثلاثين لهذه السنة الجامعية 2016-2017 باسمه.

لقد دأبت الجامعة على إنجاز كتاب كل نهاية سنة جامعية تكريما لدفعة الطلبة المتخرجين في مختلف تخصصات الجامعة وتهديه للشخصية التي تحمل اسم الدفعة، وعليه فإن كتاب هذه السنة الخاص بالوزير الأسبق بوعلام باقي ساهمت فيه نخبة من الأساتذة. وهو لفتة اعتراف وتقدير وتمجيد له، ولحياته التي أفناها في خدمة العلم والوطن.

إنني جد مسرور أن نحتفي اليوم بتخرج الدفعة الثلاثين ونحن نعيش أجواء الاحتفال بالذكرى الـ 55 لعيد الاستقلال والشباب يوم 05 جويلية 2017 التي لم يفصلنا عنها إلا يومان فقط.

فالشكر موصول لأسرة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية من أساتذة وطلبة وموظفين على ما قدموه من مجهودات طلبة السنة الجامعية

وباسمهم أتقدم بالتهنئة لطلبة الدفعة الثلاثين المتخرجين، والأوائل منهم خاصة، راجيا من الله عز وجل أن يسدد خطاهم وأن يكونوا خير سفراء للجامعة في حياتهم العلمية والمهنية.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل الذين أسهموا في هذا الكتاب من أساتذة ومشرفين ومنظمين.

والله ولي التوفيق

قسنطينة في: 2017/07/03

تقديـــم

الأستاذ عزيز حداد

نائب مدير الجامعة للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والتكوين المتواصل والشهادات وكذا التكوين العالي في التدرج.

تجدد جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية العهد والوفاء في حفل نهاية السنة الجامعية 2017/2016 بتسمية دفعة الطلبة المتخرجين الثلاثين (30) باسم: "**المجاهد بوعلام باقي من معركة التحرير إلى البناء والتشييد – تضحية وعطاء –** "، وهذا استمرار لما بذله رجال ومفكرون وعلماء وسياسيون في هذا الوطن الحبيب عبر التاريخ، كما أنه يضاف لأسماء الدفعات المتخرجة التي كانت تحمل أسماء قامات علمية ورموز وشخصيات وطنية عالمية بارزة، ابتداء بـ:- الانتفاضة الفلسطينية 2001 - الشيخ أحمد حماني(2002م) – الشيخ الفضيل الورتلاني (2003م)– الرئيس الراحل هواري بومدين(2004م) – الأستاذ مالك بن نبي(2006م) - الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم(2007م) – الأستاذ يحي بوعزيز(2008م) - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي(2009م) – الشيخ أحمد بن يوسف أطفيش قطب الأئمة(2010م)- الشيخ عبد الرحمن الجيلالي(2011م)- الشيخ الشهيد العربي التبسي (2012م)- الرئيس الشاذلي بن جديد المجاهد المناضل(2013م)- الأستاذ عبد الرحمن شيبان المجاهد المربي المصلح الأديب (2014م) - الدكتور أحمد عروة المجاهد الحكيم المفكر الأديب (2015).-من أعلام قسنطينة في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية (2016).

ومن باب الاعتراف بفضل هؤلاء الأعلام والقامات والرموز الذين نقشوا أسماءهم في سجلات بأحرف من ذهب وتركوا بصماتهم ونتاجهم الحضاري عبر العصور،فقد ابر قلم واجتهد مجموعة من الأساتذة الأفاضل بالكتابة عن المناضل والمدرس والمجاهد والسياسي والوزير ومساهم بعمله وفكره في تشييد وطنه في هدوء وصمت الأستاذ بوعلام باقي –رحمه الله- ، ومع ذلك لا يمكن الإحاطة بجميع جوانب حياته وأعماله ومواقفه العملية والفكرية،

وإنما يفتح المجال للكتاب والباحثين للتعمق أكثر بالإضافة إلى ما كتب. وهذا أقل ما يقدم له اعترافا لمجهوداته في خدمة العلم والمجتمع و الوطن والأمة والدولة الجزائرية والبشرية.

وكما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: **"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث، صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له"**. فنحسبه – رحمه الله– من الذين لم ينقطع عملهم.

في الأخير مصداقا لقول صلى الله عليه وسلم : "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" فإننا نشكر كل من أسهم في انجاز هذا الكتاب من أساتذة وذكاترة وباحثين، وخاصة أ.د شكيب أرسلان نجل المجاهد بوعلام باقي ، الذي كتب عن ملامح من سيرة ومسيرة والده الكريم – رحمه الله – وزودنا بكتاب أبيه: "لقمانيات" الذي طبعه المجلس الإسلامي الأعلى سنة 2005، وهو غني بالحكم والعبر والمواقف والآراء (عدد 57) التي تستوجب الدراسة والتأمل والتحليل والتأصيل والنقد، وبعض صور الراحل، دون أن أنسى موظفي الجامعة. فجزاهم الله الجميع خيرا. كما نهنئ الجميع وخاصة طلبة الدفعة الثلاثين والمتفوقين منهم وأولياءهم، ونرجو منهم أن يكونوا في مستوى رسالة الجامعة و أهدافها، ورسالة الذين ضحوا بالنفس والنفيس خدمة لهذا الوطن العزيز وقيمه، وأن يكونوا خير خلف لخير سلف، خاصة ونحن في غمرة الاحتفالات: عيد الفطر المبارك ودفعة التخرج الثلاثين، وعيد الشباب والاستقلال ، ثمرة لصبر وتضحيات جسام، وعزيمة في طريق العلم والعمل و الوفاء بالعهد.

وكما قال الشاعر:

وما من كاتب إلا سيمضي ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تـراه

حمى الله أمتنا ووطنا من كل كيد وشر، تحيا الجزائر والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

وفقنا الله الجميع وسدد خطانا في خدمة البلاد والعباد، وأعيادكم وأفراحكم سعيدة.

حياته وشخصيته

محطات في حياة المجاهد بوعلام باقي (1922-2017)[1]

أ.د. شكيب أرسلان باقي

- نجل المجاهد بوعلام باقي-

السلف الصالح والمنشأ:

ولد بوعلام باقي بمدينة البيض الواقعة بالجنوب الغربي للوطن في ليلة النصف من رمضان سنة 1340هـ الموافق لسنة 1922م ونشأ في أسرة متواضعة لكنها كريمة المحتد، شريفة المنبت، إذ كان من بين أجداده الولي الصالح والعالم المجتهد والمجاهد في سبيل الله، قدوة بجدهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاختار الجد الأول، **سيدي معمر بن سليمان بن عالية** (1332م- 1420م)، العبادة والدعوة في ربوع الجنوب الجزائري الغربي على رغد العيش في تلمسان حيث حل قادما من المشرق. أما حفيده، **سيدي سليمان بن أبي سماحة** (1461م-1539م) المكنى بأبي داود، كان دارسا في الأندلس ثم مجاهدا ضد الأسبان، وما خرج منها إلا بعد أن سقطت غرناطة في أيديهم. وترك فاس ثم تلمسان حيث كان مدرسا، وفضل العودة إلى مسقط رأسه ومحيط أسرته، فقام فيه بنشر العلم وتكفل فيه بالأيتام الذين فتك بآبائهم الطاعون بقرية الشلالة الظهرانية، الواقعة بين مدينتي البيض والعين الصفراء على بعد مائة وأربعين كيلومترا عن البيض. وأصبح له صيت يذكر شرقا وغربا، يقصد مدرسته العلماء والراغبون في العلم وينتفع بكرامته القريب والبعيد.

وخلفه في ذلك إبنه **سيدي محمد بن سليمان** (1489م-1568م) وحفيده **عبد القادر بن محمد** المكنى **بسيدي الشيخ** (1533م-1616م) الذي حصل على مرتبة غبطه عليها الكثير في الجزائر والمغرب تاركا قصيدته الصوفية المسماة بالياقوتة.

---

[1] هذا النص مستوحى إلى حد كبير من مذكرات الراحل

وتوالت من ذريتهم الأجيال لا يفضل بعضهم الآخر إلا بما رزقه الله من صلاح، إلى أن قام **الأمير عبد القادر بن محي الدين** في وجه الفرنسيين المحتلين رافعا لواء الجهاد، فانضم أحد الأجداد إلى جيشه وهو **سيدي قدور بن عبد الباقي**، من مواليد سنة 1798م بالشلالة الظهرانية، وأصبح من بين خنقائه على المنطقة الغربية من الصحراء ثم على منطقة الأغواط وبسكرة (1838)، إلى أن نال درجة الاستشهاد في 22 سبتمبر 1843. وقام بعده أبناء عمومته من أولاد سيدي الشيخ بثورتهم العارمة المشهورة التي توجها أحسن تتويج **سيدي بوعمامة** (1833-1908). وإن كان بوعلام باقي يفخر بشيء في حياته فبهذا الذي خص الله به أسرته على مر القرون وتعاقب الأجيال، فقد خدمت الدين مخلصة وجاهدت في سبيل الله متفانية، وتركت للأبناء والأحفاد تاريخا مجيدا.

من براءة الطفولة إلى الوعي السياسي:

- **أيام الطفولة**

ترعرع بوعلام باقي محاطا بالعناية الأبوية فكان والده السي محمد بن عبد القادر باقي يمارس الحلاقة والحجامة ولا يأخذ عليهما إلا ما يقدمه إليه الزبائن (وكان البعض منهم لا يقدم شيئا، مكتفيا بالدعاء له بالخير) ورغم ذلك، كان المدخول يكفي لمعيشة الأسرة المكونة من أربعة أطفال وأمهم، وما يضاف إليهم من الأقارب والزائرين الذين كان البيت لا يخلو يوما منهم على طول السنة. ولم ينس بوعلام ما كانت تحيطه به أمه من عناية وما كانت تكنه له من حب، حيث بقي حنانها يرعاه حتى بعد أن خرج من عهد الطفولة والتحق بتلمسان للدراسة وعمره خمس عشرة سنة[1].

[1] ومن بين ما كان يحكي عن أمه أنها في السنة الثالثة من الحرب العالمية الثانية وقد اشتدت أزمة العيش وعمت الندرة نسجت له من خليط الصوف والوبر قماشا جعلت منه كسوة فرنجية أعجب بها كل من رآها وخصوصا وإنها من نسيج أمه.

- من المدرسة البلدية إلى الثعالبية

لما بلغ سن الدخول إلى الكتاب كان من بين الوافدين عليه، فحفظ القرآن الكريم ثم دخل المدرسة التابعة للبلدية (école communale) حين بلغ السادسة من عمره فنال منها ما أهله للدخول إلى المدرسة الرسمية بتلمسان سنة 1937؛ وكان الدخول إليها بعد النجاح في المسابقة، فكان من الناجحين، وقضى بها الأربع سنوات متربعا على المرتبة الأولى، مما جعله ينجح في الامتحان النهائي. وكانت الحياة حافلة بالأحداث، خاصة وأنها جاءت بعد تأسيس حزب الشعب الجزائري من قبل مصالي الحاج، وهو من مواليد تلمسان، فاحتضن بعض الشباب فكرته وصاروا يروجون لها، كما جاءت بعد إنشاء دار الحديث التي كان يشرف عليها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وطبعا فإن طلبة المدرسة الرسمية كانوا منسجمين تمام الانسجام مع المجتمع التلمساني، يعيشون أحداثه ويحيون حياته، فكان منهم المناضل في صفوف حزب الشعب وكان منهم المشارك في نشاط مدرسة دار الحديث. ولقد تعرضت المدرسة إلى عدة هزات أثناء الأربع سنوات التي قضاها بها وذلك بسبب الإضرابات التي كان يوحي بها المنتمون إلى الحزب أو إلى الجمعية كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا، فكان الطلبة يشعرون بنوع من الاعتزاز أمام تلك المواقف التي كانت تبرز شخصيتهم وتبرهن عن وطنيتهم.

وقد وقع له، في العطلة الربيعية لسنة 1939، وعمره يناهز سبعة عشر عاما، بمسقط رئسه بين الأهل بمدينة البيض التي كانت تخضع للحكم العسكري كغيرها من مدن الجنوب، فمر أحد الحكام بالشارع فلم يسلم عليه السلام العسكري الذي كان لزاما على السكان أن يؤدوه للحاكم حين يمر بقربهم، فأشار عليه بأصبعه أن تعال، ولما اقترب منه سأله لماذا لم يسلم فقال "أنا مدني ولست عسكريا كي أسلم"، فقال

"هل أنت من هذا البلد؟" حيث كان مرتديا لباسا إفرنجيا واضعا على رأسه طربوشا من الطرابيش الطويلة التي كانت تميز الشباب المناضل في ذلك الوقت، فقـــال "نعم وأنا طالب في تلمسان"، فقال "إذن أنت من الشبان "الأتراك"، ستعرف إذن من أنا"، ونادى الشاوش الذي كان يتبعه وأمره أن يأخذه ويدعه في السجن لمدة يومين، فكان لا يخرج منه إلا نهارا للعمل في البستان العمومي تحت أعين أقربائه والملأ من الناس. وهكذا عرف بوعلام السجن لأول مرة، فضاق صدره حنقا وحزن لذلك والداه. وعاد إلى تلمسان بعد قضاء أيام العطلة حاملا حقده معه على الحكم الجائر الذي فرض نفسه على البلاد فيقهر العباد ويعيث في الأرض الفساد.

ثم جاءت الحرب العالمية فكانت ظروف العيش بالمدرسة تعيسة جدا لاسيما وأن النظام الداخلي بها كان لا يشمل إلا السكن في غرف تتسع لثلاثة أو أربعة طلبة، أما الأكل فكان عند أحد الطباخين بالمدينة وكانت ندرة المواد الغذائية مبررا لما كان يقدمه إلى الطلبة الذين كانوا يتحملون رداءة النوعية بسبب الجوع الرهيب الذي يعانون منه، مع ذلك كانوا يقضون الأيام في حو شبه عائلي يعلقون على الأحداث مبتهجين بما لحق القوات الفرنسية العاتية من انكسار. وكانت الأيام التي تكبد فيها الجيش الفرنسي أمام الجيش الألماني محل سخرية بعثت في نفوسهم اليقين بأن الغول الذي كان يرعب الجزائريين كان من خشب وأنه لا يستحيل عليهم إذا عقدوا العزم في يوم من الأيام أن يقهروه، وهكذا نفذت الروح الوطنية إلى قلوب الكثير من الطلبة.

مرت السنوات الأربعة التي قضاها بتلمسان ماكثا فيها فلا تتخللها إلا فترات العطل التي كانت له فرصا للسفر إلى البيض لزيارة الوالدين أو إلى المغرب في العطلة الربيعية لزيارة أخواله الأربعة وكان يقطن أحدهم بفاس والثلاثة الآخرون بالرباط. أما عطلة عيد الفطر فكان يقضيها بمعسكر مع خالته وعائلتها.

وفي شهر جوان 1941 أنهى دراسته بمدرسة تلمسان بعد نجاحه متحصلا على المرتبة الثانية في مسابقة نهاية السنة الدراسية، وكان النظام يقتضي أن يتوفر المتخرجون من المدارس الرسمية الثلاث الموجودة بالجزائر وتلمسان وقسنطينة على شرط الدخول إلى القسم العالي المفتوح بالمدرسة الثعالبية بالجزائر، وقد سمي فيما بعد معهد الدراسات العليا الإسلامية.

المدرسة الرسمية بتلمسان سنة 1941

انتقل بعدها من مدرسة تلمسان إلى المدرسة الثعالبية بالجزائر وكانت الحياة في العاصمة بالنسبة إليه تختلف تماما عما عاشه بتلمسان حيث الضجيج لا يفارقها من الفجر إلى الليل. وكان يبدو له أن الناس كانوا منشغلين بأنفسهم مشغولين عن الناس. ففي العاصمة قضى دراسته العليا وبما أن هياكل الاستقبال بالمدرسة الثعالبية كانت محدودة كان طلبة القسم العالي يلجأون إلى الإقامة بالفنادق، وكانت المنحة الشهرية المخصصة لهم تغطي ما يستلزمه الأكل في مطعم أهلي والسكن بفندق متواضع، غير أنهم اضطروا إلى السكن بداخلية المدرسة بسبب العمليات الحربية التي تعرضت لها العاصمة إثر غزو الجيش الأمريكي ومن كان حليفا له للمدينة، إذ دارت المعارك جوا وبحرا وبرا على مرأى من السكان. وقد أفرغت المدرسة من الطلبة

لوجودهم بجوار أحد المقرات العسكرية ولم يبق بداخليتها إلا من كان يسكن ذووه في الجنوب حيث المواصلات صعبة. وشيئا فشيئا عاد الهدوء إلى المدينة فعرفت نشاطا سياسيا ملحوظا تقوم به أطراف مختلفة. فالفرنسيون كانوا منقسمين إلى تيارين يتنازعان على السلطة، أحدهما تابع للجنرال دي غول (De Gaulle) والثاني تابع للجنرال جيرو (Giraud). أما السكان الأهالي فقد وحدوا صفوفهم وجمعوا كلمتهم حول بيان ضمنوه مطالبهم الشرعية سلموه إلى القيادات المختلفة التي أصبحت على رأس البلاد، وهكذا تأسست **جمعية أحباب البيان والحرية** من مناضلي حزب الشعب الجزائري وأتباع فرحات عباس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ وعم نشاطها البلاد كلها وطبعا، فقد شمل هذا النشاط طلبة المدرسة الثعالبية. فكان الطالب بوعلام باقي من بين المنخرطين في الجمعية مستلهما بمبادئها الإصلاحية، عاملا في صفوفها طول المدة التي قضاها بالمدرسة. وفي أواخر جوان 1943 غادر العاصمة متوجها إلى البيض بعد نجاحه في الامتحان النهائي. وبعد يوم كامل قضاه بالقطار وهو في منتهى السعادة، مشتاقا ليزف الخبر إلى الوالدين، وصل إلى محطة بوقطب التي تبعد عن البيض بمائة كيلومتر، فركب الحافلة العمومية مع المتوجهين إلى البيض مثله، فاقترب منه أحد الأقارب الذي كان بينهم وقال له "عظم الله أجرك في والدة رحمها الله"، ولما سأله متى كانت وفاتها قال له قبل يومين: فشاء القدر أن تزهق روح والدته حين كانت نفسه تهتز فرحا ونشوة بالنجاح الذي توج مساره الدراسي، فتغير فرحه إلى حزن عميق ونسي كل ما كان يشعر به من بهجة وسرور إذ كانت أمه أعز عنده من كل مخلوق، ولم يكن يتوقع أن تغيب عنه في ظرف تمت فيه الفرحة بالنجاح، فلا تقاسمه تلك الفرحة وكان يود أن تكون أسعد الناس بنجاحه. وهكذا بقي أياما بلياليها لا يجد طعما للحياة.

الهجرة إلى المغرب الأقصى:

ترك بوعلام البيض بعد أشهر قليلة متوجها إلى المغرب الأقصى ومتخليا عن المنصب الذي عُيّن به في مدينة المحمدية. فنزل ضيفا على خاله بمدينة فاس وكان ذلك في مستهل السنة الدراسية 1943، وبما أن المغرب الأقصى كان في حاجة إلى إطارات في التعليم والترجمة وكانت معه شهادة نجاح في الدراسات العليا، قدم ملفا للتعليم بفاس وآخر للترجمة بالرباط. فقبل ملفه الخاص بالترجمة وعُيّن بالمراقبة المدنية بالقنيطرة التي تبعد عن الرباط بنحو ثلاثين كيلومتر. وبعد فترة قليلة، قرر ترك منصبه مفضلا أن يعود إلى التعليم بسبب ما رآه وهو ترجمان من الظلم المسلط على المواطنين المغاربة والقهر الذي كانوا يلقونه حتى من الذين كان من واجبهم أن يحموهم ويحفظوا لهم كرامتهم. وفي سبتمبر 1944 عُيّن معلما للغتين العربية والفرنسية بمدرسة وادي زم جنوب شرق الدار البيضاء على بعد نحو 155 كم، وفي أفريل 1945 أصيب بحمى التيفويد وبقي بمستشفى الدار البيضاء بين الحياة والموت ما يزيد على الأسبوعين. وما أن مرت أيام من فترة النقاهة حتى ترددت الأخبار عن نهاية الحرب العالمية والحوادث الأليمة التي كانت عدة مدن بالجزائر مسرحا لها وحالته الصحية متردية جدا حيث صار رهين الفراش غير قادر على المشي إلا بمشقة وبخطى جد محدودة. وفي تلك الظروف الأليمة قرر أن يجعل حدا لغربته ويعود إلى وطنه فيشاطر قومه محنتهم ويشاركهم نضالهم مثلما كان يفعل قبل ذهابه إلى المغرب.

العودة إلى البيض والنضال في صفوف حزب الشعب الجزائري

– تشكيل النواة الأولى لحزب الشعب الجزائري وبعث الكشافة الإسلامية

وفي مستهل شهر أكتوبر 1945 وصل إلى البيض. وما كان شهر نوفمبر 1945 حتى جاء إلى البيض القيادي في حزب الشعب، محمد يوسفي، متنكرا في زي بدوي قاصدا السوق، نزل ضيفا على المناضل عبد السلام مناد وأخبر بوعلام باقي بأنه

اختير لوضع النواة الأولى لحزب الشعب الجزائري بمدينة البيض. وبالفعل تم تشكيل الخلية على فرعين أحدهما للكبار يتولاه بنفسه والآخر للشبان يتولاه مناد وحسني. كما كلف بوعلام باقي ببعث الكشافة الإسلامية وتأسيس أول فرع لها وهو فوج بودرقة الذي أصبح الأستاذ الشيخ بوعمران محافظا محليا وبوعلام باقي مرشدا له ومحمد بن عبد القادر حميتو رئيسا للجنة. وسرعان ما كان رد فعل الحاكم العسكري الذي استدعى السيدان الشيخ بوعمران ومحمد بن عبد القادر حميتو محاولا بكل الوسائل إبطال المشروع ، تارة بالتهديد وتارة بالحيلة، طالبا أن يبقى الفوج تابعا للآباء البيض، فكان ردهما بأن للكشافة الإسلامية وجود قانوني في الجزائر ولها الحق في تأسيس فروع في مختلف جهات الوطن، فلم يجد الحاكم العسكري حجة لمنع الفرع من الوجود واكتفى بالتحذير. ثم انضم إليهم قادة راشدي كقائد لقسم الجوالة الذي كان معظمهم من مناضلي الحزب الذين شجعهم بوعلام على الانخراط في الفرع الكشفي فتم لهم ذلك بحكم وجوده مرشدا حتى أصبح قسم الجوالة يعد الكثير منهم أمثال حسني ومحمد بن الحاج وأحمد حميتو وأحمد تبون وأحمد بالطاهر ومحمد بن محال والماحي حجيج وقادة بومدين... وكان بوعلام باقي يحرص في الدروس التكوينية التي كان يقدمها للكشافة على غرس الروح الوطنية في النفوس وتحفيظهم الأناشيد الوطنية والكشفية. لم تمر سنة على الفرع حتى أصبح له نشاط كشفي كبير حيث استطاع أن يوفد البعض من عناصره للمشاركة في المخيم الوطني الذي أقيم بتلمسان والمشاركة في المخيم الكشفي العالمي الذي أقيم بفرنسا. وهكذا أصبحت مدينة البيض تشع بنشاطها على المدن والقرى المجاورة لها. والحقيقة أن هذا النشاط الكشفي كان يندرج في مخطط أوسع وضع في اجتماع للخلية القيادية للحزب. ولما تبين أن وجوده قد يضر بالفوج الكشفي، ابتعد عنه حفاظا عليه لاسيما وأن ما آلت إليه الأحداث قد كشف للناس حقيقة انتمائه السياسي وجعل السلطة

العسكرية تسخر أعوانها وعيونها لمعرفة الكثير من تحركاته وما يقوم به من نشاط وقد أصبح ذلك النشاط علنيا بعد تأسيس **حركة الانتصار للحريات الديمقراطية** (MTLD). فابتعد عنه على شرط أن يبقى الفوج ينتهج نفس الطريق وأن لا يبعد أحد من عناصره الجوالة حيث كان يرى وجودهم في الفوج الكشفي امتدادا لوجودهم بالخلايا السرية للحزب، وخلفه في الإرشاد الكشفي أخوه الجيلاني وكان مناضلا في **الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري** (UDMA) أي من أتباع فرحات عباس.

– تكليف بوعلام باقي بمراقبة وتنسيق فروع الحزب بالجنوب الغربي

لم تنقطع صلته بالفوج الكشفي بل بقي يتابع نشاطه من خارجه وبقيت علاقته بمسيريه كما كانت من قبل وساعدته هذه الحالة على القيام بنشاطه السياسي غير مقيد بأي ارتباط قد يحد منه سواء في السرية أو في العلن لاسيما بعد أن أصبح مكلفا بمراقبة وتنسيق فروع حزب الشعب بالجنوب الغربي. وكانت المناطق في ذلك الوقت سبعة يمثلها حمو بوتليليس عن وهران وبن بلة عن مغنية وبن عمار عن تلمسان والزاوش عن تيموشنت ومادون عن معسكر وبالأحول عن مستغانم وبوعلام باقي عن الجنوب الغربي وكان يشرف على الغرب الجزائري عضو من القيادة العليا للحزب المعروف باسم السي جبار واسمه الحقيقي السعيد العمراني وكان محمد يوسفي أحد مساعديه وقد خلفه في المسؤولية الجهوية لحزب الشعب ولد حمودة ابن عم العقيد عميروش.

1947، سنة حافلة بالأحداث

- **تعينه مسؤولا عن فرع البيض للحزب**

طلب استخلافه في مهمة مراقبة فروع الحزب بالجنوب الغربي نظرا لتعيينه مدرسا (بمتوسطة ابن باديس حاليا) في أكتوبر 1946 خلفا لأستاذه السيد قدور بن النعيمي الذي ارتقى بتلمسان، فتقرر أن يكون المسئول عن فرع البيض

للحزب. وهكذا أضيفت مهمة التدريس إلى مهامه الحزبية والكشفية، ولكن لم يكن يتأخر على واحدة من مهامه ولا يتوانى في أدائها، وكان يعطي كل واحدة حقها فلا تشغله واحدة على الأخرى، وقد ساعده على ذلك أنه كان يعيش عازبا في سكن منفرد ولا يحاسبه أحد على غيابه أو تخلفه ليلا، حيث لم يتزوج إلا في السابع من فبراير 1947.

وفي شهر أوت 1947 نزل عنده ضيفا مكرما المناضل أحمد بن بلة الذي كان في مهمة حزبية في إطار المنظمة السرية، واتصل بالمناضلين الذين تم اختيارهم للانتماء إلى هذا التنظيم السري الذي أنشئ داخل حزب الشعب وكان في مقدمتهم حسني إدريس.

- **المشاركة في الانتخابات البلدية (1947)**

كان موعد الانتخابات البلدية في سائر أنحاء الجزائر شهر نوفمبر وبالنسبة لمدينة البيض الخاضعة للحكم العسكري كانت انتخابات "الجماعة" وكان حزب الشعب من المرشحين إلى جانب الاتحاد الديمقراطي للبيان والأحرار الذين كانوا من أتباع أحد الأئمة الضالين المضللين المسمى محمد بن عبد القادر. وكان بوعلام باقي يقود قائمة المرشحين من حزب الشعب وكان ابن خالته محمد بن عبد القادر حميتو يقود قائمة المرشحين من الاتحاد الديمقراطي للبيان. كانت الحملة الانتخابية ساخنة جدا واشتدت المعركة بين مرشحي حزب الشعب ومرشحي البيان، أما الأحرار فكانوا محل سخرية بين الناس وتم كشف عمالتهم للسلطة وانحرافهم عن الدين الذي يتظاهرون به تحت شعار جمعية الفرض والسنة. وفي أحد المهرجانات التي نظمها حزب الشعب بالمناسبة في قاعة الحفلات البلدية هاجم بوعلام الطرفين فقال في حق الأحرار "إن الفرض والسنة يدعوهم لو كانوا يعقلون إلى الالتفاف وراء من يسعى لتحرير البلاد وهي مسلمة من الرق الذي تريد دولة كافرة أن تتركها فيه لا أن

يزاحمونا ويعينوا عدونا الكافر، وأين هم من السياسة وهم جهلة تقدم بهم العمر إلى حد الشيخوخة فأولى لهم أن يلزموا صلاتهم ويعمروا بيت الله فيغفر لهم ذنوبهم.

وبعد الدور الأول من الانتخابات الذي لم ينجح فيه أحد بالأغلبية نظم دور ثان وتمت مفاوضات مع قائمة البيان دامت طوال الأسبوع أسفرت على قائمة ائتلافية ضد المرشحين الأحرار الذين ساندتهم الإدارة بكل ما كان لديها من قوة ومن إغراء بالمال وغيره، ونجحت القائمة الائتلافية فأصبح ابن خالته محمد بن عبد القادر حمتو رئيسا للجماعة وأصبح بوعلام باقي مساعده الأول.

وفي نفس الشهر كتب له أن يرزق بمولود اختار له اسم شكيب أرسلان تفاؤلا وتخليدا لاسم ذلك الزعيم العربي الذي رفع لواء النضال التحرري عاليا وكان نعم المرشد لمصالي وغيره من زعماء الأحزاب الوطنية في الدول العربية.

مع ابنه سنة 1948

انتخاب نواب المجلس الجزائري (1948)

تم الإعلان عن تنظيم انتخاب لنواب المجلس الجزائري في أوائل فيفري من سنة 1948 فرأى حزب الشعب أن يكون بوعلام باقي مرشحه بمقاطعة الجنوب الوهراني التي تمتد من مدينة البيض ونواحيها إلى حدود المالي وموريتانيا والصحراء

الغربية جنوبا وهي منطقة خاضعة لحكم العسكري، وتضم ملحقة البيض وملحقة العين الصفراء وملحقة المشرية وملحقة تندوف وملحقة أدرار ودائرة بشار وما يليها من ملحقات. وكان ينافسه في الانتخاب مرشحان آخران هما الأستاذ حمزة بوبكر بتزكية من الولاية العامة بالجزائر وتأييد من الجهات العسكرية بالمنطقة بناء على التوجيهات التي تلقتها من الولاية العامة، والباش آغة بن ميلود الخلادي الذي أحرز على تأييد الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري زيادة على تأييد بعض السلطات المحلية بالمنطقة، وقد حدد إجراء الانتخابات في 4 أفريل 1948. فأقيمت مهرجانات الحملة الانتخابية في مختلف المدن التابعة لمقاطعة الجنوب بداية من شهر مارس. فكان يركز في حمته على دور القياد والباش أغوات في قمع الشعب وتسليطهم عليه من قبل الاستعمار. ومن بين ما قاله في حملته بمدينة العين الصفراء ردا على ما يفعله محافظ الشرطة وأعوانه من استفزاز وتهديد الناس بأسواطهم لتخويفهم "**إن ما يقومون به وما يفعلونه لا يردنا عن سبيلنا، وإن أرادوا أن يقبضوا علينا فزينة النساء الخلاخل وزينة الرجال السلاسل، وإذا أرادوا أن يدخلونا السجون فالشعب يعيش في سجن دائم منذ دخول الاستعمار وسوف يكون النصر حليفنا أحبوا أم كرهوا**". كما توجه إلى مدينة سعيدة للمشاركة في استقبال مصالي الحاج وحضور المهرجان ومرافقته إلى ما تقرر أن يزوره في مقاطعته الانتخابية. فانعقدت المهرجانات بالمشرية والعين الصفراء والبيض وكان لها نجاح تام.

وكان الفوز حليف بوعلام باقي في جميع النواحي حيث حصل على 16500 صوت بينما لم يحصل الباش اغة الخلادي وحمزة بوبكر مجتمعين سوى على 3500 صوت، فخسر الباش اغة الخلادي المعركة حتى في العين الصفراء مقر سلطته التي كان يظن أنه لا يزاحمه فيها أحد وخسر حمزة بوبكر المعركة حتى في الأبيض سيدي الشيخ حيث تحكم أسرته فلم يحصل سوى 19 صوتا، ويحكى أن الحاكم استدعى

أخاه القائد الشيخ فقال له إن أسرتك وحدك تزيد على الخمسين نفرا بين الإخوة والأولاد دون الخدم فكيف لا يحصل أخوك سوى 19 صوتا؟ فلم يجد كيف يجيب دفاعا عن نفسه. ولكن لم ترض الإدارة الاستعمارية بما فرض عليها ورأت أن تنتقم. فشنت حملة من الاعتقالات فألقي القبض على مجموعة من المناضلين بالبيض بدعوى التمرد. وقد وقع في جهات أخرى من التراب الوطني مثل هذا أو أكثر فقد قبض على مرشحين من الحركة وزج بكثير من المناضلين في السجون...

وتم إعلان الفوز لتسعة نواب من الحركة من بين الستين مرشحا ويقال إن الفائزين كانوا في الحقيقة نحو الخمسين، والتسعة الفائزون هم أحمد بودة ومصطفاي شوقي والحاج شرشالي والجيلالي مبارك وبالهادي الأمين ومصطفى فروخي وموسى بوالخروع والعربي دماغ العتروس وباقي بوعلام. وموسى بوالخروف والعربي دمغ العتروس من بين الذين ألقي القبض عليهم فأفرج عن دماغ العتروس بعد فوزه في الانتخاب وبعده الشرشالي بقي سجينا حتى محاكمته.

وفي العشرين من أفريل تم تنصيب المجلس وتعيين أعضاء مكتبه. وبعد أن أتم المجلس الجزائري تعيين مكتبه وأقر قانونه الداخلي أعلن رئيسه ختم الدورة واستئناف العمل يوم 3 جوان.

المتابعة القضائية ثم السجن ببربروس ومعسكر وتازولت (لمبيز)

وفي أوائل ماي أبلغته قيادة الحزب بأن الإدارة وضعت له ملفا للمتابعة القضائية وأنها ألقت القبض على العديد من المناضلين بالمشرية وبشار. فقرر أن يختبئ وابتعد عن كل الأماكن التي كان يعرف بها حتى لا تكتشفه الشرطة، فلا ينام إلا حيث تقرر القيادة ولا يزور الأقارب بالعاصمة حيث كان يسكن الحاج علي حميتو وآخرون وهكذا أصبح ينتقل من مكان إلى مكان فلا ينام ليلتين في نفس المكان. وبعد قضاء شهر في الاختفاء قرر المسؤولون أن يحضر استئناف الأشغال

بالمجلس كي يكون لإلقاء القبض عليه صدى فيستغل سياسيا. وفي 3 جوان 1943 وفي حدود الثالثة مساء ذهب إلى المجلس رفقة أحمد بوزيان الذي كان عضوا بمكتب اتحاد الطلبة التابعين للحزب وقد أخذ معه معطفه بحجة عدم ذهابه إلى ثكنات بوعلام كيف يأخذ معه معطفا والطقس حر. فدخل المجلس وبقي بوزيان ينتظر خارجه. وأثناء الأشغال تقدم إليه حاجب المجلس وطلب منه الخروج لأمر خاص فعرف أن الشرطة تنتظره. وبعد توقف الأشغال للاستراحة خرج من القاعة وبعد العربي دماغ العتروس ليكون شاهدا على ما يقع، فتم إلقاء القبض عليه في المدخل السفلي أمام المدخل الرئيسي للمجلس من قبل محافظ الشرطة تورون (Touron). فرآه أحمد بوزيان فتقدم إليه وأعطاه المعطف قائلا "خذ هذا المعطف فما أحظرته إلا من أجلك فينفعك في سجنك"، وقاده محافظ الشرطة إلى المحكمة التي كان لا يفصل بينها وبين المجلس سوى الشارع. وبعد الغروب بقليل مثل أمام وكيل الجمهورية لدى أبلغه بأن القبض عليه تم بناء على طلب وكيل الجمهورية لدى محكمة معسكر وتطبيقا للقانون ولم يخبره بالتهمة التي سلطت عليه. وبعد ما أظلم الليل قاده محافظ تورون ومن كان معه من الشرطة في سيارة تابعة للاستعلامات العامة إلى سجن بربروس في أعلى القصبة حيث وضع في زنزانة العزل لا يرى فيها شمسا ولا يرى فيها أحدا إلا وجه الحارس من نافذة التفقد. وعلم الأحول حسين ومحمد يزيد وغيرهم أنه موجود بالزنزانة المذكورة فاتصلوا بمدير السجن لإخراجه منها غير أن المدير تعلل بأنه في انتظار النقل إلى سجن معسكر. بعد ذلك تمكن الرفقاء من إيصاله الخبر بأن القبض عليه كان له صدى كبير في البلاد وحتى في فرنسا، ذلك أن دماغ العتروس بمجرد استئناف جلسة المجلس الجزائري طلب الكلمة لأمر استعجالي وأخبر رئيس لاكيار(Raymond Laquière) والنواب بأن محافظ الشرطة ألقى القبض على النائب باقي بوعلام داخل حرم المجلس عندما كان يتحدث معه بالفناء الأسفل. فغضب

الرئيس لاكيار غضبا شديدا قائلا "إننا لا نرضى أن يتحول مجلسنا إلى محل عمل للشرطة وإنني سأتصل حالا بالوالي العام لاستفساره عما وقع والمطالبة بإطلاق سراح زميلنا". وبعد المكالمة الهاتفية عاد الرئيس فأخبر المجلس بتعذر إطلاق سراحه في الحال وأنه طلب من الوالي العام أن تكون معاملته متميزة نظرا لصفته. فوعده "بالنظر في القضية"... وبعد ثلاثة أيام قضاها في الزنزانة تم نقله إلى معسكر بمرافقة محافظ الشرطة تورون وضابطين للشرطة من مصلحة الاستعلامات العامة. وعند الوصول إلى معسكر في حدود الرابعة مساء سلم إلى وكيل الجمهورية الذي أخبره بالتهمة الموجهة إليه فعلم من خلال استنطاقه من طرف قاضي التحقيق أنه متهم مع العَرَبي الحاج بالتسبب في خلق الفوضى والمساس بالأمن العام وانفرادا باختلاس أصوات الناخبين. ثم نقل إلى السجن حيث التحق في غرفة بمناضلين آخرين سبقوه إليها منهم خليفة بن عمار والطيب الثعالبي ومحمد بن احمد حميتو والميلود حبيبي والعَرَبي الحاج وغيرهم. وفي الثامن عشر من جوان 1948 كانت محاكمته مع العَرَبي الحاج وحضر المحامي محي الدين شرقي مدافعا عنهما. وبعد مداخلة الاتهام لوكيل الجمهورية الذي طالب بسجنه سنتين وبدفع الغرامة رافع الأستاذ شرقي فحاول إقناع المحكمة بأن ما في الملف كان لا يستوجب حتى القبض عليه لكنها الروح الانتقامية التي اتصفت بها الإدارة هي التي جعلته يقف بين يدي قضاة المحكمة وأنه بريء. فطبق الحكم عليه بثمانية أشهر سجنا على التهمة الأولى وثمانية أشهر أخرى على الثانية مع إدماج العقوبتين في بعضهما ورفعت الجلسة المهزلية.

وعاد إلى السجن ومنه استأنف قضيته ضد الحكم الصادر إلى محكمة الاستئناف التي كانت موجودة بالجزائر العاصمة. وبقي يعيش مع رفاقه حياة السجن بمعسكر إلى أن يتم نقله إلى سجن بربروس في انتظار المحاكمة الثانية. فتقرر أن يكون في زنزانة 48 مع سعيد العمراني وعبد الرحمن طالب وكان عدد المساجين السياسيين

[illegible] في ذلك الوقت يزيد على المائة، وبقي يعيش مع رفاقه بريدومن [illegible] محاكمته. وفي أكتوبر 1948 تم إلغاء مرسوم رينيي (décret Régnier) القاضي [illegible] القضائية لسبب التحريض على الفوضى، فأطلق سراح كل المناضلين الذين [illegible] عليهم بمقتضاه بمجرد مثولهم بالمحكمة بحضور المحامي زيدي الذي اتفق معه [illegible] الحزب من أجل الدفاع عن كل المساجين السياسيين في الاستئناف أو أحد [illegible] في تلك المهمة المحامي أوقواق والمحامي عبد القادر الحاج علي وهما [illegible] بالحزب، حتى أصبحت المحاكمات مجرد إجراء. ولما جاء دور باقي بوعلام [illegible] الحاج العَرَبي تغيب المحامي زيدي الذي كان معروفا بعلاقاته مع الإدارة، متعللا [illegible] أصابه في الأنف وحضر المحامي عبد القادر الحاج علي ولم يكن له آنذاك [illegible] بين المحامين فسأله هل يقبل المحاكمة أو يطلب التأجيل بسبب مرض الأستاذ [illegible] فأخ الحج العَرَبي على قبول المحاكمة ووقع ما لم يكن أحد ينتظره، فغيرت [illegible] إلى المساس بأمن الدولة وحكم عليه بسنتين سجنا وعشر سنوات نفيا وستين [illegible] وذلك غرامة مع حرمانه من منصبه في التدريس، وكانت محاكمته بتلك الكيفية [illegible] لغيرها من المحاكمات الخاصة بالأفراد الذين كانت الإدارة لا ترغب في [illegible]. وهكذا حكم على خليفة بن عمار بثلاث سنوات سجنا وعلى الطيب [illegible] بسنتين بعد أن غيرت التهمة الموجهة إليهما وحكم على محمد يزيد بخمس [illegible] سجنا بعد تغيير التهمة. وفي 15 سبتمبر 1949 تم نقله إلى سجن تازولت (لمبيز) الذي يبعد بنحو عشرين كيلومتر من مدينة باتنة، حيث تعرف على سجين [illegible] يسمى محمدي سعيد (الذي كان ضابطا ساميا في اللفيف العربي الذي كونه [illegible] الحسيني الفلسطيني والزعيم العراقي رشيد علي كيلاني إلى جانب الجيوش [illegible]) فأصبحا لا يفارقا أحدهما الآخر. وفي 3 ديسمبر 1949 تم تسريحه من السجن [illegible] التخفيض العام الذي منحه الجنرال دي غول (De Gaulle) لسائر المساجين

على أساس تخفيض بستة أشهر للمحكوم عليهم بسنتين إلى خمس سنوات. بعد الإفراج عاد في أواخر ديسمبر 1949 إلى مسقط رأسه.

العودة إلى التدريس والنضال (1950–1956)

بما أنه عزل من منصبه في التدريس أصبح يعطي دروسا خاصة لأولاد بعض الأقارب مقابل أجر بسيط وكانت زوجته خياطة ماهرة فكانت تساعده على تكاليف العيش. وكي لا يبقى بلا عمل وعالة على أبيه وأخيه، تقدم بطلب توظيف إلى رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. توسط له الحاج عني حميتو لدى صديق الشيخ البشير الإبراهيمي فعُيّن مدرسا بمدرسة تحت رعاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة ندرومة في أول أكتوبر 1950، فالتحق بها تاركا زوجته الحامل في شهرها الثامن. وظل يوقع تأشيرة دفتر النفي لدى الشرطة.

وما أن مرت بضع أيام على عمله بالمدرسة حتى صار عرضة لمناورات رجال الدرك الذين كانوا يأخذونه أحيانا من المدرسة عنوة من بين التلاميذ وعلى مرأى من الناس ليرهبوا التلاميذ ويخوفوا أولياءهم. فاتصل رئيس جمعية المدرسة السيد عُزالي بالشيخ البشير الإبراهيمي في الموضوع، وفي نهاية شهر أكتوبر طُلب منه الالتحاق بغليزان لإدارة مدرستها التي كانت تابعة أيضا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وفي عطلته سنة 1951، اشترى باسمه الشخصي قطعة أرض بالبيض، لمشروع إنجاز مدرسة وأوقفها للمسجد، تحايلا على النظام الذي لم يسمح بإقامة أي مشروع يخدم اللغة العربية. فجمع مال بنائها من بعض عائلات البيض من بينهم الحاج محمود حميتو والحاج عبد الرحمن بالسايح، وتم البناء في وقت قياسي. وفي نوفمبر 1952 دشنت المدرسة ، وعُيّن الشيخ معطى الله مديرا لها ولكن أغلقتها السلطة الاستعمارية من أول فتحها فظل الشيخ معطى الله يتقاضى راتبه ولا يعمل مدة زادت على السنة.

ثم تقرر نقله مديرا لمدرسة الفتح بسطيف ابتداء من سبتمبر 1953 وهذه المدرسة من أهم مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وكما وقع له في ندرومة صار عرضة للمضايقات والاستفزازات من طرف الشرطة، وبفضل وساطة السيد فرحات عباس لدى نائب العامل وتدخل هذا الأخير، عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي. وأثناء إقامته بمدينة سطيف تعرف على بعض المناضلين مثل الدكتور مصطفاي والدكتور بوعتورة والسيد حسن بلكبير الذي جمعته وإياه صداقة من أول عهده بسطيف، وكان بلكبير من مؤسسي الكشافة الإسلامية رفقة المرحوم محمد بوراس الذي أعدمه الفرنسيون رميا بالرصاص سنة 1942 بتهمة التعاون مع الألمان.

مدرسة الفتح – سطيف–

وفور اندلاع ثورة نوفمبر 1954 أسرع إلى مساندتها مع الشيخ العربي التبسي والشيخ الياجوري والشيخ حامد روابحية والشيخ الحسين بن الميلي. وهكذا بدأ يعيش معها فيفرح لانتصاراتها ويحزن لانكساراتها. وقبيل افتتاح السنة الدراسية 1955-1956 بأيام، كان الشيخ العربي التبسي في زيارة للمدرسة فكشف له عن رغبته في العمل للثورة بصفة نشيطة فيلتحق بالجيش، فقال له الشيخ العربي التبسي سوف أسمح لك بذلك في الوقت المناسب. ومدة قليلة بعد مغادرة الشيخ العربي التبسي تبادل الحديث مع حسن بلكبير من أجل المساهمة في الثورة فكوّن معه خلية من أربعة أشخاص هم باقي بوعلام وحسن بلكبير والأخضر دومي ومحمد الصغير مصطفاي للإشراف على النشاط الثوري بالمدينة وتنظيم الفداء، وقد جند له شباب من الكشافة الإسلامية ومن تلاميذ المدرسة الذين كانت أعمارهم تزيد عن ستة عشرة سنة. وكانت أول عملية فدائية تقوم بها الخلية تلك التي استهدفت مفتش الشرطة محمد الضيف الذي كان عدوا لدودا للمواطنين والذي لم ينس له أهل سطيف ما قام به في حوادث ماي 1945 من تعذيب رهيب للذين ألقي عليهم القبض أثناء تلك الحوادث. وتبعت تلك العملية الفدائية عمليات أخرى استهدفت عناصر من شرطة الاستعمار وغيرهم من المتعاونين معها. وبعد ذلك بقليل تلقى موافقة الشيخ العربي التبسي بخصوص التحاقه بجيش التحرير وتم ذلك باتصال من ابراهيم مزهودي الذي أخبره بأن الشيخ العربي التبسي يطلب منه أن يستعد لما طلبه منه وأن ينظم أموره من أجل ذلك. وفي أفريل 1956 اتصل به مصطفى بوغابة وأخبره بأنه كلف من طرف قيادة الجبهة بمهمة في الغرب الجزائري. فسافر يوم 25 أفريل متوجها إلى غيليزان أين اتصل ببعض الذين يعول عليهم في القيام بالنشاط الثوري وطلب منهم أن ينظموا أنفسهم ويستعدوا لمساهمة جدية يدعون لها. ثم سافر

إلى معسكر فاتصل بالشيخ عيشوبة الذي أخبره بأنه يعمل في صفوف جبهة التحرير وأنه تلقى أمرا من المسؤولين لتنسيق العمل معه. وبعد أسبوعين قضاهما بمعسكر تلقى الخبر بأن جيش التحرير شرع في انتشاره إلى الجنوب مرورا بمدينة فجيج (Figuig) المغربية. فتوجه إلى البيض حيث المهمة الأساسية وكانت منطقة البيض قد سبقت غيرها من مناطق الغرب الجزائري فاندلعت العمليات الثورية في شهر سبتمبر 1955 تقوم بها مجموعتان من المجاهدين الأحرار على رأس الأولى السي بوشريط وعلى رأس الثانية السي العماري وكلاهما من مواليد المنطقة. وكان على السي بوعلام أن يتصل بالاثنين لدعوتهما إلى الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني. فساعدته الزيارات العائلية والاتصالات بالأصدقاء على القيام بمهمته. وتم اتصاله بقائدي المجموعتين اللذين قبلا العمل تحت لواء جبهة التحرير الوطني. فأوفد الشيخ الطيب البدوي الناصري محملا برسالة يسلمها إلى الشيخ العربي التبسي لتبليغها إلى قيادة الجبهة بالجزائر وأوفد العربي مفتاحي إلى فجيج محملا برسالة يسلمها إلى قادة جيش التحرير ليخبرهم بما تم بينه وبين القائدين بوشريط والعماري. ثم عاد إلى معسكر وبدأ يتهيأ للالتحاق بجيش التحرير منتظرا ما يجد من تعليمات. وفي جويلية 1956 استلم رسالة محلية للشيخ العربي التبسي يعلمه فيها بأنه بعد المهمة التي قام بها فهو مخير بين الذهاب إلى المغرب للالتحاق بالشيخ خير الدين الذي يعمل ضمن الوفد الخارجي للجبهة بالمغرب وبين أي عمل آخر يراه. فقرر أن يلتحق بالجيش في الجنوب وكان ذلك في 8 جويلية 1956 حيث انتقل من معسكر إلى تيزي وزو على متن سيارة للسيد محمد الشريف. ثم قطع المسافة المؤدية إلى العين الصفراء بالقطار ثم إلى فجيج ماشيا على الأقدام، فتمكن من الوصول إلى قيادة جيش التحرير بالولاية الخامسة. فنصبه النقيب السي ابراهيم (العقيد لطفي) أن يكون مساعده كمحافظ سياسي يقوم بالتكوين السياسي للطلبة الذين يلتحقون بالجيش. واختار اسم "السي جمال"

اسم النضال. ولقد صدر خبر عن جريدة لوموند الفرنسية (Le Monde) يكشف عن الأسماء الحقيقية لمن يقود الثورة بالجنوب الغربي فذكرت دغين بودغن بن عمر المدعو إبراهيم المسؤول العام ومساعدوه قائد أحمد المدعو سليمان للجانب العسكري، باقي بوعلام المدعو جمال للجانب السياسي وقطاف عبد القادر المدعو عبد المجيد وهذه معلومات حصلت عليها المخابرات الفرنسية بعد استنطاق أحد الجواسيس. وراح يتنقل مع إخوانه المجاهدين إلى جبهة العمليات من جبل لآخر عبر الحدود المغربية في منطقة بني سمير وقرسيفان معرضين لعمليات التمشيط التي كان يقوم بها العدو وتحت غارات طائرات مستعملة سلاحها الرشاش. وكانت الأيام تمر عليهم مع قساوة الأحوال الجوية وشدة البرد بعد سقوط الثلوج. وكان الجنود غالبا ما يتعرضون إلى المرض بسبب البرد الشديد والتغذية الرديئة: فظروف العيش بالجبل كانت صعبة جدا ووسائل المقاومة شبه معدومة، فلم يسلم من المرض إلا القليل ولم ينفع الجنود إلا أن كانوا لا يتجردون من لباسهم ولا من أحذيتهم ليلا ونهارا إذ كانوا يملكون من الغطاء سوى رفرف واحد لكل جندي، وما يسترهم من تساقط الثلوج وتراكمها على الأرض سوى ما كانوا يلجأون إليه من المغارات. وقد تدهورت صحته فلازم الفراش في المغارة ولم يجد الراحة، وتزامنت إغماءاته ولم تنفعه لا الأدوية ولا الأعشاب. ولما طال مرضه واشتد: تقرر إرساله إلى فجيج. فاشتد عليه المرض في الطريق وأوشك أن يفارق الحياة لولا أن جعل الله الموت كتابا مؤجلا. وفي الليلة الثانية بعد وصوله إلى مركز القيادة بفجيج فحصه الطبيب فحصا دقيقا تبين له من خلاله خطورة أحواله الصحية وضرورة إدخاله المستشفى. ثم نقله إلى مستشفى وجدة ليخضع لفحوص دقيقة للقلب خاصة وبقية الأعضاء بصفة عامة وبقي فيه نحو شهر يتلقى العلاج. وبعد خروجه منه توجه إلى عيادة الدكتور هدام الذي كان يتتبع أحواله عن طريق إدارة المستشفى، فأخبره بأن المرض أصاب القلب وجهاز الدوران

وأنه في حاجة إلى راحة تامة ربما تدوم بضعة أشهر نظرا لحالة قلبه. وهكذا بقي ملازما للفراش في بيت أحد مناضلي الجبهة لا يخرج منه إلا للفحص أسبوعيا عند الدكتور هدام. وفي يوم من الأيام زاره السي إبراهيم حيث كان في مهمة بوجدة. وكانت تربطه وإياه علاقة الجهاد والود، فأخبره بأن منطقتهم أصبحت هي المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة عملا بقرارات مؤتمر الصومام، فأصبح قائدا لها برتبة نقيب وأصبح هو ملازما وكذلك السي سليمان. كما أخبره بأنه سوف تسند إليه مهمة أخرى تفيد أكثر من بقائه في المنطقة التي أصبحت صحته لا تساعده في البقاء فيها.

ولم تتحسن أحواله، ودخل في غيبوبة، وعندما استيقظ وجد نفسه في بيت السي عبد الحميد بن أشنهو بمدينة الرباط حيث نقل منذ يومين وقد كان بن أشنهو كبير المترجمين بالإدارة المغربية وعضوا في مكتب الجبهة بالرباط. وتم فحصه من طبيب اختصاصي الذي حرر له وصفة لتقدم إلى مستشفى مولاي يوسف بالرباط وبدأ العلاج به. ولكن بعد فترة، لم يعد يتحمل البقاء في المستشفى فطلب نقله إلى بيت خاله سيدي بخوص الذي كان يقيم بالرباط. فكان له ذلك واجتمعت عائلة خاله حوله تسليه وتدخل الأنس على نفسه. وزيادة على الأولاد كان يوجد الشاب محمد بن الحاج عمي حميتو الذي كان يعمل بمكتب جبهة التحرير بالرباط وهو له بمثابة الابن. وبعد أسابيع بدأت أحواله تتحسن. وفي تلك الأيام وردت له أخبار تفيد بأن الرائد السي إبراهيم أصبح قائدا للولاية الخامسة برتبة عقيد واسمه لطفي.

وفي بداية سنة 1958 تم انتدابه من الجيش إلى جبهة التحرير بالمغرب وبدأ العمل على الفور بمكتب الجبهة بطنجة. وفي شهر مارس 1958 زاره العقيد لطفي الذي تأثر كثيرا لمرضه وأكد له موافقته على انتدابه للعمل في الجبهة بصفة رسمية فأصبح بعد ذلك المسؤول الرسمي للجبهة بطنجة.

وفي نهاية شهر أفريل 1958 تقرر أن تعقد بطنجة قمة تجمع قيادة جبهة التحرير الوطني بقيادة حزب الاستقلال المغربي وحزب الدستور التونسي وكانت بيدهما مقاليد الحكم في كلا البلدين. فحضر الملتقى وكانت مناسبة للقاء مع كبار المسؤولين في قيادة الجبهة (فرحات عباس وبوصوف وكريم بلقاسم وبومنجل وفرنسيس ومهري).

وفي شهر جوان استدعي إلى الرباط ليشغل منصب كاتب عام مساعد لمصالح التابعة لمسؤول المغرب الغربي ثم أسندت إليه مسؤولية التنظيم بكامل التراب المغربي بعد أن أصبح نظام الجبهة موحدا وسمي باتحادية جبهة التحرير. وفي بداية سنة 1959 تقرر رحيله إلى وجدة ليكون مركز الاتحادية قريبا من الحدود تنفيذا لقرارات طرابلس.

وفي شهر جويلية كانت العودة إلى الرباط بناء على تعليمات بن طوبال وقد ظهر له أن نشاط الاتحادية قد تأثر سلبا بعد نقلها إلى وجدة. ولم تمض سوى أيام حتى تم تعديل الحكومة المؤقتة فعين كريم بلقاسم وزيرا للداخلية خلفا لبن طوبال فأصبح السي جمال مكلفا بالدعاية والإعلام في الاتحادية.

بعد الاستقلال

كان آخر مسؤول جزائري يغادر التراب المغربي لإشرافه على عودة المهاجرين بعد الاستقلال في سبتمبر 1962 توجه للعاصمة، وقدم تقريره عن الوضع لأحمد بن بلة: وطلب منه السماح له بالعودة للتدريس. قضى شهرين أمينا عاما بوزارة التربية. ثم طلب الإعفاء فتم تعيينه مفتشا للتعليم الابتدائي بوهران ثم نائبا لمفتش أكاديمية وهران في سبتمبر 1963.

وفي ما يتعلق بالنشاط الحزبي فلقد عيّن على رأس الاتحادية بوهران في 23 جوان 1965 وكان ضمن أعضاء الهيئة التنفيذية لمدينة وهران مكلفا برئاسة لجنة

الشؤون الثقافية. عينه الرئيس بومدين في أفريل من سنة 1968 رئيسا للمحكمة خاصة لقمع الجرائم الاقتصادية بوهران التي حنت سنة 1975. قبل المنصب بعد إلحاح مع شرط ممارسة منصبه التعليمي. ثم عيّن مفتشا لأكاديمية تلمسان في أكتوبر 1968 إلى أن تقرر نقله من تلمسان وتنصيبه في 25 جويلية 1971 مديرا للتربية والثقافة بوهران وهي التسمية الجديدة التي أعطيت لمفتش الأكاديمية. وبقي يقضي أوقاته بين العمل في الأكاديمية مخصصا ما يلزم من الوقت للعمل الحزبي والعمل القضائي بالمحكمة الخاصة والعمل بالبلدية حيث كان نائب رئيس بمجلسها والنشاط بفرع وهران للمنظمة الوطنية للمجاهدين التي كان عضوا بمجلسها الوطني. وفي شهر جويلية 1974 تم تعيينه مفتشا عاما للإدارة بالقطاع الغربي وهكذا ترك الأكاديمية وشرع في التفتيش العام للثانويات والمتوسطات.

وفي سنة 1975 تأسست جمعية دينية لبناء مسجد عظيم بوهران اختير له اسم عبد الحميد بن باديس وعيّن رئيسا لها وكان رئيسها الشرفي العقيد الشاذلي بن جديد الذي كان قائدا للناحية العسكرية الثانية. وفي 1977 انتخب نائبا بالمجلس الشعبي الوطني وعيّن مقررا للجنة التخطيط والمالية وبقي بالمجلس إلى مارس 1979 فدعي إلى حكومة الشاذلي بن جديد كوزير للشؤون الدينية ثم العدل سنة 1984 ثم الشؤون الدينية من 18 فيفري 1986 إلى غاية 16 سبتمبر1989. وكان آن ذاك بوعلام باقي عضوا بالمكتب السياسي للحزب.

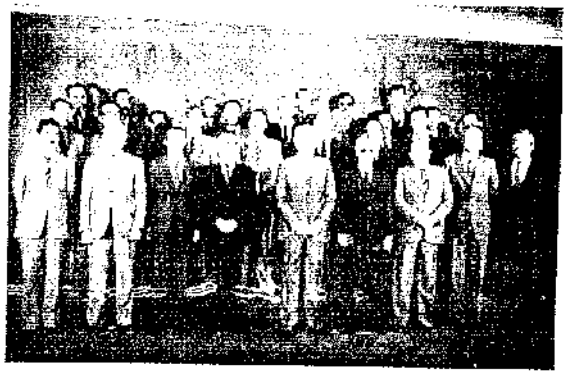

أما وزارة الشؤون الدينية فرتب كل ما كان بها من المصالح المركزية والمحلية كل القاعدية وأعاد للمسجد حرمته فحرر الأئمة من خطبة الجمعة المفروضة عليهم سابقا تاركا لكل إمام خطيب أمر إنجازها وسمح بإلقاء الدرس يوم الجمعة لكل من كانت له القدرة الشرعية على ذلك فحلت كل القيود التي كانت مسلطة على المساجد. وشجع انعقاد الملتقيات السنوية للفكر الإسلامي وشجع بناء المساجد بتقديم مساعدات من مداخيل الأوقاف إلى الجمعيات المكلفة بإنجازها. وبما أن الأئمة كانوا يتقاضون أجورا زهيدة، قدم مشروعا بتصنيفهم حسب الترتيب الموجود في التعليم بمساواة الإمام للصلوات الخمس بالمعلم والإمام الخطيب بالمدرس والإمام

الممتاز المكلف بالخطبة والدروس بالأستاذ. وأنشأ سلكا لمعلمي القرآن وفتح لهم خمسة آلاف منصب مع قبول الزيادة في العدد بعد ذلك. كما قدم مشروعا لتشجيع الناس على أداء مناسك العمرة بتخصيص مبلغ من العملة الصعبة لها فقبل المشروع بالحاح منه بعد أن أظهر مزاياه. وحقق للجزائر أمرين هامين، أما الأمر الأول فهو إرساء النفوذ الجزائري بالستيغال عن طريق التيجانية وهي متمكنة في تلك البلد وأما الأمر الثاني فهو قضية مسجد باريس حيث تمكن من تحقيق تبعية المسجد للجزائر دون سواها بفضل وساطة عميده السيد حمزة بوبكر وبعد مناقشات حادة مع السلطات الفرنسية، حيث ما فتئ سفير المغرب بفرنسا يدعي بأن المسجد بناه ودشنه الملك المغربي مولاي يوسف فمن حق المغرب إذن أن يتولى تسييره.

ونسجل من بين ما قام به وهو وزيرا للعدل إصدار قانون الأسرة المستمد من الشريعة الإسلامية. ومن أهم الإنجازات التي تحققت في عهده وهو على رأس وزارة العدل فتح ورشات العمل للمساجين للفلاحة وللبناء وهكذا شارك المساجين في بناء العديد من المساجد.

بعد أن منح التقاعد بناء على طلبه كان يعيش متنقلا بين وهران والبيض، مسقط رأسه. عاش ملازما للمسجد في كل مراحل حياته وظل يملأ أوقاته بقراءة القرآن والمطالعة إلى آخر أيامه. وافته المنية في 16 جانفي 2017، اللهم جازه خير جزاء وارحمه برحمتك الواسعة وألحقه بالنبيين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

المراجع:

- عبدالعزيز راس مال: الزوايا والأصالة الجزائرية، 3 أجزاء، مطبعة / ثالة، الأبيار – الجزائر 2012 م.
- أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبدالقادر الجزائري 1808–1847م – دار الرائد للكتاب – وزارة المجاهدين – الجزائر 2005 م.
- عبدالقادر زاير : دور خلفاء **الأمير عبد القادر** في بناء الدولة الجزائرية، إشراف: أ.د. محمد الطيبي، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ – جامعة وهران – الجزائر – السنة الجامعية: 2009–2010 م

نضاله وجهاده
في حرب التحرير

المُجاهد بُوعلام بَاقي ونشاطه في الحركة الوطنية والثّورة الجزائرية 1922-1962.

د. ناصري محمد السعيد

جامعة المسيلة

مُقدمة:

كُلما حاولنا البحث أو الكِتابة حول مُوضوع أعلام الجزائر، في مُختلف المراحل التاريخية ، كُلما تبيّن لنا أننا لم نُعط لهذا الموضوع حقّه من البحث والدّراسة، وما تم القِيام به في هذا الشأن يبدو لنا من النّزر القليل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غنى هذا الوطن برجاله وعظمائه الذين قد لا تسع ذكرهم وذكر أعمالهم وأمجادهم الموسوعات والقواميس في كونهم صنعوا التاريخ، وتركوا لنا بصماتهم ومساهماتهم الفكرية والثقافية والسياسية والعسكرية، خدمة لهذا الوطن العزيز، ومن بين هؤلاء الأعلام الذين يستحقون لفت الانتباه والتنويه بنضالهم الوطني ودفاعهم المستميت عن استقلال هذا الجزائر وتحريرها من الاستعمار الفرنسي: المناضل والمجاهد بوعلام باقي.

لقد جاءت مساهمتنا بهذا المقال: تلبية للدعوة الكريمة التي دأبت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية على توجيهها لجمهور الباحثين كل سنة، للمساهمة في انجاز كتاب دفعة تخرج الطلبة الباحثين، التي سيطلق عليها اسم هذا المجاهد الكبير، فقد كان نعم الاختيار والرأي والمشورة؛ وإيمانًا منا بنجاح هذه الدّعوة العلمية المتميّز والالتفاتة الطيبة، ولنفض غُبار الغفلة والنّسيان وتخليد مآثر هذا المجاهد، جاءت مساهمتنا هاته، على أمل أن نكون في مُستوى عظمة هذا الرجل، وفي مُستوى تطلعات جامعتنا، وأن نُفيد ونَستفيد من المقالات العلمية التي ستُنشر في صفحات كتاب هذه الدفعة التي ستحمل اسم المجاهد بوعلام باقي.

للإحاطة بموضوع مساهمتنا العلمية، الموسومة بـ: **دور بوعلام باقي في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1922-1962**، وقصد التقيد بمحاور الكتاب المقترح، اعتمدنا خُطة العمل التالية:

1. مولده ونشأته
2. تعلمه
3. نضاله في الحركة الوطنية 1945-1954
4. نشاطه في الثورة التحريرية.1954-1962
5. خاتمة

- مولده ونشأته.

ولد المجاهد بوعلام باقي في حدود سنة 1922 بالبيض[1]، بينما يذكر لنا مقلاتي عبد الله مولده بمدينة المشرية[2]، ينحدر من قبيلة البواقي من السماحين، والده محمد وأمه بن سعيد فضيلة[3]، ينتمي إلى عائلة ثورية عريقة يعود تاريخيها إلى عائلة أولاد سيدي الشيخ، التي حملت راية الجهاد ولواء المقاومة الشعبية المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي تحت لواء الشّيخ بوعمامة (ت1904)، طيلة النصف الثاني من القرن 19 (1860-1904). ففي ظل هذه العائلة الشّريفة التي يعود نسبها إلى الخليفة أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه[4]، ولد وترعرع بوعلام باقي، على مبادئ الأخلاق

---

[1] محمد، عباس: دروب الاستقلال فصول من..ملحمة الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2012، ص419، بينما يذكر مقلاتي عبد الله بأنه ولد بالمشرية، ص37.

[2] مقلاتي، عبد الله: أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، الكتاب الخامس، موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية، طبع وزارة الثقافة الجزائر، دون تاريخ، ص37.

[3] عتيقة، مصطفى: المجاهد مولاي إبراهيم (الرائد عبد الوهاب)حياته ومسيرته النضالية بين (1925-1969)-قائد المنطقة الثالثة، الولاية الخامسة-مذكرة لنيل أطروحة الماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، إشراف الأستاذ الدكتور موفق محمد، السنة الجامعية 2010-2011.

[4] يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1400هـ/1980م، ص133.

والفضيلة في وسط شبه حضري يجمع بين الريف والبادية والمدينة، وسط محافظ على هُويته وأصالته الحضارية، مما ساهم في تقويم أخلاقه وتشبُّعه بمبادئ حب الوطن في ظل انتمائه الهُوّي العربي الإسلامي.

تعلمه:

تلقى بوعلام باقي تقريبا تعليمه الابتدائي الأول والإكمالي بمسقط رأسه، حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة، داخل إطار عائلته الكبيرة، كما تعلم القرآن الكريم وحفظ ما تيسر منه على عادة أقرانه وأبناء عشيرته الذين كانوا يتتلمذون في الكتاتيب التي تزخر بها منطقة البيض، التي كان تشهد ملامح تبلور كبير لنشاط الحركة الوطنية في منطقة الجنوب الغربي الكبير.

انتقل في حدود سنة 1937 إلى تلمسان[1] للدراسة في المدرسة الفرنسية بتلمسان، ثم انتقل بعدها للتعليم في المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة[2]، مما يوحي لنا بثراء عائلته وانتمائها إلى ما كان يُسمى آنذاك بالخيمة الكبيرة، غير أننا لا نكاد نتوفر على معلومات حول الوظيفة التي كان يمارسها والده، والتي لا نستبعد وجاهته ونفوذه في المنطقة، مما فرض على الفرنسيين احترامه وتقديره، ونيل الحظوة في التحاق ابنه بالمدرسة الفرنسية في كل من تلمسان والجزائر، والتي كانت تكاد تقتصر على فئة نخبوية من فئات المجتمع الجزائري آنذاك.

نظرا لنباهته وسرعة بديهته حقّق نجاحا مُعتبرا في دراسته، التي أتمّها في وقت مُبكر بالجزائر العاصمة في شهر يونيو 1943، حيث تحصل على الشهادة العليا[3]، وهي شهادة لها قيمتها في ذلك الوقت، أما الأجواء التي تخرّج فيها فهي أجواء مشحونة بالتوترات والتقلبات السّياسية التي كانت تعيشها الحركة الوطنية الجزائرية من

---

[1] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص38.

[2] محمد، عباس: المصدر السابق، ص419.

[3] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص38.

خلال وقع الحرب العالمية الثانية، ونشاط حركة البيان الجزائري، ونزول الحلفاء بالشمال الإفريقي، مما نفهم من خلاله أن بوعلام باقي كان على اطلاع واسع وعلى مقربة من الأحداث التي كانت تمر بها الجزائر.

بعد تخرجه عاد بوعلام باقي إلى مسقط رأسه بالبيض، ليلتحق بمهنة التّعليم الحكومي الفرنسي، حيث عُين كمعلم للغة العربية بالبيض خلال السّنة الدراسية 1943-1944 ، لكنه لم يستمر في وظيفته حسب رواية محمد عباس[1] التي لم يشرح لنا من خلالها الطّارئ العائلي الذي تخلىّ بموجبه بوعلام باقي عن وظيفته بالبيض، والتحاقه فجأة بأحد أقاربه بمدينة القنيطرة بالمغرب[2].

1-انتقاله إلى المغرب:

لا شك أن للرّوابط الاجتماعية التي تربط بين أولاد سيدي الشيخ - بفرعيهم الشّراقة والغرابة- بالمغرب دور كبير في انتقال بوعلام باقي إلى المغرب، وهذا إمّا لتسوية مُشكلة عائلية عالقة، أو بإيعاز من أحد أبناء عمومته من أولاد سيدي الشيخ المقيمين بالمغرب، وربما لبعض أقاربه بالقنيطرة في محاولة منهم لاستقطاب بوعلام باقي وتعيينه في المدارس الحكومية بالمغرب[3]، نظرا للحظوة والمكانة التي حظي بها كثير من المعلمين والمدرسين الجزائريين في وقت سابق بالمغرب[4]، ولكن يبدو لنا أن بوعلام باقي لم يجد ما كان يتوقعه أو ما يتناسب مع وظيفته، ولذلك فضّل ولوج

---

[1] من مواليد بلدية البسباس بعنابة. خريج المدرسة الوطنية العليا للصحافة، تقلد عدة مناصب ومسؤوليات في الحقل الإعلامي/ له عدة مؤلفات حول تاريخ الجزائر عموما وتاريخ الثورة خصوصا، من بينها: نصر بلا ثمن الثورة الجزائري، ثوار عظماء ، رواد الوطنية، مثقفون في ركاب الثورة...الخ. أجرى كثير من الحوارات واللقاءات مع قادة الثورة ومجاهديها، وله فضل كبير في هذا المجال، حيث باتت هذه التسجيلات والحوارات بمثابة مصادر شفوية مدونة.

[2] محمد. عباس: المصدر السابق، ص419.

[3] تبين لنا على سبيل الانتشار العائلي في المغرب، أن أحد أخوال بوعلام باقي يقيم في مدينة طنجة.

[4] من بين هؤلاء محمد النعمري الزواوي الذي حظي بتعليم الملك محمد الخامس، عبد القادر الخلادي، محمد بن العربي الشرقي، الحاج أحمد بن الحبيب...الخ.

عالم الترجمة على غرار البعض من أقرانه الجزائريين الذين كانوا يعملون تراجمة في سلطة الحماية الفرنسية[1].

لم يشعر بوعلام باقي بالارتياح في هذه الوظيفة، ومرد ذلك حسب محمد عباس الشّنآن الذي وقع بينه وبين رئيس مصلحة المترجمين خلال الفترة القصيرة التي قضاها كمترجم، فبسبب أنفته العائلية والجزائرية جعلته يتخلى عن هذه الوظيفة ويغادر القنيطرة باتجاه الدار البيضاء[2]، التي تولى بها وظيفة معلم طيلة الموسم الدراسي 1944-1945، وهي الوظيفة التي سبق له وأن باشرها في مسقط رأسه بعد تخرّجه.

عودته إلى الجزائر.

لم يطب المقام مرة أخرى لبوعلام باقي بالاستقرار في المغرب، فما إن أشرفت السنة الدراسية 1944-1945 على نهايتها، حتى قرّر العودة من جديد إلى أرض الوطن؛ الأرض التي غادرها تحت وقع سهام السّياسة الفرنسية، ها هو يعود إليها وهي مُضرّجة بالدِّماء، دماء الثامن من ماي 1945 التي راح ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد، والسّؤال المطروح في هذه الأثناء هل الشّوق والحنين الذي هزّه جراء هذه المحنة كان دافعا لعودة بوعلام باقي إلى الجزائر؟ أم تحكمت في عودته عوامل أخرى عائلية واجتماعية؟ وهل عودته كانت تقف ورائها بعض الشّخصيات مثلا في الحركة الوطنية الجزائرية؟ هذا ما يُمكننا الإجابة عنه وتوضيحه من خلال نشاط بوعلام باقي في الحركة الوطنية الجزائرية، الذي تميّز في كونه نشاط نوعي، متعدد، هادف وسريع.

---

[1] مثل عبد القادر الخلادي، محمد الصالح ميسه، عبد الحميد بن أبي زيان بتشنهو، بلقاسم بن العربي عشاش، أبو بكر عبد الوهاب، علي بن محمد رحال الندرومي، قدور بن غبريط...الخ.

[2] محمد، عباس: ص419، بينما تذكر عتيقة مصطفى في أطروحتها ص38 أنه تم عزله من وظيفة مترجم التي لم يعمر فيها طويلا دون أن توضح لنا السبب في ذلك، ومن غير المستبعد أن تكون وجهة نظر محمد عباس صحيحة حول أسباب مغادرة بوعلام باقي حقل الترجمة.

نشاطه في الحركة الوطنية الجزائرية. 1945-1954.

بعد عودة بوعلام باقي إلى مسقط رأسه -البيض- من جديد، وجد بأن أحداث الثامن من ماي 1945 قد امتدت إلى البيض، وامتد معها البطش والقمع الفرنسي الذي لم يفرق بين كبير ولا صغير، ولا بين ريف وبادية، فلم يتوان حسب محمد عباس في تأسيس أول خلية سرية لحزب الشعب الجزائري خلال خريف 1945، حزب كان ينعلم شتاته وجراحه في نطاق السّرية بعد الضّربات الموجهة التي تلقاها في المجازر المذكورة[1]، وتذكر بهذا الخصوص عتيقة مصطفى أن تأسيس هذه الخلية كان بالضبط خلال شهر نوفمبر 1945[2].

نظرا لمبدأ الشمولية التي دأب حزب الشعب الجزائري العمل بها منذ الإعلان عن تأسيسه في 11 مارس 1937 بقيادة مصالي الحاج[3]، فإن القيادة المركزية التي كان يشطها محمد الأمين دباغين قد أرسلت أحمد يوسفي[4] إلى الجزء الغربي من البلاد لإعادة بناء ما دمرته المجازر ومضاعفاتها، وفي ظل هذه المساعي تعرف لمين دباغين على بوعلام باقي، الذي لم يتردد في الانضمام إليه وبات ساعده الأيمن بالجنوب الوهراني كله[5]، وعليه فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هي مساهمات بوعلام باقي في الحركة الوطنية الجزائرية عموما وفي حزب الشعب خصوصا، والذي سيتحول فيما بعد إلى اسم حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية؟.

استغل بوعلام باقي تجربته النّضالية من خلال احتكاكه بحزب الاستقلال المغربي، الذي شارك في مظاهراته التي جرت في شهر جانفي 1944، استغلها في

---

[1] محمد، عباس: المصدر السابق، ص419

[2] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق. ص38.

[3] مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEB، الجزائر، 2006، ص224.

[4] عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري.

[5] محمد، عباس: المصدر السابق، ص420.

ترتيب البيت الداخلي لحركة الوطنية بمنطقة البيض، ولا ندري ما هو السبب الذي جعل بوعلام باقي يستقطبه حزب الشعب الجزائري رغم وجود تيارات أخرى كالتيار الشيوعي الجزائري، الاتحاد الديمقراطي، والتيار الإصلاحي؟، ربما يعود السبب في ذلك لشعبية مصالي الحاج التي فاقت كل التّوقعات في ذلك الوقت، وربما لاقتناعه الشّخصي بالسّير في فلك هذا التيار السياسي الذي رأى فيه تحقيق مصلحة الشعب الجزائري.

لم يتوان أيضا بوعلام باقي في المساهمة في تأسيس أول فوج للكشافة الإسلامية الجزائرية بمدينة البيض خلال شهر ديسمبر 1945، برفقة كل من: أبي عمران الشيخ، ابن سعيد محمد، وراشدي قادة، وتبون التجيني[1]، وهذا يعد في نظرنا مكسب ثمين بالنسبة لنشاط الحركة الوطنية بالمنطقة، ومحاولة قطع الطريق أمام استقطاب الشباب الجزائري من جمعيات ومنظمات مشبوهة في المنطقة، ومن هناك راح يسعى قُدما في سبيل المساهمة في الحركة الوطنية الجزائري.

من بين الخطوات الأولى التي قام بها بوعلام باقي في تعبئة الجماهير لصالح حزب الشعب، على اثر الزيارة التي قام بها محمد يوسفي إلى البيض، التي مكنته من ربط الاتصال بين مجموعة من المناضلين، ينتمي بعضهم إلى أحباب البيان وبعضهم إلى حزب الشعب[2]، تكون قد ساعدت فيما بعد بوعلام باقي بالإشراف على تأسيس أول خلية لحزب الشعب في البيض، بمساعدة كل من بن صادق بلقاسم، مناد عبد السلام، وأحمد حسني[3].

بناء على نشاطات بوعلام باقي التي كانت تصب في صالح حزب الشعب الجزائري، والتي أثمرت على ما يبدو بتأسيسه لمكتب تابع لشعبة البيض، لفت إليه انتباه قيادة الحزب، التي خصته بدعوة في شهر جانفي 1947 من أجل المشاركة في

---

[1] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص65.

[2] نفسه، ص65.

[3] نفسه، ص66.

مؤتمر الحزب في بلكور بقيادة حسين لحول-الأمين العام، وحظور شرشالي وبودة، وخلال هذا الاجتماع تقرر إنشاء التسمية الجديدة لحزب الشعب: حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية[1] (ح.إ.ح.د).

من بين النشاطات التي خاضتها هذه الحركة هو المشاركة في الانتخابات المحلية بالبيض[2] أكتوبر-نوفمبر 1947، وهي الانتخابات التي ترشح خلالها بوعلام باقي في الدور الأول باسم حزب (ح.إ.ح.د)، وفي ظل التنافس الذي كان قائما بين مرشحي الإدارة الاستعمارية وبين تشكيلات الحركة الوطنية الجزائرية الجديدة: جماعة الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (إ.د.ل.ج)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (ج.ع.م.ج)، والحزب الشيوعي الجزائري (ح.ش.ج)، ولقد تم توحيد قوائم الانتخابات في الدور الثاني بين بوعلام باقي مرشح (ح.إ.ح.د)، وبين قائمة أحباب البيان، والتي أسفرت عن فوز محمد حميتو رئيسا للجماعة وبوعلام باقي نائبا عنه[3].

وخلال انتخابات المجلس الجزائري خلال شهر أفريل سنة 1948[4] احتدم الصراع بين (ح.إ.ح.د) التي رشحت بوعلام باقي و(إ.د.ب.ج) الذي رشح الباشاغا خلادي بن ميلود وحزب الإدارة الفرنسية الذي رشح بوبكر حمزة، وفي ظل هذا التنافس قام مصالي الحاج نفسه برفقة النائب بوقادوم بزيارة قادته إلى كل من آفلو، البيض، تيارت معسكر[5]، كما نشّط له تجمعا شعبيا كبيرا في سعيدة[6]، مما ترك انطباعا كبيرا حول حزبه ومرشحه بوعلام باقي، لكن الإدارة الاستعمارية وكعادتها لجأت إلى تزوير محاضر الانتخابات والقيام بمضايقات كبيرة ضد المناصرين

---

[1] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص71.

[2] بينما يذكر مقلاتي عبد الله أنه تم ترشيحه في انتخابات 1947 ببشار، ص37.

[3] نفسه، ص72.

[4] محمد، عباس: المصدر السابق، 420.

[5] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص73.

[6] محمد، عباس: المصدر السابق، ص420.

والمترشحين، وعلى الرغم من ذلك فقد فاز بوعلام باقي فوزا كبيرا على كل منافسيه[1]، مما زاد في حقد الإدارة الاستعمارية وأعوانها عليه.

اعتقاله 1948–1949[2].

إن الفوز المتميز الذي حققه بوعلام باقي على مُرشحي الإدارة الفرنسية، لفت إليه انتباه العدو؛ كيف لا وهو حديث عهد بالتجربة الانتخابية؟ وغير معروف ومكانته متواضعة مقارنة بأقرانه ومنافسيه، ولذلك راحت السلطات الفرنسية تكيد له وتحبك المؤامرات لاعتقاله والتخلص من نشاطه؛ وتمهيدا لذلك استدعته بشكل رسمي كمترشح فائز لحضور تنصيب المجلس التشريعي بقصر "كارنو" بالعاصمة[3].

وخلال الدورة الافتتاحية الأولى للمجلس المؤرخة في 03 يونيو، وقع ما لم يكن متوقعا على الإطلاق، ففي أثناء فترة الاستراحة من الجلسة الأولى، أحاطت به مجموعة من عناصر الأمن الفرنسي واعتقلته وسط زملائه كمصطفى فروخي، أحمد بودة، ومحمد العربي دماغ العتروس[4].

وبعد استئناف جلسة المجلس حاول زملاؤه إثارة حادثة اعتقاله، لكن الرئيس "لا كيير" لم يأبه للحادثة واعتبرها فعل عرضي، واكتفى بالتفوه بعبارات التأسف لزمان ومكان اعتقال النائب بوعلام باقي، وهو نفس الانطباع والشعور الذي تبناه باقي أعضاء المجلس، وفي نظرنا فإذا كان زملاء وأقران النائب بوعلام باقي اكتفوا بالتنديد اللفظي والتأسف والتأفف، فماذا سننتظر من إدارة استعمارية هي من تقف وراء حادثة الاعتقال نفسه؟.

---

[1] نفسه، ص420.

[2] يذكر مقلاتي عبد الله أن اعتقاله جاء بعد انتخابات 1951، التي قاد على إثرها مظاهرات عارمة، فالقي عليه القبض وقضى في السجن عدة سنوات، دون ان يحدد لنا ندة اعتقاله بالضبط ولا مكان اعتقاله،ص37.

[3] نفسه، ص420.

[4] نفسه، ص420

نُقل النائب بوعلام على جناح السرعة إلى مقاطعة مُعسكر لمحاكمته، وكانت التهمة الموجهة له أنه خلال الحملة الانتخابية تلفظ بتصريحات يُعاقب عليها بموجب مرسوم "ريني" الشهير، الذي ينص على اعتقال المناضلين الوطنيين لأتفه الأسباب، وحكم عليه بالسجن لمدة ثمانية أشهر[1]، ومن المضحكات المبكيات أنه بعد اعتقال النائب بوعلام باقي أقدمت الإدارة الفرنسة على إلغاء العمل بهذا المرسوم، لكن محكمة الاستئناف بالعاصمة رفعت العقوبة إلى عامين و60.000 فرنكا كغرامة مالية في 15 نوفمبر 1948 [2]وزج به في سجن لمباز "lambase" لمدة سنتين نافذتين[3].

قد لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن الحملة الشرسة التي قادها مُرشحي الإدارة الاستعمارية، وبعض المحسوبين على الجزائر كانت أشد وقعا ووطأة من ما قامت به الإدارة الاستعمارية ضده، ولعل الشاعر طرفة بن العبد صدق حينما قال

وظُلم ذوي القربى أشد مضاضةً على المرءِ من وقع الحُسام المهند

لم يتوان ذوي القربى في التآمر على النائب بوعلام باقي بمختلف الطرق والوسائل: الرشوة، شهادة الزور، التلفيق، الكذب والبهتان، ومن بين الخصوم البارزين الذين قاموا بتشويه صورة بوعلام باقي وراحوا ينفخون في نار الفتنة للإبقاء على اعتقاله مدة أطول حسب محمد عباس دائما: أحد الأعيان من أقارب الأستاذ حمزة بوبكر (ت1995)[4] الذي تطوّع في رسالة إلى المحكمة، للتبرؤ من التهم الذي التي تنسب إلى أولاد سيدي الشيخ حسب قوله...وبقصد بذلك أنه من العروش المعادية لفرنسا التي سايرت الشيخ بوعمامة في حماقته-حسب رأي خصمه-؟.وبسبب هذه

---

[1] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص74.

[2] نفسه: ص74.

[3] محمد، عباس: ص221

[4] من مواليد 1912 بأولاد سيدي الشيخ، من بين المناصب التي شغلها: كاتب ورئيس زاوية أولاد سيدي الشيخ، عميد مسجد باريس 1957-1982. يراجع: عتيقة، مصطفى، ص72.

المؤامرة مكث النائب بوعلام باقي سنتين في السجن، عقابا له على نجاحه في انتخابات المجلس الجزائري[1].

مكث النائب بوعلام باقي في السجن لمدة سنتين، ولقد كان يتألم كثيرا من الأخبار التي تأتيه تباعا عن مصير الحركة الوطنية ومصير الوطنيين المناضلين أمثاله، كما كان يتألم من تصرفات بعض النواب المنتخبين وعلى رأسهم النائب جمال دردور الذي كان يترفع عن بسطاء المناضلين حسب شهادة محمد عباس[2]، ولكن رباطة جأش بوعلام باقي وصبره وقوة عزيمته حالت دون التأثير على مساره النضالي، والثبات على موقفه المعادي للإدارة الاستعمارية التي عجزت فعلا عن استقطابه واحتوائه.

إطلاق سراحه:

تم إطلاق سراحه يوم 03 ديسمبر 1949[3]، وفي ظل الفترة التي قضاها بوعلام باقي في السجن يكون قد فقد بموجبها عهدته النيابية، كما تم شطبه نهائيا من قائمة المعلمين الحكوميين[4]، وإذا كان هذا شيء وارد ومتوقع من الإدارة الفرنسية، فإن الذي لم يتوقعه النائب بوعلام باقي هو سكوت قيادة الحركة عن مصيره وعن الحيف والجور الذي لحقه بسبب سكوت بعض النواب المنتخبين التابعين لحزبه، وأمام هذا الموقف الصعب لم يجد بوعلام باقي بُدا من تقديم استقالته من حزب (ح.إ.ح.د) وقبل معرفة مساره السياسي بعد ذلك، بودنا طرح الانشغال التالي: ما هو سبب سكوت إدارة الحزب وعلى رأسها مصالي الحاج عن سجن بوعلام باقي؟ ولماذا تنصلت من مسؤوليتها تجاهه؟.

---

[1] محمد، عباس: المصدر السابق، ص422.

[2] نفسه، 423.

[3] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص74.

[4] محمد، عباس: المصدر السابق، ص422.

لم تكن هذه هي المواقف الأولى والأخيرة لقيادة حزب (ح.إ.ح.د)، في التنصل من بعض مواقفها تجاه مناضلي الحزب، فسنجدها فيما بعد تتبنى موقف مشابه لموقفها من بوعلام بفي، وذلك على اثر اكتشاف المنظمة الخاصة الجناح العسكري للحزب، فمصالي تبرأ من عناصر المنظمة الخاصة، واعتبر ما جرى مجرد مؤامرة قامت بها السلطات الفرنسية لضرب حزبه العتيد[1]. وما يهمنا في هذه النقطة هو بداية اهتزاز الثقة في الحزب، وتفتح صورة مصالي الحاج وتعرجها على مستوى القاعدة.

التحاقه بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(من غليزان إلى سطيف)

بناء على هذه المواقف المتصلبة غير المبررة في نظر بوعلام باقي لم يتوان في الالتحاق بـ: (ج.ع.م.ج)، التي لم تتوان في توظيفه كمُعلم في إحدى المدارس الحرة التي أسستها بغليزان، والاستفادة من طاقته وخبرته النضالية في التأسيس لنشاط الجمعية على المستويين الثقافي والسياسي، لكن يبدو أنه لم يستقر به المقام بغليزان، حيث غادرها باتجاه الشرق الجزائري ليستقر بمدينة سطيف[2]: المدينة التي سيكون له شأن عظيم بها.

لم يكن استقرار بوعلام باقي بمدينة سطيف بالصورة التي كان يتوقعها، فبمجرد وصوله إليها تنكّرت له الإدارة الاستعمارية وراحت تُكيل له التهم وتقيم حوله الحواجز والعوائق، نظرا لنشاطه المعادي للإدارة الاستعمارية والمعلن عنه بصورة صريحة وواضحة، فبات محافظ شرطة مدينة سطيف شغله الشاغل هو مضايقته وإزعاجه، وعندما تسامع الشيخ عباس مزعاش بالأمر أخبر النائب والمنتخب العمالي فرحات عباس زعيم حزب (إ.د.ب.ج)، الذي أن يطلب من محافظ الشرطة كف أذاه وترك الرجل وشأنه[3].

---

[1] بن يوسف، بن خدة: جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، 1433هـ/2012م، الجزائر، ص267.

[2] نفسه، 422.

[3] نفسه، ص 422.

وبناء عليه واصل بوعلام باقي نشاطه كمعلم بمدرسة جمعية العلماء المسلمين بسطيف، ولقد كان عنصرا نشيطا في المدرسة: من خلال التعديلات التي أدخلها في المناهج التربوية، والتوسعة التي شهدتها المدرسة بإضافة أقسام جديدة في عهده، وكمكافأة له على مجهوداته الجبارة قامت الجمعية بتنصيبه مديرا للمدرسة، مما زاد في نشاطات بوعلام باقي التربوية والبيداغوجية، ومن بين مساهماته في الحركة الوطنية في ظل نشاطاته بالجمعية، تفعيل الصّحافة المدرسية وتثمينها، وبهذا الخصوص يذكر لنا أبو القاسم سعد الله: «وفي سطيف أصدر بوعلام باقي مجلة الفتح فصدر منها خمسة أعداد»[1].

لم يكن نشاط بوعلام باقي محصورا ضمن دائرة سطيف ومدرستها فقط، بل كانت له اليد الطولى في تأسيس وفتح المدارس الحرة لـ(ج.ع.م.ج) أو بالأحرى المدارس الإصلاحية، ومن أمثلة ذلك قيامه في 11 ديسمبر 1952 بفتح المدرسة الإصلاحية لجمعية العلماء بالبيض، بحضور الشيخ زموشي ممثل الجمعية، ومساهمته في الدعوة لجمع التبرعات التي بلغت 700.000 فرنكا[2].

ولقد ظل على هذا المنوال معلما ومصلحا ومربيا لجيل من الشباب الجزائري، بل كان يتنقل بين شرق الجزائر (سطيف) وجنوبها الغربي الكبير (البيض) في سبيل التأسيس لنشاط الحركة الوطنية الجزائرية وتفعيلها، حتى أدركته ثورة الفاتح من شهر نوفمبر 1954، التي أبلى فيها بلاء حسنا، وهذا ما سنقف عليه من خلال العنصر الموالي:

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، 1954–1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص206.

[2] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص76.

2-نشاطه في الثورة الجزائرية 1954-1962.

لم يكن بوعلام باقي بعيدا عن التحركات السياسية الإرهاصات التي عرفتها الثورة قبيل اندلاعها، فإذا سلمنا بأنه لم يكن على علم بتاريخ باندلاع الثورة، فلقد كان على علم بإمكانية اندلاعها بين الحين والآخر، ولذلك كان حاضرا في جل النشاطات التي كان يقوم بها الإخوة المناضلين على مستوى ناحية سطيف، ومن بين النشاطات التي قام بها للتحضير للثورة، دائما حسب شهادة محمد عباس:

1. كان على صلة قوية ببعض المناضلين في الحركة الوطنية مثل الدكتور مصطفاي، ولخضر دومي، والشيخ يوسف اليعلاوي[1]، الذي كان يدير مدرسة جمعية العلماء بنواحي عين آزال التي تقع جنوب مدينة سطيف على بعد حوالي 40 كلم.
2. أثمرت اتصالات بوعلام باقي مع هذه المجموعة في المشاركة في تكوين أول خلية لجبهة التحرير الوطني بالمنطقة، وشيئا فشيئا تحولت مدرسة الجمعية التي يشرف عليها بسطيف إلى خلية حية وفاعلة تنشط لصالح جبهة التحرير، ومن غير المستبعد أن بوعلام باقي لم يتوان في الانضمام إلى الجبهة التي وجد فيها ضالته.
3. التطوع لجبهة التحرير بآلة "رونيو" كانت في أمس الحاجة إليها، كما قام من جهته بالدعوة للثورة وشرح مقاصدها وأبعادها، وحسب محمد عباس فإنه جعل من مدرسة سطيف مشتلة للفداء.
4. النجاح في تشكيل أول تنظيم عسكري مسلح تابع للمنطقة الأولى (الأوراس) الذي يمتد عبر جبال بوطالب جنوبا، ولقد كان لمدرسة عين آزال التي يديرها يوسف اليعلاوي دور كبير في هذا التنسيق الدقيق والمحكم، فكانت تعتبر حلقة

---

[1] من مواليد 1918 ببني يعلي بسطيف، نشأ في أسرة محافظة، نال ثقافة دينية ولغوية عالية أهلته للتدريس بمدارس جمعية العلماء، وقد عينته الجمعية مديرا لمدرسة عين أزال الحرة، يراجع: مقلاتي عبد الله: أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، ص396.

وصل قوية بين مدينة سطيف وسفوح جبال بوطالب حيث تنشط خلية المجاهدين.

5. نجاح المدرسة في تجنيد حوالي 50 جنديا، وتوفير اللباس العسكري لهم، الذي تم الحصول عليه حسب محمد من عائلة غرزولي التي كانت تتاجر في الملابس المستعملة، وقد عثر لديها صدفة على رزمة من الملابس العسكرية[1].

6. قيام تلميذ سابق بالمدرسة بتصفية ضابط شرطة جزائري بسوق المدينة. كان من بين الذين لطخوا أيديهم بدماء إخوانهم في مجازر مايو 1945[2].

7. قيام الطالب غرزولي بمحاولة تصفية ضابط سابق في الجيش الفرنسي -صاحب حافلة نقل المسافرين- داخل منزله، بسبب تبليغه مصالح الأمن عن المجاهدين الذين يستقلون حافلته بين الحين والآخر، حيث قامت قوات الأمن باعتقال بعضهم[3].

– بوعلام باقي وتلبية نداء جبهة التحرير (من سطيف إلى البيض):

خلال الفترة الممتدة من 1954-1956 كان بوعلام باقي ينشط لصالح الثورة في العمل الفدائي المدني، وفي الدعم اللوجيستي، ولذلك أبقت عليه قيادة جبهة التحرير، نظرا للمكاسب التي حققها لصالح الثورة، خصوصا فيما تعلق بالدعاية والاتصالات والتعبئة، وفضح الخونة والعملاء الذين لم يشكُّوا يوما في نشاط بوعلام باقي لصالح الثورة، بحكم مهنته التربوية ومنصبه كمديرا للمدرسة.

لكن قيادة جبهة التحرير بالجزائر العاصمة مع مطلع سنة 1956 أبلغت قيادة (ج.ع.م.ج) بضرورة انتقال المناضل بوعلام باقي إلى منطقة البيض -مسقط رأسه- في مهمة دقيقة: « لضم الثائرين بوشريط والعماري إلى صفوف جيش

---

[1] محمد، عباس: المصدر السابق، ص423.

[2] نفسه، ص423.

[3] نفسه، ص424.

التحرير. بعد أن بَلَغ قيادة جبهة التحرير أن "الحركة الوطنية الجزائرية" (المصالية) تحاول استمالتهما إليها...وكان الثائران قد حملا السلاح بدءا من خريف 1955 بمبادرة شخصية، تخاطئا مع تيار الثورة دون سابق اتصال أو تنسيق مع تنظيم الجبهة الذي لم يكن وصل المنطقة بعد»[1]، وتذكر لنا عتيقة مصطفى[2] أن بوعلام باقي تم تكليفه رسميا من طرف عبان رمضان في أفريل 1956 لحلحلة هذا المشكل في أسرع وقت ممكن.

نظرا لتجربة بوعلام باقي في النضال السياسي، وقوة حججه وحكمته، تمكن من النجاح في مهمته، وقد أبلغ قيادة جبهة التحرير عن طريق الرسالة التي وجهها في هذا الشأن بواسطة الشيخ العربي التبسي الذي كان على صلة قوية بعبان رمضان، في الوقت الذي أخبر فيه قيادة الجبهة بالجنوب الغربي الجزائري الممثلة في سي إبراهيم (بن علي بودغن) بالنتيجة التي توصل إليها مع سي بوشريط والعماري[3].

بعد الترتيبات التي وضعها لصالح جبهة التحرير في منطقة البيض، انتقل إلى معسكر حيث تقيم عائلته[4]، ومن هناك بدأ الاتصال من جديد مع قيادة جبهة التحرير بالمنطقة، وهو الاتصال الذي سيتم بموجبه التحاق بوعلام باقي بجيش التحرير بالجنوب الغربي الكبير.

– التحاق بوعلام باقي بقيادة جيش التحرير بمنطقة فقيق.

التحق بوعلام باقي بجيش التحرير بمنطقة فقيق يوم 08 يوليو 1956، بعد مروره بمسالك وعرة وطريق شديد الالتواء يمر شمال عين الصفراء[5]، وبحكم المعلومات التي كانت بحوزة قائد الناحية –سي إبراهيم–حول بوعلام باقي، قد سمحت له

---

[1] نفسه، 424.

[2] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص89.

[3] محمد، عباس: المصدر السابق، ص424.

[4] نفسه، ص424.

[5] نفسه، ص425

بالتعرف عليه عن قرب، فاطمأن إليه وازدادت ثقته به، فعينه إلى جانبه في مجلس المنطقة الثامنة (بعد مؤتمر الصومام) مكلفا بالشؤون السياسية رفقة أحمد قايد (سليمان) مسئول الشؤون العسكرية[1].

ظل بوعلام باقي الذي كان يكلفه القائد سي إبراهيم بالنيابة عنه أثناء تنقلاته، ظل ينشط في مجال جغرافي واسع يمتد من منطقة فقيق غربا إلى مشارف الأغواط شرقا، ولقد عاش يوميات جيش التحرير ومعاركه واشتباكاته مع الجيش الفرنسي، هذا إلى جانب الدعم المعنوي الذي كان يقوم به لصالح جنود جيش التحرير بالمنطقة.

ويذكر محمد يعيش بشأن التحاق بوعلام باقي بجيش التحرير : «انخرط في صفوف جيش التحرير بالولاية الخامسة، المنطقة الثامنة، تحت قيادة العقيد لطفي، ورقي إلى رتبة ضابط (ملازم)»[2]، دون أن يذكر لنا تاريخ ذلك بالضبط[3]. لكنه سرعان ما يستطرد القول: مَثَّل التنظيم المدني لفدرالية جبهة التحرير الوطني بطنجة، مما يفيد بأن بوعلام باقي تم ترقيته إلى هذه الرتبة العسكرية قبل دخوله المغرب ومواصلة نشاطه السياسي والمدني، وهذا ما سنشير إليه بعد قليل، وتذكر عتيقة مصطفى بشأن نشاط بوعلام باقي رفقة العقدي لطفي: لقد تم إرسال لطفي رفقة باقي بوعلام كمسؤول سياسي انطلاقا من فقيق، من أجل التنسيق بين الأقسام (13-14-15-16) وهو التقسيم الذي ظل ساري المفعول إلى غاية انعقاد مؤتمر

---

[1] نفسه، ص425.

[2] محمد، يعيش: الجالية الجزائرية في المغرب الأقصى ودورها في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1930-1962، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 2012، ص239.

[3] تذكر عتيقة مصطفى أن بوعلام باقي كان نائبا للعقيد لطفي منذ سنة 1955، ص89. بينما شهادة محمد عباس يذكر فيها أن التحاق بولعن باقي بالجبهة والجيش كان في سنة 1956.

الصومام حيث عرف القطاع الوهراني تنظيما جديدا ضمن الولاية الخامسة التي تشكلت بدورها من ثمانية مناطق[1].

نظرا للطبيعة الجغرافية والمناخية التي تتميز بها منطقة الجنوب الغربي الكبير، خصوصا في فصل الشتاء، الذي تزامن مع تساقط الثلوج وغزارة الأمطار، لم يستطع بوعلام باقي التأقلم مع هذه الوضعية، حيث أصيب بإرهاق شديد، متبوع بمرض حسب محمد عباس استوجب نقله للعلاج بمدينة وجدة المغربية[2].

– انتقال بوعلام باقي إلى المغرب ونشاطه في الثورة الجزائرية:

خلال مدة تواجده بالمستشفى بوجدة للعلاج أصيب بأزمة نفسية حادة، كادت أن تقضي على مستقبله السياسي والثوري، ومرد ذلك حسب محمد عباس: بعد أن نُقل إليه الحاج بريقو (المحمدية) نبأ استشهاد ثلاثة إخوة من معارفه بمعسكر بطريقة مؤثرة: استشهد أحد الإخوة: فقام جيش الاحتلال بنصب جثمانه في الساحة العمومية...ولم يحتمل أخواه ذلك فخرجا يطلبان الشهادة...وقد استشهدا فعلا في عمليات فدائية[3].

مكث بوعلام باقي في المستشفى بوجدة حوالي ثلاثة أشهر، وهي مدة توحي لنا فعلا بتدهور حالته الصحية والنفسية، وبعد إتمام هذه المدة قررت قيادة جبهة التحرير نقله إلى الرباط أولا ثم إلى طنجة ثانيا، لمواصلة العلاج والاستجمام[4]،

---

[1] عتيقة، مصطفى: المرجع السابق، ص82.

[2] محمد، عباس: المصدر السابق، 426.

[3] نفسه، ص426.

[4] يذكر بوعلام باقي في روايته لمحمد عباس في جريدة الشروق اليومي المؤرخة في 08 أوت 2006: خلال وجوده بطنجة لمواصلة العلاج عند طبيب فرنسي متخصص في الأمراض العصبية، تبين له أنه زميل دراسة سابق في البيض–مسقط رأسه–حيث كان والده حاكما عليها –أي والد الطبيب–: ولحسن الحظ أن الطبيب الفرنسي لم ينتبه لذلك، لأن بوعلام باقي تقدم إليه بصفته معلم مغربي باسم محمد بن إبراهيم.

www.djazairess.com/echorouk/6938

وبحكم موقع منزل خاله القريب من عين المكان يكون قد حوّله بوعلام باقي إلى مركز لجبهة التحرير الوطني يستقبل فيه قادة الجبهة الذين يسلكون هذا المعبر البحري -طنجة-خلال تنقلاتهم بين المغرب ومصر وتونس وأوربا، وبعد أن تماثل للشفاء حسب شهادة عباس محمد انتدب للعمل السياسي في اتحادية جبهة التحرير بالمغرب، وهذا بعدما استأذن مسئوله المباشر سي إبراهيم الذي وافق على انتدابه[1]، ربما مراعاة لظروفه الصحية، ومن بين المهام التي قام بها لصالح الثورة بالمغرب:

1. تكفّله بتمثيل التنظيم المدني لفدرالية جبهة التحرير الوطني بطنجة، على أكمل وجه[2]، ومن غير المستبعد أن لخاله ضلع كبير في نجاح ابن أخته، لصلته القوية بحاكم مقاطعة طنجة[3].
2. مساعدة قائد المنطقة الثامنة أثناء خروجه إلى اسبانيا للعلاج من مرض أصابه في عينيه، وذلك بتوفير وثائق سفر مغربية له ولرفيقه[4].
3. في خريف 1957 التحق بوعلام باقي بأمانة جبهة التحرير بالمغرب، رفقة رئيسها الجديد عبد القادر معاشو (عبد الجليل)، وأمينها العام عبد المجيد مزيان.
4. في حدود سنة 1958 وعندما تولى عبد الله بن طوبال وزارة الداخلية في تشكيلة الحكومة المؤقتة الأولى[5]، عين على رأس اتحادية جبهة التحرير بالمغرب المناضل حسين قديري الذي خلف عبد القادر معاشو (عبد الجليل)[6]، وعين معه بالمناسبة بوعلام باقي مكلفا بالتنظيم، وهكذا يقول محمد عباس احتفظ بوعلام باقي الذي وصفه بالشيخ بمنصبه إلى غاية وقف إطلاق النار في 19مارس

---

[1] محمد، عباس: المصدر السابق، ص428.
[2] محمد، يعيش: المرجع السابق، ص239.
[3] محمد، عباس: المصدر السابق، ص428.
[4] نفسه، ص428.
[5] نفسه، ص429.
[6] محمد، يعيش: المرجع السابق، ص239.

1962. وبعد الاستقلال مباشرة يعود بوعلام باقي إلى مهنته النبيلة في سلك التعليم الذي تركه ذات يوم من أيام سنة 1956، عندما لبى نداء الواجب الوطني والتحق بجيش التحرير الوطني في الجنوب الغربي الكبير. وتعد هذه المحطة هي نقطة النهاية في مقالنا، تاركين المجال لزملائنا الباحثين للحديث عن مسيرة الرجل ودوره في البناء والتشييد من 1962 إلى غاية وفاته رحمه الله يوم 16 جانفي 2017[1] عن عمر يناهز 95 سنة فرحمه الله وأسكنه فسيح جنانه[2].

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره نخلص إلى جملة من النتائج التي يمكن حصرها في ما يلي:

- التأكيد على الدور الكبير الذي قام به بوعلام باقي في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، دور يمكن أن نُميز منه عدة خصوصيات:

- المناضل المثقف الذي عرف كيف يختار طريقه النضالية لخدمة وطنه، في هدوء واستقرار رغم الهزات التي تعرض لها قبل وأثناء وبعد الثورة الجزائرية.

- قدرته على التوفيق بين مختلف التيارات السياسية الوطنية، فمن حزب الشعب إلى جمعية العلماء إلى جبهة التحرير، إلى الجهاد الأكبر في بناء جزائر ما بعد الاستقلال.

- قدرته على العطاء في مختلف الظروف والمناسبات، دون مراعاة للزمان والمكان، فمن البيض إلى سطيف، ومن سطيف إلى البيض، معسكر، فقيق، المغرب، حيث في كل محطة من مراحل حياته نجده يزرع بذور وطنيته وإخلاصه وتفانيه في العمل الجمعي بعيدا عن الفردية والذاتية والمصلحة الضيقة.

---

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/بوعلام_باقي أطلع عليه في تاريخ 29 ماي 2017 في الساعة 17.50 دقيقة

[2] www.echoroukonline.com/ara/articles/511112.html أطلع عليه في تاريخ 29 ماي 2017 في الساعة 17 45 دقيقة

- نجاحه في الجمع بين عدة وظائف: التربية والتعليم، الإدارة، التعبئة العسكرية والتجنيد، إصلاح ذات البين، المسؤولية السياسية العسكرية، الصّحافة.
- قوة شكيمته وصبره على المضايقات التي مارسها ضده العدو الفرنسي وأعوان الإدارة الاستعمارية من بين جنسه المدحنين، وصلابة عوده في تحمل المشاق والسفر والتنقل عبر ربوع هذا الوطن من أقصى الجنوب الغربي غربا إلى مدينة سطيف شرقا، ومن تلمسان ومعسكر وسعيدة شمالا إلى أفلو والأغواط والبيض جنوبا، مما أصيب فيما بعد بإرهاق كبير أُدخل على إثره للمستشفى بوجدة.
- بوعلام باقي ما هو إلا شُعلة من النشاط والحيوية، فهو لم يعرف الكلل ولا الملل طيلة كفاحه ونضاله في الجزائر والمغرب، وما أحوجنا نحن اليوم سوى الاقتداء بهذه القامات الجزائرية المنسية وهذه القمم الشامخة التي أبت أن تنحني للعدو الفرنسي في أحلك الظروف وأبسوأها.

الراحل بعد الاستقلال
من ممثل للشعب
إلى رجل دولة

جوانب من النشاط الإصلاحي للشيخ بوعلام باقي
-ودوره في بناء مؤسسات الدولة الجزائرية-

د/ فوزية لوصيف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

المقدمة:

قامت الحركة الإصلاحية بمجهودات جبارة للمحافظة على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وكان طريق التربية والتعليم أهم وسائلها، وقد اعترف العدو قبل الصديق بالنتائج التي حققتها جمعية العلماء المسلمين في المجال العلمي، ولذلك استطاعت أن تكون طلائع من الشباب المتشبع بالثقافة العربية الإسلامية، فكان الكثير منهم معتمد الدولة الجزائرية الفتية في تأطير مؤسساتها بعد الاستقلال.

كان الشيخ بوعلام باقي من هؤلاء الشباب الذين تكونوا تكويناً إصلاحياً خالصاً. فما مدى التزامه بالمبدئ الإصلاحية في مواقفه الفكرية والعملية؟ وكيف كانت مساهمته في أعمال الجمعية؟ وما هي المسؤوليات التي تقلدها بعد الاستقلال؟ وهي أهم إنجازاته ومواقفه؟

للإجابة على هذه التساؤلات طرقت الموضوع في ثلاث نقاط رئيسة هي: أولها لبيان مساهمة بوعلام باقي في الحركة التعليمية الإصلاحية قبل الاستقلال. والثاني لبيان مناصبه القيادية ومواقف وأعماله بعد الاستقلال. أما الثالث والأخير فجعلته لنماذج من فكر الشيخ بوعلام باقي.

أولاً– الشيخ بوعلام باقي[1] من جنود الحركة التعليمية الإصلاحية قبل الاستقلال

1– المراحل التاريخية للحركة التعليمية الإصلاحية قبل الاستقلال

درس رجال الإصلاح واقع الأمة بتعمق، وأدركوا أسباب الانحطاط فيه، فعلموا علم اليقين أن جوهر القضية في انحطاط المسلمين يكمن في تركهم المنهج الرباني الشامل والكامل، وابتعادهم عن القرآن والسنة علما وعملاً، ولا سبيل للخروج من هذا البلاء إلاّ بثورة شاملة على أسباب الانحطاط، وبدايتها الفرد المسلم لأنه الأصل ثمّ الجماعة. والانطلاق لابد أن يكون من النفس؛مصداقا لقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتىَ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾[2]، وتغيرها يكون بتطهير بواطنها من كل ما اعترها من (ضلالات ملأت الأدمغة، وعلقت بالعقول، وفرخت في الصدور)[3]، فطمست بريق الإيمان، وشلت حركة العقول فصيرتها إلى موات.

هدف علماء الجمعية إلى دفع الفرد المسلم والأمة الإسلامية نحو حركة تحررية شاملة تقوم على التوحيد، فتنطلق بتحرير الذات من جميع القيود الداخلية والخارجية المثبطة عن التغيير للأحسن، وتنتهي بنتيجة حتمية ومنطقية؛ هي حركة تحررية ضد الاستعمار. فالثورة التحريرية عندهم ليست غاية لحد ذاتها، بل هي مرحلة منطقية لابد منها، وهي جزء صغير من مشروع كبير، بدأ قبل الثورة ويستمر بعدها استمرارية خلود، لأنّ الثورة ليست مرحلة زمنية محدودة؛ بل هي مشروع نهضوي وحضاري وإنساني يرمي إلى الخلود بخلود رسالة الإسلام (الذي يدعو معتنقيه إلى أن يكونوا في هذا العالم: المثل الأعلى، وحملة المبادئ الحية التي تطارد الجهالات

---

1 توفي يوم الاثنين 16يناير2017 عن عمر يناهز 95 سنة

2 الرعد، الآية11

3 أحمد الرفاعي شرفي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر(الإمام الشيخ العربي التبسي)ط1، القسم الثاني، دار الشهاب، باتنة، 1404هـ/1984م ، ج3،ص62

والأوهام. والخرافات وتضع الأمة الإسلامية في موضع أمة غبية، عالية، مستقرة في الطليعة الأولى من الأمم الحية)[1].

ولن يتحقق هذا التحرير الشامل إلاّ إذا قام على قاعدة متينة من الإصلاح العلمي. وقد أكد الشيخ الإبراهيمي على أنّ (من [illegible] نواحي الإصلاح الكثيرة التي يجب أن تعطيها جمعية العلماء [illegible] واعتناء: ولو لم يحدث من الحوادث ما جعل اتجاه الجمعية إلى الإصلاح الديني أقوى لكان الإصلاح العلمي أول ما تعالجه، وتبذل فيه جهودها لأنه ألصق باسمها وأكثر ارتباطا بحرفة رجالها، ويكفينا دليلًا على خطر الإصلاح العلمي وقيمته أن أكبر عناصر الإصلاح الديني الذي لا يمتري في لزومه عاقل يستمدّ قوّته من شيء يسمّى علمًا ومن أشياء تسمّى علماء...)[2]. ولذلك كان للعلم والتعليم حصة الأسد في أهداف ومناهج وبرامج الجمعية في جميع مراحلها التاريخية.

والجدير بالذكر أنّ قيام الحرب العالمية الثانية واستمرارها لمدة خمس سنوات[1939م/1944م]؛ ثمّ حوادث 8 ماي 1945م ومخلفاتها؛ ثمّ اندلاع الثورة التحريرية؛ قد أثّر على مسار الحركة التعليمية، وفرض تقسيمها إلى أربعة مراحل متمايزة:

2- مساهمة بوعلام باقي في مدارس جمعية العلماء المسلمين:

كانت الجزائر كلها خالية من المدارس العربية النظامية الحرة إلا كتاتيب قرآنية مهدّدة بالإغلاق في كل حين. ثم قامت جمعية العلماء تنادي بإحياء العربية على الرغم من العراقيل الاستعمارية المتنوعة.

بدأ عمل الجمعية في السنوات الأولى بعدد قليل من المساجد لم تنته إلى العشر. وبعد حملات التوعية والإرشاد من طرف علماء الجمعية قفز عدد المدارس إلى

---

1 أحمد الرفاعي شرفي: مقالات في الدعوة إلى النهضة، ج3، ص74

2 أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997م، ج1، ص144

العشرات[1]. وعند قيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939م عطّلت فرنسا جميع مشاريع جمعية العلماء، لكن بإصرار رجال الجمعية مكنهم من تحدي كل العراقيل، وتمكنوا من تجاوز الحصار المفروض عليهم سنة 1943م؛ حيث شيدوا (70 مدرسة، وهو عدد ضخم، نظرًا لظروف الحرب المقيدة للحركة، وللسمعة التي كان يعانيها الشعب الجزائري)[2]. والأكيد أنّ تعداد مدارس الجمعية في هذه السنة أكثر من هذه العدد المُشيد.

ثمّ جاءت حوادث ماي سنة 1945، وأغلقت مدارس الجمعية كلها، واعتقلت عدد كبير من علمائها وزج بهم في غيابات سجون الاحتلال الغاشم مع الكثير من شرفاء الوطن، وبعد مدة عسيرة أخذت الإدارة الفرنسية تطلق سراح المعتقلين تدريجيا كان آخرهم شيوخ الجمعية. فعقد مؤتمر من المعلمين ورجال الجمعيات في مارس 1946 بقسنطينة، وقرر عدم الاعتراف بقرار الغلق ووجوب إعادة الحياة للدراسة العربية ابتداء من أول السنة الدراسية، وفتحت المدارس فعلياً –رغم أنف إدارة الاحتلال– ابتداء من أكتوبر 1946.

بعدها مباشرة رجعت الجمعية إلى عملها أقوى مما كانت، ونشطت حركة تأسيس المدارس، فازدادت أعداد مدارس الجمعية كل سنة حتى بلغ عددها قبيل الثورة أكثر من (150 مدرسة، ساهمت بفعالية في تنشيط الحركة التعليمية الإصلاحية في جميع أنحاء القطر، كل هذه المدارس كان يؤطرها ثلة من خيرة المعلمين، الذين اختارتهم الجمعية بكل دقة وتمحيص، حيث (تشترط في المعلم كفاءته العلمية والأخلاقية، أو تزكية جمعية العلماء له، ولا تشترط غير ذلك)[3].

بل إنّ منهج الجمعية يقوم في الأساس على تقديم طريق التربية على طريق التعليم، لأنها تعلم علم اليقين أن العلم المجرد من التربية الصالحة لا ينفع صاحبه.

---

1 الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج4، ص172–180

2 المصدر نفسه، ج2، ص17

3 الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج3، ص222

وهذا ما أكدّ عليه الشيخ الإبراهيمي عند توجيهه لمعلمي الجمعية بقوله[1]: واحرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم، واجعلوها حاديكم في تربية هذا الجيل الصغير، وهاديكم في تكوينه، وهي: أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤتَ في حيبته في الحياة من نقص في العلم، وإنما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق، فمنها كانت الخيبة، ومنها كان الإخفاق.ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال، منطبقًا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال؛ فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، طُلَعَة إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامكم، وإنه قويّ الإدراك للمعايب والكمالات: فإذا زينتم له الصدق، فكونوا صادقين: وإذا حسنتم له الصبر، فكونوا من الصابرين،...؛ ألا إن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة، وأما ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة.

وقد كان الشاب بوعلام باقي أحد هؤلاء المعلمين الذين وثقت فيهم الجمعية لحمل رسالة التعليم والدعوة بمدارس عمالة وهران. وكيف لا وهو يؤمن بيقين أن ميدان التعليم من أهم ميادين الجهاد، حيث أكد في أكثر من مناسبة على أنّ (ميادين الجهاد في داخل البلاد كثيرة، ومن أعظم أعدائنا الجهل والتخلف، والفساد، والانحلال، والانحراف، والأنانية والكسل).[2] ولذلك تجند بتفاني معلماً ومربياً في صفوف جمعية العلماء منذ ريعان شبابه.

ثمّ تنبه قادة الجمعية أنّ الشاب بوعلام باقي-وهو دون سن الثلاثين- يمتلك إلى جانب صفات المعلم الناجح، علامات القائد المتمكن، فرشح لإدارة إحدى مدارس الجمعية بعمالة وهران. وبالفعل فقد تكفل بإدارة مدرسة غيليزان، مع

---

1 المصدر نفسه.ج3، ص264

2 بوعلام باقي: وداع القرن الرابع عشر واستقبال القرن الخامس عشر، مجلة الأصالة، السنة 8و9، المجلد 22،ع75. ذو الحجة -محرم/نوفمبر-ديسمبر. 1399هـ/1979م، ص4-12

التدريس بها رفقة معلمين آخرين وهما: (العيد سلطاني. والآنسة بدرة عبو، في السنة الدراسية (1950 –1951)[1].

ازدادت قناعة الشاب بوعلام باقي بأهمية هذه المدارس الإصلاحية في بناء الأمة في حفظ دينها ولغتها، وأدرك أنّ منطقته –البيض وما جاورها من صحراء الغرب الجزائري– قد فاتها خير كبير. حيث قال[2]: فقد تأخرت هذه الناحية بكثير عن شقيقتيها الوسطى والشرقية في الميدان الثقافي؛ لأنّ أهل الصحراء الشرقية والوسطى بادروا إلى تلبية الدعوة الإصلاحية فنصروا الفكرة وشيدوا مدارس أخذ منها أبنائهم ما تتفتح به عقولهم من علوم دين ودنيا، رزقهم الله إيماناً قوياً صادقاً فكان لهم رائداً إلى الخير وعوناً عليه وهداهم الله سواء السبيل، ولم يخرجوا عنها وهيأوا لأنفسهم وأولادهم ما يسعدون به في الدنيا والآخرة. أما مسلمو الصحراء الغربية– يقصد صحراء الغرب الجزائري–فلا زالوا في غيهم يسبحون. وما زال منهم من يعارض العلم... وإليهم نوجه الخطاب راجين منهم الإقلاع عن هذه المساوئ، والعمل بجنب المصلحين حتى يعود إلى ديننا عزه وإلى لغتنا شرفها.

وقد كان الشاب بوعلام من المساهمين في إنشاء مدرسة بالبيض، بعد أن تبرعت بمكانها للجمعية إحدى النساء الصالحات، ونشرت بشرى إنشاء وبناء المدرسة على صفحات البصائر بقلم ابن البيض الشاب بوعلام باقي الذي اختارته الجمعية لإدارتها والتدريس بها مع بعض المعلمين.

جاء في الإعلان: وإننا نبشر إخواننا النائين عن البيض بأن بناء المدرسة قد تمّ فلم يبقى إلاّ تجهيزها فالاحتفال بها ثمّ فتح أبوابها لأبناء الشعب في المستقبل القريب إن شاء الله؛ وما ذلك بعزيز على الله ولا على الرجال الذين تكونت منهم

---

1 البصائر2: س3، ع125، ربيع الأول 1370هـ/18ديسمبر1950، ص2

2 بوعلام باقي: تأسيس مدرسة بالبيض، البصائر2، س5، ع181–225، 1952–1954م، ص123

شعبة جمعية العلماء بالبيض، وإذا صلح البيض فلا يشك في صلاح الصحراء الغربية كلها؛ والبيض محورها الذي حوله تدور وبابها الذي منه تدخل وما التوفيق إلاّ بالله[1].

ويبدو أن السلطات الفرنسية قد أدركت خطورة هذه المدرسة على مصالحها الاستعمارية بالمنطقة؛ فسارعت إلى غلق المدرسة قبل فتحها.

3- بوعلام باقي ضمن وفود علماء الإصلاح المعتمدين للتعليم الصيفي[2]:

سنت جمعية العلماء سنة حميدة -- ربما لم تُسبق إلى هذا التنظيم- بدأتها قبل الحرب العالمية الثانية، حيث خصصت جزء من أعمالها التعليمية للمحاضرات والدروس العامة؛ في المساجد الحرة والنوادي والقاعات العمومية والميادين الجامعة والأسواق بجميع القطر. وكلّفت لتحقيق ذلك؛ طائفة من أقدر علمائها العاملين بالطواف في مدن القطر وقراه وسهوله وجباله؛ خلال شهري أوت وسبتمبر من كل عام، يزرعون الحماس بواسطة هذه المحاضرات والدروس والمواعظ، ويبيّنون الحقائق، ويثبّتون العزائم، ويحرّكون الهمم، ويضربون الأمثال، ويربطون للأمة حاضرها بماضيها، ويذكرونها بما نسيته من أمجاد سلفها، ويهيّئونها لنهضة شاملة في العلم والسياسة والاقتصاد، وكانت هذه المحاضرات هي البذر الأول لهذه المبادئ في الجزائر، وتحريك الأفكار لفهم الحياة على حقيقتها. وقد استغرق هذا النظام التعليمي سبع سنوات- قطعته الحرب العالمية الثانية ثمّ عاد بعد نهايتها-.

كان عمل الوفود (على نظام بديع، وترتيب محكم، وتقسيم على البلدان... روعيت فيه الكفاءات والمناسبات واختلاف الطباع والجهات)[3]. كل ذلك وفق رزنامة محددة بالمكان والزمان والأسماء المكلفة بالعمل، وهذا أمر موثق في أرشيف الجمعية. وهذه عينة تتعلق بوفود شهري أوت سبتمبر 1954م:

---

1 بوعلام باقي:تأسيس مدرسة بالبيض، البصائر2، س5، ع181-225، 1952-1954م، ص123

2 البصائر2:س1، ع4، أوت 1947م، ص7 / ع10، أكتوبر 1947م،ص5

3 البصائر2: س1، ع4، الجمعة، 11ذو القعدة 1366هـ/26 سبتمبر 1947م، ص7

- عين لعمالة قسنطينة 34 عالماً موزعين على جميع المناطق الحضرية والريفية، وقد تكفل الشيخ بوعلام عبد الباقي بمدينة المسيلة ودائرتها.

- وعين لعمالة الجزائر 9 علماء موزعين على جميع المناطق الحضرية والريفية.

- وعين لعمالة وهران الشيخ بوعلام عبد الباقي رفقة سبعة آخرين، وزعوا كما يلي[1]:

أسماء العلماء	أماكن التدريس
بوعلام عبد الباقي	معسكر_ تغنيف_ غيليزان_ زمورة_ وادرهيو
عبد القادر الياحوري السعيد الزموشي	وهران_ المرسى الكبير_ أرزيو_ بطيوة_ المساعدة
عبد الوهاب بن منصور محمد تخيلف	مستغانم- واد الخير- مازونة- وما اتصل بذلك من الأعراش
محمد العدوي	سيق والأعراش المحيطة بها- تليلات- باريقو
العباس بن الشيخ الحسين	تلمسان- ندرومة- الحنايا- الغزوات- مغنية- سبدو- بني هذيل- أولاد سيدي الحاج- صبرة- أولاد ميمون- بني صاف- عين تيموشنت- بلعباس- المساعدة
عبد الحفيظ الثعالبي	تيارت- سوقر- فرندة- تيسسيلت(فيالار)

وعند نهاية هذا النظام التعليمي المثمر؛ تقدم (الوفود تقاريرها الكاملة، واصفة للاستقبالات الفخمة من الأمة، مسجلة للدروس والخطب، شارحة لرغبة الأمة في العلم والتعليم، مبينة ما يجب أن تهتم به الجمعية من الجهات المحرومة من التعليم، حاملة للجمعية تحيات الأمة وآمالها)[2]. وهذا من كمال هذه السنة الحميدة المثمرة.

1 البصائر2: س7، ع282، الجمعة 28 ذو الحجة 1373هـ/ 27 أوت 1954م، ص3/ وخير الدين: مذكرات، ج2. ص90-93

2 البصائر2: س1، ع10، الاثنين 28 ذي القعدة 1366هـ/ 13 أكتوبر 1947م، ص6

4/ بوعلام باقي ضمن وفود الوعاظ لإحياء شهر رمضان بعمالة وهران:

من الأنشطة التعبيئية السنوية التي سلكتها الجمعية في سبيل تبليغ الدين الصحيح، إحياء شهر رمضان المبارك بالدروس المكثفة، والمواعظ المؤثرة في النفوس والعقول، التي يقوم بها علماء الجمعية الذين تنتدبهم للقيام بهذه المهمة في جميع مراكز الجمعية ومدارسها ومساجدها العامرة بجميع القطر، في إطار عملية محكمة التنظيم والانتقاء.

وكانت الجمعية دائما توصي مشايخها الوعاظ بجملة من التوصيات[1] بمثابة شروط ملزمة وهي:

- على المشايخ أن يتّعظوا في أنفسهم قبل أن يعظوا غيرهم، فإن الوعظ إذا لم ينفع صاحبه لم ينفع الناس.

- عليهم أن يقوموا بما انتدبوا فيه خيرَ قيام، وأن يؤدّوا حق الله عليهم في النصح والتذكير.

- عليهم أن يعتمدوا في تذكيرهم على:

1) صريح الآيات القرآنية

2) الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

3) سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

4) سيرة الصحابة – رضي الله عنهم–

- عليهم أن يجاوزوا ما لا يعلمون من دقائق الوعظ الخفية، إلى ما يعلمون من حقائقه الواضحة. فإن كلامهم في الدين، فليحذروا أن يقعوا في مزلقة القول على الله بغير علم. وهو من الكبائر التي يأمر بها الشيطان، وفي الهدي النبوي مجال واسع للمذكّرين، وفي الواضح مندوحةٌ عن المشكل.

---

1 الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج3، ص285–287

- عليهم أن يمكّنوا- ما استطاعوا- في نفوس السامعين معاني الشرف والرجولة. وشرف النفس والاعتزاز بالإسلام والعروبة.

- عليهم أن يشرحوا للأمة "مظلمة القرن العشرين"، وهي هذه المعاملة المهينة التي تعامل بها الحكومة دين الإسلام ومعابده وأوقافه وشعائره من حج وصوم، وإن أحقّ محلّ بهذه الدروس المباركة هي بيوت الله، لولا ظلم الاستعمار، ولينوّهوا بالمواقف التي وقفتها جمعية العلماء في هذه القضية.

- عليهم أن يوجّهوا عنايتهم إلى علاج الأمراض المتأصلة في الأمّة، ومحاربة المنكرات الفاشية فيها، كالكذب، والغيبة والنميمة والسعاية بالأخ والتجسّس عليه، وكالسرقة والخمر والميسر، وكالأيمان الفاجرة وشهادة الزور، ويمين الطلاق، وكالقطيعة والخصام والخلاف، وكالركون إلى الكسل والبطالة والسؤال مع القدرة على الكسب، وكنقض العهد وخلف الوعد وخيانة الأمانة والبخل والإسراف في غير محلّه، وكانتهاك الحرمات والاستخفاف بالمحرّمات، والجبن والخوف من غير الله.

- عليهم أن يجتنبوا الحديث في مثارات الفتن، وفي البدع التي فرغتْ جمعية العلماء منها، فقد ضعف شأنها، وفي إعادة الحديث عليها تقوية لها وإحياء.

كان الشيخ بوعلام عبد الباقي من الملتزمين بهذه الشروط فكان ضمن الأوائل المشاركين في قوائم وفود

الوعظ المخصصة لعمالة وهران، وهذه قائمة توزيع الشيوخ بالعمالة (مابين 1953و1955م)[1]:

---

1 محمد خير الدين: مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب،دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دتا، ج2، ص94- 98 / والبصائر2: س7، ع214، الجمعة 22 شعبان 1374هـ/ 15 أفريل 1955م ص6 / والبصائر2: س6، ع228، الجمعة 24 شعبان 1372هـ/8 ماي 1953م ص3

أسماء العلماء	المنطقة المكلف بها
بوعلام عبد الباقي	البيض
السعيد زموشي	وهران
العباس بن الشيخ الحسين	تلمسان
سعيد العدوي	المرسى الكبير
محمد الهزرجي المجاوي	الرمشي
محمد رضا بن الشيخ الحسين	بني صاف
محمد بن عبد الرحمن المسعدي	تيارت
محمد الأغواطي	الحمري –وهران–
عمر حماني	عين تيموشنت
محمد الطاهر المداحي	المساعدة
العربي الرميلي	صبرة
محمد بو جمعة	أرزو
الجيلالي حجاج	الغزوات

ثانياً– مناصب قيادية ومواقف ريادية بعد الاستقلال

1– بوعلام باقي نائباً بالمجلس الشعبي الوطني:

بعد الاستقلال مباشرة فضل الشيخ بوعلام باقي الاستقرار مع عائلته بمدينة وهران، فواصل بها جهاده التعليمي معلماً،وسرعان ما عين مفتشاً للتعليم الابتدائي بها.

ونظراً لسمعته الطيبة وتاريخه الثوري المعروف؛ فقد انتخب الشيخ بوعلام باقي وهو في الخامسة والخمسين (55) من عمره نائبا في المجلس الشعبي الوطني عن ولاية وهران وما تابعها، من سنة 1977م إلى سنة 1982م. فقضى خمس سنوات من عمره وهو يدافع عن مصالح المنطقة –بل ومصالح المواطن الجزائري بصفة عامة– قدر

جهده واستطاعته، وفق قناعاته الفكرية الإصلاحية، وقد ساعده على ذلك تقلده خلال هذه الفترة مناصب

سامية في الدولة الجزائرية الفتية؛ على رأس وزارة الشؤون الدينية، ثمّ وزارة العدل.

2- مواقف رائدة على رأس وزارة الشؤون الدينية:

عين الشيخ بوعلام باقي على رأس هذه الوزارة في ثلاث حكومات:

- عين لأول مرة وزيراً للشؤون الدينية عندما بلغ السابعة والخمسون (57سنة) من عمره،في حكومة محمد بن أحمد عبد الغني الأولى، وهي أول حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، واستمرت سنة واحدة من 8 مارس 1979م إلى 15 يوليو 1980م.
- وعين وزيرا للشؤون الدينية لمدة سنتين في حكومة أحمد طالب الإبراهيمي الثانية،وهي خامس حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، واستمرت من 18 فبراير 1986م إلى 9 نوفمبر 1988م
- كما عين وزيرا للشؤون الدينية لمدة سنة في حكومة قاصدي مرباح، وهي سادس حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، واستمرت من 9 نوفمبر 1988م إلى 9 سبتمبر 1989م

ومنذ أول عهدة له بوزارة الشؤون الدينية استشعر عظم المسؤوليات التي تنتظره، فعمل على القيام بمها على أكمل وجه ممكن، لأنّ بلاد الجزائر في هذه الفترة وبعد أن خرجت من الجهاد المسلح ظافرة منتصرة؛ عليها (بمتابعة الجهاد في كل الميادين، وإنّ ميادين الجهاد في داخل البلاد كثيرة، ومن أعظم أعدائنا -كما يقول بوعلام باقي- الجهل والتخلف، والفساد، والانحلال، والانحراف، والأنانية والكسل.وهي في الخارج ذود عن الكيان، ونصرة للمستضعفين في كل مكان حتى لا يحرموا حقهم في الحياة الذي كتبه الله لهم يوم أن خلق الأرض ومن عليها

فاستخلفهم فيها مثل ما استخلف غيرهم. ورحم الله عمر بن الخطاب صاحب القولة المشهورة: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. ونحن لا نريد لأحد شراً، وإنما نريد لشعبنا وأمتنا الإسلامية الأمن والرخاء والحرية والرقي والازدهار. ومن الله نستمد العون والنصر)[1].

ومن الأعمال الصالحة والحميدة التي حققها وهو على رأس قطاع الشؤون الدينية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قام بتعداده بنفسه في مقالته التي افتتح بها إحدى أعداد مجلة الأصالة التي جاء فيها[2]: كنا قد اجتمعنا في مثل هذه الأيام من السنة الماضية وكنا وعدناكم بأن الوزارة ستبذل قصارى جهدها في حل كل المشاكل المطروحة على القطاع الديني الذي شرفنا الله بالانتماء إليه والإشراف عليه وها نحن اليوم نلتقي لنستعرض معكم ما تم إنجازه منذ ذلك الوقت وما هو في طريق الإنجاز:

1- تعميم تعليم مادة الدين في جميع مستويات التعليم الابتدائي والثانوي والعالي مع جعلها مادة أساسية.

2- تعليم القرآن في مدارس تابعة للمساجد حرصا على تحفيظ كتاب الله لأبنائنا وبناتنا.

3- تسوية الحالة الإدارية للأئمة بالترسيم والترتيب لكل من توفرت فيه الشروط لذلك.

4- تسوية الحالة المالية للأئمة بمحو الفوارق التي كانت موجودة بينهم وبين غيرهم من الموظفين، وهذا بعد أنّ وقع سيادة الأخ الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية والأمين العام للحزب المرسوم رقم:80 – 17 المؤرخ في 15ربيع الأول عام 1400هـ الموافق لـ 2 فبراير 1980م.

---

1 بوعلام باقي: وداع القرن الرابع عشر، مجلة الأصالة، المجلد 22، ع75، ص2-12

2 المصدر نفسه

5- فتح أبواب المساجد من الفجر إلى العشاء للمصلين والذاكرين والدارسين.

6- إلزام جميع المواطنين باحترام حرمة المساجد وتحقيق الوئام فيها. حيث يقول الشيخ بوعلام: (المسجد يجمع ولا يفرق وكل من سعى في التفرقة بين فئات المسلمين؛ الدين منه براء مهما كانت علته التي يتعلل بها لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك)[1].

7- إلزام الجميع بآداب المساجد ومحاربة أنواع الفتن فيها. فيقول: (وليس من الآداب في شيء أن تصبح مساجدنا وهي بيوت الله محلاً للضوضاء والغوغاء والجدال والفتنة، فيا ويح من يتسبب في إيقاد نار الفتنة في المسجد ولو بدعوى محاربة البدعة،...، ولا بدعوى تغيير المنكر. فلتتق الله في بيوت الله وليسع كل داعية بالمسجد في طلب مرضاة الله وليدع إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة، وليتجنب كل ما من شأنه أن ينفر طائفة من المصلين ولو كانت طائفة أخرى عنه راضية عملاً بقوله تعالى:﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[2]. وعملا بتوجيهات صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم في قوله «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا: وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**»[3])[4].

8- محاربة ظاهرة السب واللعن من أعلى المنابر.....

3- مواقف رائدة على رأس وزارة العدل:

- عين وزيراً للعدل لمدة سنتين في حكومة محمد بن أحمد عبد الغني الثانية، وهي ثاني حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، واستمرت من 15 يوليو 1980م إلى 12 يناير 1982م.

1/ بوعلام باقي: وداع القرن الرابع عشر، مجلة الأصالة، المجلد 22، ع75، ص2-12

2/ سورة آل عمران الآية 159

3/ أخرجه البخاري ومسلم

4/ بوعلام باقي: وداع القرن الرابع عشر، مجلة الأصالة، المجلد 22، ع75، ص2-12

- وعين وزيراً للعدل لمدة سنتين كذلك في حكومة عبد الغاني الثالثة وهي ثالث حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، واستمرت من 12 يناير 1982 إلى 22 يناير 1984.
- وعين وزيراً للعدل لمدة سنتين في حكومة أحمد طالب الإبراهيمي الأولى.وهي رابع حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، واستمرت من 22يناير 1984 إلى 18فبراير 1986.

وكان الشيخ بوعلام باقي – كعادته عند تحمله لأي مسؤولية – رجل المواقف الثابتة، وصاحب القرارات الصارمة. وخير مثال على مواقفه الصائبة المصلحة وهو على رأس وزارة العدل؛ مساهمته في سن قانون الأسرة الجزائري في 9 جوان 1984م، وبذلك وضع حد للصراع والجدل الطويل الذي صاحب التشريع لهذا القانون، حيث بقيت الأسرة الجزائرية منذ الاستقلال وإلى بداية الثمانينات (تعاني من فراغ قانوني، بالرغم من محاولات التشريع، والتي كانت تتأرجح في كل مرة لصالح أحد الطرفين: الإسلامي أو التغريبي)[1].

عمل الوزير بوعلام باقي –ممثل الحكومة– على التأكيد على غلبة التوجه الإسلامي، باعتباره خيار الغالبية العظمى للشعب الجزائري من جهة؛ ومن جهة ثانية باعتباره خيار الدولة التي اعتبرت الإسلام ديانتها الرسمية.

ويتميز هذا القانون الجديد بما يلي[2]:

1– صيغت معظم مواده من أحكام الشريعة الإسلامية.

2– أخذ بمختلف المذاهب الفقهية، ولم يتقيد بمذهب فقهي معين.

---

1 نور الدين زمام وبن قفة سعاد: قانون الأسرة الجزائري بين المشاركة السياسية وسياسة المشاركة، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع7، جانفي 2012، ص149–169

2 المرجع نفسه، ص149–169

أ- موافقة الأعراف السائدة في المجتمع الجزائري التي لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية.

4- بوعلام باقي رئيس اللجنة الدينية لجامع وهران الكبير:

منذ استرجاع السيادة الوطنية ونفوس خيرة كثيرة من أبناء الباهية وهران تطمح إلى تشييد مسجداً يليق بمدينتهم -عاصمة الغرب الجزائري - ليزيدها تألقاً وبهاءً إسلامياً خالصاً؛ ويضاهي ويفوق المعالم المسيحية واليهودية بالمدينة، مثل الكاتيدرائية، في شارع جمو بوتنييس، التي تحولت بعد الاستقلال إلى مكتبة، أو الكنيس اليهودي في شارع معطى محمد الحبيب، الذي صار مسجد عبد الله بن سلام. وبعد أن قرر الرئيس الراحل هواري بومدين إنجاز جامعة الأمير عبد القادر بعاصمة الشرق قسنطينة، وقام بوضع حجر أساسها سنة 1970م؛ وفي العام الموالي مباشرة تحول الحلم إلى مبادرة عملية تجسدت في تأسيس جمعية 1971م تعنى ببناء مسجد كبير بوهران.

لكن الكثير من الظروف والمشاكل تسببت في تأخير الانطلاق في إنجاز هذا المشروع الضخم. إلى أن (تدخلت السلطات العمومية في سنة 1995م وسجل مشروع الجامع في برنامج الدولة الجزائرية، وتم رصد غلاف مالي قدّر بـ10 ملايير سنتيم من الخزينة العمومية للانطلاق في الإنجاز، مع فتح باب التبرعات في مساجد)[1]، وتم تحديد اللجنة الدينية. وشاءت الأقدار أن يُختار لرئاستها الشيخ بوعلام باقي، وفي عضوية اللجنة وجهاء المدينة. فانطلق على يديهم-بعد انتظار طويل- مشروع الجامع الكبير في 5 جويلية 2000م.

وصار حلم الشيخ بوعلام باقي هو إتمام إنجاز هذا الجامع الكبير، وقد منّ الله عليه بتحقيق حلمه؛حيث حضر تدشينه مع افتتاح تظاهرة قسنطينة عاصمة

1 http://www.elkhabar.com/press/article/13032

الثقافة العربية يوم الجمعة 17 أبريل 2015م، وفتحت أبوابه للمصلين لأداء أول صلاة جمعة به في نفس اليوم.

ثالثاً- نماذج من فكر الشيخ بوعلام باقي

1- أولويات الإصلاح عند الشيخ بوعلام باقي:

الشيخ بوعلام مثل باقي رجال الإصلاح درس واقع الأمة بتعمق، وأدرك أسباب انحطاطها، فعلم بيقين أن جوهر القضية في انحطاط المسلمين يكمن في تركهم المنهج الرباني الشامل والكامل، وابتعادهم عن القرآن والسنة علما وعملاً، ولا سبيل للخروج من هذا البلاء إلاّ بثورة شاملة على أسباب الانحطاط، وبداية الفرد المسلم لأنه الأصل ثمّ الجماعة. والانطلاق لابد أن يكون من النفس؛وتغيرها يكون بتطهير بواطنها من كل ما اعترها من (ضلالات ملأت الأدمغة، وعنقت بالعقول، وفرخت في الصدور)[1]، فطمست بريق الإيمان، وشلت حركة العقول.

وبعد تعهد الإنسان نفسه ينتقل إلى أهله وأقرب الناس إليه؛يقول الشيخ بوعلام باقي: (إنّ الحكم بما أنزل الله جامع شامل، وليبدأ كل واحد منا بتحكيم شريعة الإسلام في نفسه وأهله قبل أن يتوجه لإصلاح غيره من أفراد المجتمع. فالله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه:﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2]. فإذا أصلحنا أنفسنا في جميع مظاهر حياتنا الظاهرة والباطنة وإذا أصلح كل منا أهله وأولاده تمّ صلاح المجتمع أسوة بما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عشيرته وأهله وما سوى ذلك إلاّ صيحة في واد ونفخ في رماد، وما سوى ذلك إلاّ ادعاء ودعوة إلى الشيطان لا دعوة إلى الله)[3].

---

1 أحمد الرفاعي شرفي: مقالات في الدعوة ج3،ص62

2 سورة الشعراء، الآية 214

3 بوعلام باقي: وداع القرن الرابع عشر. مجلة الأصالة، المجلد 22، ع75، ص2-12

2- موقف بوعلام باقي من ظاهرة التكفير:

ينبذ الشيخ بوعلام باقي ظاهرة التكفير بين المسلمين فيقول[1]: إنّ الدين دين الله وليس حكراً على أولئك الذين يبيحون لأنفسهم بغير حق تكفير النّاس وهم يشهدون أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالشيخ الذي تشرب المبادئ الإصلاحية من كبار أعلامها؛ يؤكد على أنه على نهج شيوخه، الذين ساروا منهج علماء السلف الصالح؛ فعلماء الجمعية (بالعقيدة السلفية قائلون، ولما مات عليه الأشعري موافقون، وعلى ضابط السبكي ناهجون)[2]. أما ما مات عليه الأشعري فيقصد به قوله لأبي علي السرخسي عند احتضاره: (أشهد على أَنِّي لَا أكفر أحدا من أهل هَذِهِ الْقبْلَة لِأَن الْكل يشيرون إِلَى معبود وَاحِد وَإِنَّمَا هَذَا كُله اخْتِلَاف الْعبارَات)[3].

أما ضابط السبكي المعتمد فقوله في رسالة الاعتبار ببقاء الجنة والنار عند رده على ابن تيمية في مسألة فناء النار:(ولا أكفر أحدا معيناً من أهل القبلة بلساني ولا بقلبي ولا بقلمي؛ إلاّ أن يعتقد مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا ضابط التكفير عندي)[4]. والمعنى هو الاحتراز الشديد من مسألة التكفير؛ لأنّ له أحكام تفصيلية شرعية دقيقة لا يعلمها إلاّ أهل العلم الشرعي المتمكنين من قواعد الشرع وأصول الحقوق والواجبات، فلا يجوز بأي حال التجاوز في مسألة التكفير، بأن (يتولاه أفراد الناس في بعضهم، وإنما يتولاه الإمام الذي إليه القيام بتنفيذ الأحكام وفصل الحقوق)[5].

---

1 بوعلام باقي: وداع القرن الرابع عشر، مجلة الأصالة، المجلد 22،ع75، ص2-12

2 مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره،ط3، دار البعث، قسنطينة، 1403هـ/1982م، ص25

3 (ابن عساكر) أبو القاسم ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت،1404هـ، ص149

4 (السبكي) أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي: رسالة الاعتبار ببقاء الجنة والنار،جمع زاهد الكوثري، مطبعة الترقي، دمشق، 1247هـ، ص77

5 عبد الحميد بن باديس:مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ط1،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث،1402هـ/ 1982م، ص129

3- الشيخ بوعلام باقي يدعو إلى جماعة المسلمين:

أهم أسباب التخلف عند المسلمين أمران أساسيان هما: الابتعاد عن القرآن والسنة علماً وعملاً، ثمّ التفرق وترك الجماعة المأمور بها شرعا. وكما يقول النبهاني فإن انحطاط أمة الإسلام يعود إلى (مخالفة الدين الذي بناه رب العزة على أحكم نظام وأمتن أساس، وهيأ حوله من الرغبة والرهبة مالا عهد به لشعب، ولا لملك، بل ولا لأهل ملة، ... وأوصى كل نفس عن هاته الأمة – التي مثلها بجسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر البدن – بأن تكون حارسة على الوحدة الإسلامية، ولا تنام على الذب عن الجامعة، وأنزل كتاباً بينه رسوله صلى الله عليه وسلم علما وعملاً ليكون النظام الذي تهرع إليه الأمة في كل شأن من شؤونها دينية ودنيوية، والملجأ الحصين الذي تفزع إليه في كل وقعة مدلهمة)[1]. فلا نهوض ولا حياة لهذه الأمة إلاّ بالرجوع إلى الأصلين علماً وعملاً، مع لزوم الجماعة الإسلامية.

(وكل من سعى في التفرقة بين فئات المسلمين؛ الدين منه براء مهما كانت علته التي يتعلل بها لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك)[2].فالرغبة في الإصلاح لا تبرر المناهج والأساليب الخاطئة التي تؤدي إلى التفرقة بين المسلمين.

4- الشيخ بوعلام باقي يحارب الشرك والإلحاد:

يؤكد الشيخ بوعلام باقي على وجوب محاربة الشرك والإلحاد بجميع الصور الموجودة؛ (سواء تشخص هذا الإلحاد في الشيوعية أو في غيرها من المذاهب الاجتماعية الأخرى التحررية منها أو الرجعية سواء تشخص هذا الشرك في الأديان الأخرى أو في معتقدات بعض المسلمين أنفسهم)[3].وهذا عين منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

---

1 الرفاعي الشرفي: مقالات وآراء، ص60

2 بوعلام باقي: وداع القرن الرابع عشر، مجلة الأصالة، المجلد 22، ع75، ص2-12

3 المصدر نفسه

5- اشتراكية الشيخ بوعلام باقي:

لقد اتخذت الدولة الجزائرية من الاشتراكية منهجا إيديولوجيا لها؛ من أجل إعادة بناء نفسها، وهو أمر مؤكد في جميع المواثيق الرسمية للدولة؛ انطلاقاً من ميثاق طرابلس للحكومة المؤقتة [جوان 1962]، إلى الميثاق الوطني[جوان 1976]. الذي وضع الأسس العامة للدولة الجزائرية الاشتراكية في 14 مادة. فقرر أنّ (الاشتراكية خيار الشعب الذي لا رجعة فيه. وهي السبيل الوحيد الكفيل باستكمال الاستقلال الوطني. ومفهوم الاشتراكية، طبقا لما ورد في الميثاق الوطني نصا وروحا، هو تعميق لثورة فاتح نوفمبر 1954 ونتيجة منطقية لها. فالثورة الجزائرية ثورة اشتراكية تستهدف إزالة استغلال الإنسان للإنسان، شعارها: "من الشعب وإلى الشعب"...)[1].

ويجب التنبيه على أنّ هناك فرق شاسع بين الاشتراكية الجزائرية؛ وأنواع الاشتراكيات الغربية؛ لأنّ هذه الأخيرة -نظرا لعوامل تاريخية واجتماعية خاصة-؛ قد ارتبط تاريخها الطويل بالنزعة المادية الإلحادية،أما في الجزائر (حيث لا تتدخل العوامل النفسية- التاريخية، لا يوجد أيّ سبب أو حجة للخلط بين الاشتراكية والمادية. علاوة على أنّ معنى اشتراكيتنا -كما يقول مالك بن نبي- قد حُدِّد بما فيه الكفاية عن طريق تحديّ مذهبنا المفاهيمي المتمثلين في: الإسلام، والعروبة. فكل سياسة لكي تُعرف نفسها كسياسة جزائرية، يجب أن تظل وفية لينابيعها الروحية: ولرسالة الشهداء، وموثق الأحياء)[2].

هذا المعنى أكده الشيخ بوعلام باقي،وقد كان أحد رموز الدولة الجزائرية المستقلة المساهمين في معركة البناء والتشييد فيها، وإنّ كانت اشتراكيته في بدايتها من

---

1 دستور1978، المواد: من 10 إلى24

http: /www.el-mouradia dz/arabe/symbole/textes-constitution

2 مالك بن نبي: القضايا الكبرى، دار الفكر المعاصر، بيروت،ط1، 1420هـ/1991م، ص120

باب المسايرة لاختيار الدولة؛ إلاّ أنّ هذا لا يعني بالضرورة أن الأمر مجرد متابعة ومداهنة، فالشيخ بين موقفه بوضوح ودافع عن خياره الاشتراكي بكل قناعة وحماس،حيث قال بصريح العبارة[1]: (لكن كفرنا بالماركسية الملحدة يجعلنا أشد تمسكاً بالاشتراكية التي اخترناها لبلادنا، تطبيقاً للكفالة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام وقضى بها على الطبقية وسوى بفضلها بين الناس فتضمنها القرآن بمبادئها خشية أن يبقى الرزق دولة بين الأغنياء ويقع الترف فيفسد المجتمع ويتسبب في دماره، كما تضمنها الحديث بنفظها ومعانيها...). وبهذا يتضح موقفه الوسطي المعتدل من مسألة الاشتراكية، فقد تبناها خياراً اقتصادياً واجتماعياً لتحقيق مصلحة البلاد والعباد وفق المبادئ الإسلامية الملائمة للواقع الجزائري، وبعيداً كل البعد عن جوانبها المادية والإلحادية.

1 بوعلام بقي: وداع القرن الرابع عشر. مجلة الأصالة. المجلد 22،ع 75، ص 2-12

الشيخ بوعلام باقي من كبار رجال الحركة الإصلاحية المعاصرة، وقد جمع في شخصيته بين العمل الجاد والفعال؛ وبين الفكر الوسطي البناء.فمن الناحية العملية ساهم قبل الاستقلال في نشطات الحركة الإصلاحية بكل عزيمة،فكان مربياً ومعلماً ومديراً بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما كان من سفراءها المعتمدين للتعليم الصيفي، بالإضافة إلى قيامه بالوعظ والإرشاد خلال شهر رمضان الفضيل.

بعد الاستقلال صار بوعلام باقي من رموز وأركان الدولة الجزائرية المستقلة، حيث تقلد عدة مناصب سامية؛ من التفتيش بقطاع التربية، إلى التمثيل النيابي، ثمّ وزيراً في ست حكومات انتقل خلالها بين وزارتي الشؤون الدينية والعدل.وقد سجل له التاريخ مواقف وأعمال رائدة أثناء قيامه بهذه المسؤوليات.

أما من الناحية الفكرية، فقد كان في جميع مراحل حياته وفيا لتكوينه الإصلاحي، ولمبادئه الفكرية المحافظة؛ وذلك على الرغم من مغريات المناصب التي تقلدها، فقد كان فكره وسطي معتدل مطارداً ومحارباً لكل الظواهر السلبية داخل المجتمع الجزائري وخارجه كذلك. وبعبارة جامعة كان بوعلام باقي رجل صالح مصلح في أفكاره وأعماله وجميع مواقفه.

أصالته وإسهامه
الفكري والعلمي

بوعلام باقي إسهاماته الإسلامية خدمةً لقيم الوطن وتقويةً لهويته

أ.د/ كمال لدرع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

توطئة:

ودّع الشعبُ الجزائري يوم الاثنين 16 جانفي 2017م المجاهد المخلص والسياسي الهادئ والمثقف المعتدل وأحد رموز الدولة الجزائرية وأحد وزرائها المرموقين بوعلام باقي عن عمر ناهز 95 سنة. الفقيد من عائلة ثورية ووطنية، وقد استشهد العديد من عائلته إبان الثورة الجزائرية. كان مناضلا في حزب الشعب الجزائري منذ خريف 1945م. وكان رحمه الله قد تقلّد عدة مسؤوليات ومناصب في هرم الدولة بعد استقلالها، ففي ثمانينات القرن الماضي عُيّن في منصب وزير الشؤون الدينية ثم وزيرا للعدل. كما انتُخب المرحوم نائبا في المجلس الشعبي الوطني سنة 1977م، وهذا يدل على أن المجاهد بوعلام باقي لم يتوقف عن العطاء والعمل والتفاني في خدمة وطنه، كما خدمه في مرحلة الجهاد المسلح ضد المستعمر الظالم الذي عاث في الجزائر فسادا وتقتيلا واستغلالا لثرواتها، وتعديا على حرمات أهلها، وانتهاكا لحرمة الدين والمقدسات. وبعد سجل حافل بالجهاد والتدريس والمناصب العليا في هرم الدولة، منح رحمه الله التقاعد بناء على طلبه ،فعاش بين وهران والبيض، مسقط رأسه، ملازما للمسجد في كل مراحل حياته، وظل يملأ أوقاته بقراءة القرآن والمطالعة إلى آخر أيامه.

أولا: تكوينه الديني والعلمي وتشبعه بالقيم الإسلامية والوطنية[1]:

ترعرع بوعلام باقي في أحضان أسرة ذات نسب عريق محافظة، فتلقى من والديه الأخلاق والقيم النبيلة وحب الدين، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين.رحل من البيض مسقط رأسه إلى تلمسان للدراسة وعمره خمس عشرة سنة، حفظ القرآن الكريم، ثم دخل المدرسة حين بلغ السادسة من عمره، إلى أن نال منها ما أهله للدخول إلى المدرسة الإسلامية الفرنسية بتلمسان[2] سنة 1937م عن طريق مسابقة، قضى بها الأربع سنوات، محتلا المرتبة الأولى، مما جعله ينجح في الامتحان النهائي. وفي فترة تواجده في مدينة تلمسان، تأثر بالأفكار الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن طريق الأنشطة المختلفة التي كانت تقوم بها الجمعية في دار الحديث التي كان يشرف عليها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

1- من مقال محطات في حياة المجاهد بوعلام باقي (1922-2017)،أ.د.شكيب أرسلان باقي، نجل المجاهد بوعلام باقي.

2- تفطن الاستعمار إلى إنشاء مدارس تابعة له، يديرها بنفسه، ويركز فيها على تلقين الثقافة الغربية، فأنشأ سنة 1850م ثلاث مدارس ذات برامج خاصة، تُدرس فيها مواد شرعية واللغة العربية واللغة الفرنسية موجهة على وجه الخصوص لتخريج موظفين تحتاجهم الإدارة الفرنسية كالمفتين والقضاة والعدول والتراجمة ومعلمي مادة اللغة العربية، وأسند تسييرها إلى المستشرقين. فأنشأت ثلاث مدارس حكومية رسمية ذات مستوى متوسط في كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان ويطلقون عليها كل منها اسم: (LaMedersa). وكانت في البداية تدرّس المواد الدينية كالفقه والتوحيد، ومواد الأدب، وفضلا عنتدريس اللغة العربية، ثم أدخلت فيها اللغة الفرنسية. وأصبحت تسمى فيما بعد بـ "المدارس العربية الفرنسية"، أو الفرنسية الإسلامية (فرانكو-آراب أو فرانكو ميزولمان). وهي مدارس تخضع لإشراف الحاكم العام والسلطات العسكرية، وتخضع لتسيير المستشرقين. وهناك من العلماء من أيّد إنشاء هذا النوع من المدارس، منهم الشيخ ابن الموهوب الذي ساند بقوة مشروع حكومة "شارل جونار" في نشر العلم بين الجزائريين عن طريق المدارس الفرنسية والدروس المسجدية المنظمة من قبل الإدارة. (أ.د. كمال لدرع، الشيخ بن الموهوب مفتي قسنطينة -حياته وآثاره-، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، طبع بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015م، ص:30).

وفي شهر جوان 1941 أنهى دراسته بمدرسة تلمسان بعد نجاحه متحصلا على المرتبة الثانية في مسابقة نهاية السنة الدراسية، وكان النظام يقتضي أن يتنافس المتخرجون من المدارس الرسمية الثلاث الموجودة بالجزائر وتلمسان وقسنطينة من أجل الدخول إلى المرحلة العليا المفتوحة بالمدرسة الثعالبية[1] بالجزائر العاصمة، وقد سمي فيما بعد معهد الدراسات العليا الإسلامية. وهكذا انتقل من مدرسة تلمسان إلى المدرسة الثعالبية بالجزائر سنة 1941م. وقد انخرط الطالب بوعلام باقي – كباقي معظم طلبة المدرسة الثعالبية – في النشاط السياسي متأثرا بأفكار حزب الشعب الجزائري، وبالخط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانضم إلى السكان الأهالي الذين وقعوا بيانا ضمنوه مطالبهم الشرعية سلموه إلى القيادات المختلفة التي أصبحت على رأس البلاد، وهكذا تأسست جمعية أحباب البيان والحرية من مناضلي حزب الشعب الجزائري وأتباع فرحات عباس وجمعية العلماء المسامين الجزائريين. ثم توجه إلى المغرب الأقصى سنة 1943م حيث مارس هناك مهنة التعليم، ثم عاد إلى وطنه سنة ليشاطر قومه محنتهم أعقاب مجازر الثامن ماي 1945م[2].

كما كُلّف بوعلام باقي بتفعيل دور الكشافة الإسلامية وتأسيس أول فرع لها بالبيض، وهو فوج بودرقة الذي أصبح الأستاذ الشيخ بوعمران محافظا محليا وبوعلام باقي مرشدا له ومحمد بن عبد القادر حميتو رئيسا للجنة. وسرعان ما كان رد فعل الحاكم العسكري الذي استدعى السيدان الشيخ بوعمران ومحمد بن عبد

1– إحدى المدارس الثلاث التي أنشأتها فرنسا بغرض إيجاد أشخاص متكونين للاستفادة منهم في بعض الوظائف التي تخدم الإدارة الفرنسية، وهي معروفة بالمدارس (الفرنسوية الإسلامية–**Franco Musulmane**. فأنشأت المدرسة الثعالبية التي فتحت أبوابها في عهد الحاكم الفرنسي (جونار) سنة 1904 م، مع أن مرسوم إنشائها صدر سنة 1850م، ودرّس فيها شيوخ كبار أمثال الشيخ عبد القادر المجاوي (وُلد بتلمسان سنة1848م/ وتوفي يوم 24 سبتمبر 1914م بقسنطينة ودُفن بها).

2– من مقال محطات في حياة المجاهد بوعلام باقي (1922–2017).أ.د.شكيب أرسلان باقي، نجل المجاهد بوعلام باقي.

القادر حميتو محاولا بكل الوسائل إبطال المشروع: تارة بالتهديد وتارة بالحيلة، طلبا أن يبقى الفوج تابعا للآباء البيض، فكان ردهما بأن للكشافة الإسلامية وجود قانوني في الجزائر ولها الحق في تأسيس فروع في مختلف جهات الوطن، فلم يجد الحاكم العسكري حجة لمنع الفرع من الوجود وأكتفى بالتحذير. ثم انضم إليهم قادة راشدي كقائد لقسم الجوالة الذي كان معظمهم من مناضلي الحزب الذين شجعهم بوعلام على الانخراط في الفرع الكشفي فتم لهم ذلك بحكم وجوده مرشدا حتى أصبح قسم الجوالة يعد الكثير منهم أمثال حسني ومحمد بن الحاج أحمد حميتو وأحمد تبون وأحمد بالطاهر ومحمد بن محال والمداحي حجيج وقادة بومدين... وكان بوعلام باقي يحرص في الدروس التكوينية التي كان يقدمها للكشافة على غرس الروح الوطنية في النفوس وتحفيظهم الأناشيد الوطنية والكشفية.

فمن خلال هذه المسيرة الحافلة، يلاحظ على السيد بوعلام باقي أنه مسلم، متشبع بالروح الوطنية، ذو ثقافة إسلامية. أخذ من علم والأفكار الإصلاحية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التيدعت إلى تحرير العقول من الجهل، وإصلاح الدين من الخرافات والبدع، وقام بمهمات لصالح الجمعية، ثم تشبع بفكرة الاستقلال من حزب الشعب الذي ناضل فيه قبل الثورة؛ بهذا التنوع الفكري الديني الوطني ترى وتكوّن بوعلام باقي.

ثانيا: حبه للعلم والتدريس:

نظرا لحب الأستاذ بوعلام باقي للعلم، كان شغوفا بمهنة التدريس، وتلقين العلم للناشئة، باعتباره طريقا فعالا للإصلاح والتربية، ووسيلة مباشرة لتغيير الإنسان وتأهيله ليتحمل مسؤوليته، وليقوم بواجبه تجاه أمته عن علم وبصيرة. فعندما توجه إلى المغرب الأقصى سنة 1943م، مارس هناك مهنة التعليم: وآثرها على غيرها من

الوظائف، فعلّم اللغتين العربية والفرنسية بمدرسة واد زم جنوب شرق الدار البيضاء على بعد نحو 155 كم.

وعندما استقلت الجزائر سنة 1962م عاد من المغرب، ونظرا لحبه للعلم طلب من الرئيس أحمد بن بلة السماح له بالعودة إلى التدريس والابتعاد عن السياسة، فعُين أمينا عاما لوزارة التربية، فقضى فيها شهرين، ثم طلب الإعفاء فتم تعيينه مفتشا للتعليم الابتدائي بوهران ثم نائبا لمفتش أكاديمية وهران في سبتمبر 1963. وبعد مناصب أخرى تقلدها، عاد إلى قطاع التربية، ففي شهر جويلية 1974م تم تعيينه مفتشا عاما للإدارة بالقطاع الغربي، وهكذا ترك الأكاديمية وشرع في التفتيش العام للثانويات والمتوسطات.

ثالثا: صفاته الشخصية:

المعروف عن الأستاذ بوعلام باقي أنه كان هادئا بشوشا، له علاقة طيبة مع جميع الناس، منصتا للآخرين، ومحترما لآراء المخالفين،محبا للعلم، يطالع كثيرا، له تنوع ثقافي ولغوي، لم يدخل في صراعات وخلافات مع رفقاء السلاح، ينبذ الجهوية والطائفية، ويرفض توزيع المناصب والوظائف على أساس جهوي أو عرقي[1].

كان متشبعا بالقيم الوطنية، له غيرة شديدة على دينه وبلده، يقف بشدة ضد كل من يمسّ بهما.هو رجل إصلاح، ورائد من رواد العلم والفكر والمعرفة، ومجاهد خدم الثورة الجزائرية بالقلم والعرق والسلاح.

ولما استقلت الجزائر، وانتزعت سيادتها بالقوة والنار والدماء من فرنسا الظالمة الغاصبة، وقع صراعٌ وتنافسٌ بين بعض قادة الثورة على حكم الجزائر، واحتدم الخلاف بين رفقاء السلاح، مما جعل بعض المجاهدين المخلصين ينسحبون من تلك الصراعات حفاظا على الجزائر وحقنا للدماء، ومنهم المجاهد بوعلام باقي أحد

[1]– نصيرة سيد علي http://elhiwardz.com/?p=73157

القدماء السياسيين،فينسحب بعد الاستقلال من ذلك المعترك الذي وقع على سلطة الحكم، مما جعله يطلب مهاما لا صلة لها بالصراع، فتولى وظيفة التفتيش في التعليم الابتدائي بوهران التي استقر بها ابتداء من الموسم الدراسي الأول في الجزائر المستقلة سنة 1962 و1963م[1].

إن الذين صاحبوا السيد باقي وعايشوه وتعاملوا معه، وجالسوه، أجمعوا على أن له شخصية وطنية قوية؛ فهو من رجالات الأمة ومثقفيها، ومن شخصياتها المحترمة من قبل الجميع، أسهم في تأسيس العديد من مؤسسات الدولة الجزائرية، واستطاع الرجل بسياسته الرشيدة الجمع بين الكثير من الصفات، فهو العالم والفقيه، والسياسي والمفكر الغيور على وطنه ودينه ولغته العربية. وكان يقف بالمرصاد ضد التغريبيين والعلمانيين وأذناب الاستعمار، غيرةً على وطنه وقيمه وثوابته.

رابعا: توليه منصب وزير الشؤون الدينية وعمله في خدمة المساجد وإصلاحها:

عُين السيد بوعلام باقي بموجب مرسوم رئاسي رقم 79-57 مؤرخ في 09 ربيع الثاني 1399 الموافق08-03-1979 يتضمن تنظيم الحكومة وتشكيلها في منصب وزير الشؤون الدينية في سنة 1979م، وكانت تسمى بوزارة الأوقاف قبل ذلك، وهو خامس وزير يعين في نفس المنصب، بعد السيد توفيق المدني سنة 1962م[2]، ثم السيد تيجاني هدام سنة 1964م، ثم السيد العربي سعدوني سنة 1965م، ثم السيد مولود قاسم نايت بلقاسم سنة 1970م. ثم أعيد تعيينه في منصب وزير الشؤون الدينية سنة 1986م بموجب مرسوم رقم 86-33 مؤرخ في 19 جمادى الثانية 1406 الموافق18-02-1986 يعدل المرسوم رقم 84-12 المؤرخ في 22-01-1984 المتضمن تنظيم الحكومة وتشكيلها، خلفا للشيخ عبد الرحمن شيبان الذي عين في ذات المنصب سنة 1984م

1- http://www djazairess.com/echorouk/6938

2- مرسوم رقم 62-01 مؤرخ في 09/27/ 1962 يتضمن تعيين أعضاء الحكومة عين السيد توفيق المدني وزيرا للأوقاف.

في عهد الرئيس شاذلي بن جديد رحمه الله. وكان طيلة توليه لهذا المنصب معتنيا بالمساجد، حريصا على بنائها، وكذا المدارس القرآنية. وقد صرح الشيخ علي عية إمام الجامع الكبير بالعاصمة أن الشؤون الدينية ازدهرت في عهد المرحوم بوعلام باقي، خدم فيها القرآن والسنة، وصرح أن المرحوم تبرع من ماله الخاص بمبلغ قدره 60 ألف دج للطلبة الذين كانوا يزاولون دراستهم في العلوم الشرعية بدار القرآن التي أسسها الشيخ في عهد السيد باقي بالحراش والتي تحولت الآن إلى دار الإمام[1].

كما كان يقوم بزيارات تفقدية لمساجد الوطن، ففي سنة 1986م وهي السنة التي تولى فيها وزارة الشؤون الدينية، قام بزيارة تفقدية لمسجد أول نوفمبر بمدينة باتنة، وقد حث القائمين على البناء وكذا اللجنة الدينية على إتمام بنائه باعتباره معلما دينيا في هذه المدينة المجاهدة.

وقام حينها بإصلاح قطاع وزارة الشؤون الدينية، فرتب كل ما كان بها من المصالح المركزية والهياكل القاعدية، كما اعتنى كثيرا بمؤسسة المسجد، وأعاد له حرمته وهيبته كمكان مقدس للعبادة ولاجتماع المصلين، فحرر الأئمة من خطبة الجمعة المفروضة عليهم سابقا، حيث كان خطيب الجمعة يلقي الخطبة التي تأتيه مكتوبة من مديريات الشؤون الدينية، تاركا لكل إمام خطيب أمر إنشائها، وسمح بإلقاء الدرس يوم الجمعة والنشاط العلمي داخل المساجد، لكل من كانت له القدرة الشرعية على ذلك، فزالت الكثير من القيود التي كانت مسلطة على المساجد[2].

في سنة 1975م تأسست جمعية دينية لبناء مسجد عظيم بوهران على غرار مسجد الأمير عبد القادر بمدينة قسنطينة، اختير له اسم الشيخ عبد الحميد بن باديس وعيّن رئيسا لها وكان رئيسها الشرفي العقيد الشاذلي بن جديد الذي كان

1- من مقال محطات في حياة المجاهد بوعلام باقي (1922-2017)،أ.د.شكيب أرسلان باقي، نجل المجاهد بوعلام باقي – نصيرة سيد علي http://elhiwardz.com/?p=73157

2- المرجع نفسه.

قائدا للناحية العسكرية الثانية. وبقي حلمه رحمه الله هو إتمام إنجاز جامع عبد الحميد بن باديس بوهران، وهو المشروع الذي وضعه هواري بومدين رحمه الله، فحقق الله له ذلك حيث حضر تدشين مسجد ابن باديس في عهد وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور محمد عيسى الذي تزامن مع افتتاح تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015م، أين رُفع لأول مرة آذان صلاة الجمعة بمسجد انتظره سكان مدينة وهران أزيد من ثلاثة عقود، وحضر مراسيم الافتتاح الرسمي سكان الولاية بقوة، إلى جانب السلطات المحلية والعسكرية وممثلين من السلك الدبلوماسي المعتمد بالجزائر، منهم أسقف وهران، والوزير السابق للشؤون الدينية بوعبد الله غلام الله، وبحضور مشايخ وشخصيات من مختلف أنحاء الوطن.

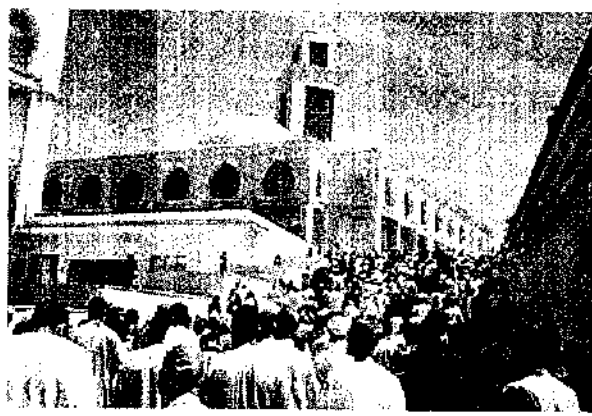

تدشين مسجد عبد الحميد بن باديس بوهران

وشجع بناء المساجد بتقديم مساعدات من مداخيل الأوقاف عن طريق الجمعيات المكلفة بإنجازها. حتى وهو وزير للعدل فتح ورشات العمل للمساجين في قطاعات الفلاحة والبناء، فشارك المساجين في بناء العديد من المساجد.

وبما أن الأئمة كانوا يتقاضون أجورا زهيدة مقارنة بموظفي قطاع الوظيف العمومي، فإنه قدم مشروعا بتصنيفهم حسب الترتيب الموجود في التعليم بمساواة الإمام للنصوات الخمس بالمعلم والإمام الخطيب بالمدرس والإمام الممتاز المكلف بالخطبة والدروس بالأستاذ. وأنشأ سنكا لمعلمي القرآن وفتح لهم خمسة آلاف منصب مع قبول الزيادة في العدد بعد ذلك. كما قدم مشروعا لتشجيع الناس على أداء مناسك العمرة بتخصيص مبلغ من العملة الصعبة لها فقبل المشروع بالحاح منه بعد أن أظهر مزاياه. وجعل للجزائر نفوذا دينيا في دولة السينيغال عن طريق التيجانية، التي لها مكانة كبيرة في إفريقيا، وتمكنه أيضا من جعل مسجد باريس تابعا للجزائر، بعد مناقشات متواصلة مع السلطات الفرنسية، حيث ما فتئ سفير المغرب بفرنسا يدعي بأن المسجد بناه ودشنه الملك المغربي مولاي يوسف فمن حق المغرب إذن أن يتولى تسييره[1]، مع العلمي أن فرنسا عينت الشيخ المولود بن الموهوب القسنطيني مفتيا رسميا لمسجد باريس الذي فُتح في شهر جويلية 1926م، كما كانت مفتيا رسميا لمدينة قسنطينة ابتداء من سنة 1908م[2].

خامسا: إسهاماته في تشريع قانون الأسرة الجزائري:

لم يصدر قانون الأسرة الجزائري بعد الاستقلال مباشرة، على غرار قانون الحالة المدنية الذي صدر سنة 1970م، والقانون المدني سنة 1975م، وقانون العقوبات سنة 1966م، وغيرها من القوانين، وتأخر صدوره إلى غاية سنة 1984م في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، بمرسوم رقم: 11/84 في شهر رمضان المبارك، وذلك لوجود اختلاف بين أنصار استنباط أحكام قانون الأسرة من الشريعة الإسلامية وأنصار استنباط أحكامه من القوانين الغربية، ووقع الخلاف حول مسائل الولاية والتبني

1- من مقال محطات في حياة المجاهد بوعلام باقي (1922-2017)، أ.د.شكيب أرسلان باقي، نجل المجاهد بوعلام باقي.

2 - أ.د. كمال لدرع، الشيخ بن الموهوب مفتي قسنطينة -حياته وآثاره-، ص: 143و144.

والطلاق وتعدد الزوجات وغيرها. لكن بما أن المجتمع الجزائري مجتمع مسلم والقوانين الغربية لا تنسجم مع الوسط الاجتماعي، فقد انتصر اتجاه استمداده من أحكام الشريعة الإسلامية.

وهنا نسجل ما قام به السيد بوعلام باقي وهو وزير للعدل وحرصه الشديد في إصدار قانون الأسرة مستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية.

فقد أسهم رحمه الله في تشريع قانون الأسرة الجزائري، حيث حرص هو وغيره من الغيورين على إسلام الجزائر وعروبتها وهويتها الوطنية من العلماء والمثقفين، كالشيخ عبد الرحمن شيبان وبخاصة الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي احتج بقوة، وبعث برسالة إلى السيد محمد الشريف مساعدية عضو اللجنة المركزية وأمين اللجنة الدائمة لحزب جبهة التحرير الوطني الحزب الوحيد آنذاك، على أن يكون هذا القانون مستمدا من أحكام الشريعة الإسلامية، نظرا لخصوصية المجتمع الجزائري وتمسكه بالمذهب المالكي[1]، فما كان من العلمانيين والاستئصاليين إلا أن تكالبوا عليهم وناصبوهم العداء.

وحتى بعد صدوره تباينت المواقف حوله بين معجب به، وبين داع إلى تعديل بعض مواده ونصوصه، وبين مطالب بإلغائه جملة وتفصيلا[2]، إلا أن القانون صمد أمام هذه الأصوات المتأثرة بالفكر الغربي، إلى أن تم تعديل بعض مواده سنة 2005م.

1- أحمد حماني، فتاوى الشيخ أحمد حماني، مراجعة مصطفى صابر، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، سنة 1433هـ/2012م، ج:3، ص:485 وما بعدها.

2- كمال لدرع، نظرة في قانون الأسرة الجزائري في ضوء الفقه الإسلامي، مجلة المعيار، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، العدد:01، رمضان 1422هـ/نوفمبر 2001م.

سادسا: إسهاماته في استمرار ملتقيات الفكر الإسلامي:

انعقدت بدورة الجزائر أربعة وعشرون ملتقى للفكر الإسلامي، في اثني عشرة مدينة من المدن الجزائرية: معظمها في الجزائر العاصمة، على امتداد أربعٍ وعشرين سنة، دون انقطاع، انطلقت في العطلة الشتوية أواخر سنة 1968م.

قد كانت تشرف عليه، وزارة الشؤون الدينية، وكان يحتفى به رسميا بحضور رئيس الجمهورية شخصيا وبعض المسؤولين في الحكومة، وتدوم أشغاله مدة أسبوع كامل؛ وفي الذكرى العاشرة للاستقلال وألفية تأسيس العاصمة دام أسبوعين كاملين، وهذا فضلا عن الكم الهائل من العلماء والأساتذة المدعوين من الضيوف والمحاضرين، وكان يحضره أيضا الشباب وطلبة الجامعات. وكان هناك حضور لافت للكثير من أعلام الفكر والثقافة والدعوة في العالم، أمثال: "مالك بن نبي وأحمد عروة، محمد أبو زهرة، محمد متولي الشعراوي، حميد الله، الشيخ الغزالي وطه جابر العلواني وانشراح الشال وفوقية محمود وعائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ أبو الحسن الندوي والمفكر فهمي هويدي والشيخ مصطفى الزرقا والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وغيرهم من القامات الكبيرة...، كما شارك.. بعض المستشرقين والحداثيين كالألمانية زيغريد هونكه، جاك أوستي، محمد أركون رشاد خليفة رجاء غارودي"[1]، إلا أن المفكر محمد أركون يصرح بأن: "إن الوزيرين بوعلام باقي وصديقي شيبان سعيد يمنعاني منذ 1986 عن حضور ملتقيات الفكر الإسلامي"[2]، مع أنه حضر بعضا منها واحتدم النقاش بينه وبين الشيخ محمد الغزالي، كما كان يحتدم النقاش بين المفكر رشيد بن عيسى والمشايخ والعلماء. لكن نسجل بكل فخر واعتزاز بأن ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر كانت تقريبا الفضاء الحر

1- د. شافية صديق، ملتقيات الفكر الإسلامي العالمية في الجزائر(1962-1990) استقطاب علمي متميز أم استخدام سياسي ذكي : دراسة تحليلية، مجلة المسلم المعاصر، العدد: 127، السنة 2008م.
2- المرجع نفسه.

الوحيد الذي كان متاحا للعلماء والمفكرين في العالم العربي والإسلامي؛ فكانت منفتحة على كل التيارات والتوجهات، وساحة حرة للنقاش العلمي والفكري، فيحتدم فيها النقاش والخلاف في بعض الأحيان؛ وتطرح فيها الأفكار بكل حرية وجرأة، ويُفسح فيها المجال للتعقيبات على كل المداخلات التي تلقى، ولكن دون إقصاء لأي رأي أو قناعة أو توجه، وكان الطلبة والشباب يتابعون ذلك كلّه، ويتدربون على الحوار والنقاش وقبول الرأي المخالف. وعن الاجتهاد والتفتح في الملتقى يقول الأستاذ مولود قاسم: (تبقى الموضوعات التي تختلف والشخصيات التي ندعوها كل سنة من بلدان مختلفة ومن جهات مختلفة ومن أديان مختلفة ومن مذاهب مختلفة في داخل الدين الواحد ومن أيديولوجيات مختلفة ومن قارات مختلفة أو ندعو من القارات الخمس، ندعو من أستراليا وأمريكا وآسيا كلها، ومن آسيا العربية المسلمة وآسيا الوثنية وإن كان لم يأتنا من اليابان إلى الآن إلا مسلم فقط لكن ندعو من اتجاهات مختلفة، من أيديولوجيات مختلفة ومن تيارات اقتصادية مختلفة يمينية ويسارية متطرفة ومتوسطة وفوقها وتحتها إلخ بجميع اللونيات Nuances كما يقول الرسامون والمقصود من ذلك هو النقاش هو هذا الخصب بينهم وبين الشباب)[1]؛ وقال أيضا عن انتقاء المشاركين: (نأتي بهم (أي الأساتذة) للشباب الجامعي وللشباب السنتين النهائيتين من التعليم الثانوي، ونحاول دائما اختيار مجموعة أخرى من الأساتذة من حيث الكم والكيف أو من حيث الكفاية والكفاءة أو من حيث العدد ومن حيث الاقتدار والنزاهة يكونون معهم ليردوا عليهم عند اللزوم وليصححوا الأخطاء)[2].

والملتقى الرابع للفكر الإسلامي انعقد بمدينة قسنطينة في من 8 إلى 17 جمادى الثانية 1390هـ/10 إلى 19 أغسطس 1970م، وشارك فيه 600 طالبٍ مسجلٍ، وحاضر فيه 28 عالما من مختلف أنحاء الوطن العربي والإسلامي، وتناولوا قضايا ثقافية

1- المرجع نفسه.

2- المرجع نفسه.

ودينية وتربوية ووطنية واجتماعية وفكرية، ثم في 08 – 15 شوال 1403 هـ/ 19 – 26 يوليو 1983 مانعقد ملتقى آخر حول الاجتهاد بجامعة الإخوة منتوري بقسنطينة، وقد حضرتُ شخصيا أشغالَه.

وقد حدد الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير الشؤون الدينية الأسبق عن الأهداف في مقال بعنوان مغزى ملتقيات الفكر الإسلامي[1]، ومن تلك الأهداف، تناول فترات هامة من تاريخ المنطقة التي ينعقد فيها الملتقى، وتوعية الشباب حتى يكون ابن عصره، والاستفادة من الأساتذة المشاركين – من مختلف البلدان والأديان والمذاهب والأيديولوجيات – من منهجيتهم العلمية؛لأن هذا العصر هو عصر العلم والعلوم والتجربة تجربة، نأخذ منها ما يوافقنا ونترك الآخر بروح نقدية، بروح موضوعية، بروح فاحصة، بروح ماحصة، والحرص على الاستفادة من الخبرات بحذر وانتقاء[2].

وبما أم الأستاذ بوعلام باقي رجل فكر، فقد شجع انعقاد الملتقيات السنوية للفكر الإسلامي التي كانت تشرف عليها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وكان له الفضل في جلب العلماء واستمرار ملتقى الفكر الإسلامي في فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد رحمه الله. إلا أنه كانت له نظرة نقدية تجاه ما يطرح في تلك الملتقيات، ففي حوار صحافي مطول معه وهو وزير الشؤون الدينية، قال:(وليس خاف على أحد أن اللوائح والتوصيات وكل ما يتمخض عن الملتقى تكون فائدته أكثر وأشمل لو كان لها تطبيق أو حتى شبه تطبيق في الدوائر الرسمية، وخاصة لما يتعرض لقضايا اجتماعية وللعلل التي تنخر الجسم الاجتماعي للأمة الإسلامية، يشخص العلماء المحاضرون والمعقبون الداء بل يتعدون ذلك إلى بيان وجه علاجه لكن تقديم العلاج لا يتبع لغياب من يقوم بتقديمه وهم العاملون في الميدان من

1– نقلا عن المرجع نفسه.

2– المرجع نفسه.

حكام وغيرهم، فلو اهتدينا إلى هذه الحلقة المفقودة من السلسلة لأمكن الربط بين ما يقال في الملتقى وما يطبق في مختلف المجتمعات الإسلامية. وهي عملية صعبة تكاد لا تدرك في الوقت الحاضر ونتمنى أن لا تكون هكذا في المستقبل)[1].

سابعا: نشاطه مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: (1950–1956)

نظرا لنشاطه الحزبي وفي صفوف الكشافة الإسلامية: فقد عُزل من منصبه في التدريس، إلا أنه استمر في إعطاء دروسا خاصة في بيته لأولاد بعض الأقارب مقابل أجر بسيط، وكانت زوجته تمارس مهنة الخياطة، ماهرة فتساعده على تكاليف العيش. وبي لا يبقى بلا عمل وعالة على أبيه وأخيه، تقدم بطلب توظيف إلى رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. توسط له الحاج علي حميتو لدى صديقه الشيخ البشير الإبراهيمي معيّن مدرسا بمدرسة تحت رعاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة ندرومة في أول أكتوبر 1950م، فالتحق بها تاركا زوجته الحامل في شهرها الثامن. وظل يوقع تأشيرة دفتر النفي لدى الشرطة. وما أن مرت بضع أيام على عمله بالمدرسة حتى صار عرضة لمناورات رجال الدرك الذين كانوا يأخذونه أحيانا من المدرسة عنوة من بين التلاميذ، وعلى مرأى من الناس ليرهبوا التلاميذ ويخوفوا أولياءهم. فاتصل رئيس جمعية المدرسة السيد غُزالي بالشيخ البشير الإبراهيمي في الموضوع، وفي نهاية شهر أكتوبر طُلب منه الالتحاق بمدينة غيليزان لإدارة مدرستها التي كانت تابعة أيضا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2].

وفي سنة 1951م، اشترى باسمه الشخصي قطعة أرض بالبيض، لمشروع بناء مدرسة، وأوقفها للمسجد، تحايلا على النظام الذي لم يسمح بإقامة أي مشروع يخدم اللغة العربية.فجمع مال بنائها من بعض عائلات مدينة البيض، من بينهم

---

1 – د. شافية صديق، ملتقيات الفكر الإسلامي العالمية في الجزائر(1962–1990) استقطاب علمي متميز أم استخدام سياسي ذكي : دراسة تحليلية، مجلة المسلم المعاصر، العدد: 127، السنة 2008م.

2– من مقال محطات في حياة المجاهد بوعلام باقي (1922–2017)،ا.د.شكيب أرسلان باقي، نجل المجاهد بوعلام باقي.

الحاج محمود حميتو والحاج عبد الرحمن بالسايح، وتمّ بناؤها في وقت قياسي. وفي نوفمبر 1952 دشنت المدرسة، وعُيّن الشيخ معطى الله مديرا لها، ولكن أغلقتها السلطة الاستعمارية من أول فتحها فظل الشيخ معطى الله يتقاضى راتبه ولا يعمل مدة زادت على السنة.

ثم تقرر نقله مديرا لمدرسة الفتح بسطيف ابتداء من سبتمبر1953م، وهذه المدرسة من أهم مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وكما وقع له في "ندرومة" صار عرضة للمضايقات والاستفزازات من طرف الشرطة، وبفضل وساطة السيد فرحات عباس لدى نائب العامل وتدخل هذا الأخير، عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي. وأثناء إقامته بمدينة سطيف تعرف على بعض المناضلين مثل الدكتور مصطفاي والدكتور بوعتورة والسيد حسن بلكبير الذي جمعته وإياه صداقة من أول عهده بسطيف، وكان بلكبير من مؤسسي الكشافة الإسلامية رفقة المرحوم محمد بوراس الذي أعدمه الفرنسيون رميا بالرصاص سنة 1942 بتهمة التعاون مع الألمان[1].

واحتكاك السيد بوعلام باقي بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبرجالها، وبخاصة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؛ وعمله في مدارسها، جعله يتأثر بأفكارها التغييرية. وخطها الإصلاحي، ويتشبع أكثر بالقيم الدينية، ويقتنع بواجب تعليم أبناء الجزائريين، وبمسؤولية النضال من أجل تخليص الجزائر من ظلم فرنسا، والوقوف في وجه مخططاتها الصليبية الحاقدة.

---

[1] – المرجع نفسه.

المرأة في الخطاب الإصلاحي عند بوعلام باقي
من خلال كتابه لقمانيات

د. زكية منزل غرابة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

تعد قضية المرأة من القضايا التي استحوذت على تفكير العديد من المفكرين، ولعل أبرز ما يفسر هذا الاهتمام النشط بقضايا المرأة، هو ما فتحته هذه الأخيرة من معارك فكرية ساخنة شكلت واحدة من أشدّ أنواع الاصطدام بين المنظومات الفكرية المتنازعة في رؤيتها الاجتماعية والثقافية والسياسية في العالم عموما وفي العالم العربي والإسلامي على وجه الخصوص لارتباطها الوثيق بالحياة الاجتماعية العامة والخاصة، بحيث يرتبط بها كل إنسان – رجل كان أو امرأة – من جهاتها العديدة، ويتداخل معها في أنماط من العلاقات المتشابكة النسبية والسببية، الارتباط الذي يفرض على الجميع أن يواجه بأشكال مختلفة ما تفرزه قضايا المرأة من تساؤلات أو إشكاليات أو هواجس أو وجهات نظر. هذا الوضع بهذا التداخل والاتساع كان يلح بشدّة على أن تفرض قضايا المرأة نفسها على المجتمع برمته، والتعاطي معها كقضايا حرجة وحساسة للغاية[1].

ولئن شكلت قضايا تعليم المرأة والحجاب والسفور إحدى الإشكالات التي تجاذبها أصحاب الخطاب الإصلاحي ضد دعاة التحرر، وسجل خلالها أصحاب الفكر الإصلاحي انتصارا ضد كل ما يمس المرأة ويمتهن إنسانيتها، فقد عرفت بعض القضايا الأخرى التي لا تقل أهمية وخطورة عن سابقاتها، مثل قضية عمل المرأة،

---

[1]– بدون مؤلف، "الفكر الاسلامي وقضايا المرأة "، عن موقع : http://www.startimes.com، تاريخ الدخول: 23/4/2017م.

والمساواة بين المرأة والرجل وغيرها من القضايا تجاذبات بين أبناء المنظومة الإصلاحية الواحدة.

لقد فرضت هذه القضايا نفسها نتيجة التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري والتي لم تكن بمنأى عن التغير الحاصل على مستوى العالم العربي والإسلامي والعالمي ككل، وتؤكد كل الطروحات في هذا المجال انتقالا نوعيا على مستوى المعالجة بالنسبة لقضايا المرأة في أدبيات الإصلاحيين، وقد أشار إليها أحد الباحثين إلى أن هذا الفكر" أخذ ينتقل في تناوله لموضوع المرأة من الرد على الشبهة التي ألقاها الغرب والعلمانيون العرب على الموقف الإسلامي من الموضوع، إلى محاولة بلورة صيغة ترتكز إلى الأصول الإسلامية، وتجيب، أو تتجاوب مع حاجات الأمة الإسلامية في هذا العصر. وهذا ما جعل الفكر الإسلامي يعالج هذا الموضوع الهام والأساسي والحساس على جبهتين، جبهة الصراع مع التحديات الآتية من الخارج؛ وجبهة الصراع فيما يثيره من خلافية في الداخل الإسلامي نفسه[1].

وقد وفرت معطيات التعددية الحزبية التي شهدها المجتمع الجزائري فترة أواخر الثمانينيات إلى أوائل التسعينيات الأرضية الخصبة للتعاطي مع كثير من القضايا الحساسة المرتبطة بالمرأة، أفرزت طروحات متعددة في وجهات النظر حول المرأة، حيث كان للانتماء الحزبي أو المذهبي أثره وبصمته الواضحة في كل ما أثير حول المرأة، خاصة فيما تعلق بقضية عمل المرأة والمناداة بالمساواة بين المرأة والرجل، إضافة إلى النظرة المحورية للمرأة في المنظومة المجتمعية ككل .

ويعد بوعلام باقي واحدا من الشخصيات الجزائرية التي سجلت رؤيتها الإصلاحية في كثير من القضايا التي شهدها المجتمع الجزائري، وتأتي قضايا المرأة كواحدة من أهم القضايا التي فرضت نفسها في خضم السجال والتجاذبات المختلفة

---

[1]– زكي الميلاد، "المرأة في المشروع الإسلامي المعاصر من منظور نقدي"، http://aafaqcenter.com/pos، تاريخ الدخول:2017/5/12م.

التي أثيرت بشأنها، ونجد أنفسها أمام ثلاث قضايا شائكة خاض فيها بوعلام باقي وأعطى بشأنها رؤيته تجاهها ويمكن تناولها في الآتي:

أولا: قضية عمل المرأة:

يعد خروج المرأة إلى ميدان العمل من الإشكالات التي فرضت نفسها في المجتمع الجزائري بين مؤيد ومعارض لخروجها إلى ميدان العمل، وقد تعالت أصوات خطاب التيار السلفي آنذاك لتؤكد موقفها الرافض حول خروج المرأة إلى الفضاء المجتمعي العام بله ما يتعلق بعمل المرأة، حيث يعتقد أصحاب هذا التيار أن المكان الأنسب للمرأة هو البيت أين يتوجب عليها القيام على شؤون زوجها وأولادها، وفي المقابل ظهر خطاب تنويري آخر أراد أن يقدم رؤية إصلاحية حول هذه القضية تتماشى والتطور الحاصل في المجتمعات الإسلامية على وجه العموم والمجتمع الجزائري خاصة، ويبرز في إطار هذا التيار **بوعلام باقي** الذي كتب ردا على هؤلاء الرافضين لعمل المرأة، وكان يرى أنه لا مانع من دمج المرأة في المجتمع، وأكد أنه لا حرج في أن تدخل المرأة عالم العمل، من منطلق "**أن للمرأة حقوقا لا ينكرها إلا جاحد أو عنيد لئيم، ومن جملة هذا الحقوق الحق في العمل**"[1].

والواقع أن الرجل لم يجد عناء في الاستدلال على رأيه بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فقد استحضر للرد على القائلين ببقاء المرأة في بيتها بقوله تعالى:{**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**} النساء/ 124، وقوله صلى الله عليه وسلم [**اعملي ولا تتكلي فإني لا اغني عنك من الله شيئا**] .

---

[1]- بوعلام باقي،"عمل المرأة"، ضمن كتاب لقمانيات، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر،دط،2006 م، ص82.

وإذ لا يجد بوعلام باقي مانعا من خروج المرأة إلى ميدان العمل، فإنه في ذات الوقت يربط ذلك بمحددات شرعية تكفل صيانتها من أي عوائق قد تخدش كرامتها مؤكدا في ذلك بأن الشارع الحكيم **"لا يرى في عملها بأسا مادام فيه الكسب الحلال بالطرق الحلال بعيدا عن الاختلاء ومواطن الشبهات والفساد"**[1] .

ولم يكتف بوعلام باقي بالتدليل على وجهة نظره حول حق المرأة في العمل بالرجوع إلى الكتاب والسنة وإنما راح يستحضر نماذج من خير السلف ويعدد اندماجهن في العمل الدعوي حيث يقول: **"لقد شاركت المرأة المسلمة الرجل عمله ومحنته منذ البداية فكانت خديجة أم المؤمنين أول من أسلم، وقامت أسماء بنت أبي بكر الصديق المكناة بذات النطاقين بتجهيز النبي وصاحبه الصديق حين خرجا إلى المدينة، وهاجر الكثير من المسلمات إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشارك الكثير من الصحابيات في الغزوات ولم تمنع إحداهن من هذه المشاركة إلا لعلة طرأت عليها، وأخذ الناس الكثير من الأحاديث الصحيحة عن نساء النبي أمهات المؤمنين زيادة على ما خصت به عائشة، حيث قال فيها النبي للصحابة الكرام خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء وخرجت عائشة أم المؤمنين مطالبة بدم عثمان مثل طلحة والزبير وأسند الخليفة عمر بن الخطاب حسبة السوق إلى السيدة ليلى بنت عبد الله العدوية المكناة بالشفاء كما أجاز الإمام أبو حنيفة والإمام الطبري والإمام ابن حزم إسناد وظيفة القضاء إلى المرأة**[2] .

ويتحدى بوعلام باقي الرافضين لمبدأ عمل المرأة بأن يثبتوا ما ذهبوا إليه في رؤيتهم تلك وأن يثبتوا ادعاءهم بدليل من القرآن والسنة، حيث يقول بوعلام باقي

---

[1]– بوعلام باقي، "من قضايا المجتمع"،ضمن كتاب لقمانيات، مصدر سابق،ص103.

[2]– بوعلام باقي: "عمل المرأة "،ضمن كتاب لقمانيات المصدر نفسه،ص83.

في ذلك:"**فهل من المعقول أن يطرح السؤال "من أباح للمرأة العمل؟ والعمل من طبيعة الخلق مثل الطعام والشراب .**

إن السؤال الذي ينبغي أن يوجه لأولئك الذين يجادلون في عمل المرأة ويريدون أن يحرموها من حق مشروع لها، فهل توجد آية قرآنية أو حديث شريف يمنعان المرأة من العمل ؟[1] .

ويأسف بوعلام باقي للظلم الذي تتعرض له المرأة بإبعادها عن الحياة العامة من منطلق أن المرأة تكون أقرب إلى ربها في بيتها حسب الرافضين لخروجها لمعترك الحياة، وإذ يقر الرجل بهذا الحكم فذاك من منطلق إيمانه بكفاءة المرأة وكونها نصف المجتمع الذي لا يمكن أن يتقدم إلى الأمام إلا بجناحها مع جناح الرجل "**وإذا كانت هناك دول تعمل على جاهدة لتحوز السبق في الميدان العلمي والحضاري والعمراني، فإن الدول الإسلامية أولى بذلك إذا كانت تعتقد حقا أن الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس وكيف تحوز هذه المرتبة إذا حكمت على نصفها بالشلل وأبعدت المرأة عن ميدان الحياة وإذا كانت المرأة قريبة من ربها وهي في عقر بيتها فهذا لا يمنعها من أن تكون قريبة من ربها وهي خارج البيت تشاطر الرجل معركة الحياة فيحققان معا اليوم السعيد والغد الأسعد لهذه الأمة التي ظلمها أبناؤها**"[2].

بهذه الرؤية الإصلاحية حاول بوعلام باقي أن يعيد تصحيح النظرة تجاه المرأة فيما تعلق بقضية العمل من منطلق أنه حق ثابت لها، وعلى اعتبار أن الشارع الحكيم لم ير في ذلك حرجا أن تدخل المرأة ميدان العمل طالما أن ذلك كان محكوما بالأطر المرجعية التي رسمها لها الإسلام داخل المجتمع .

---

[1]– المصدر نفسه، ص83 .

[2]– بوعلام باقي، "الاجتهاد الأعمى"،ضمن كتاب لثمانيات،مصدر سابق، ص73 .

ثانيا:قضية مساواة المرأة بالرجل:

يعد مطلب المساواة بين المرأة والرجل واحدة من المطروحات التي أثارت سجالا كبيرا في المجتمع العربي الإسلامي، وانتقل صداها إلى المجتمع الجزائري على لسان العديد من القوى السياسية والجمعيات النسوية التي كانت ترى أن المرأة قد طالها الظلم بسبب القوانين التي ترى فيها هضما لحقوقها،خاصة على مستوى قانون الأسرة، ومن ثم فإن المساواة بين المرأة والرجل يعد مطلبا ضروريا يعيد للمرأة نصابها من الحقوق التي انتزعت منها باسم القانون .

وقد تعرت المطالبة بهذا المبدأ بعد فوز الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لعهدة ثانية وإعلانه عن مراجعة قانون الأسرة بسبب الخلافات والصراعات القائمة بين مختلف تنظيمات المجتمع المدني، "بناء على ذلك تقدمت مختلف القوى السياسية والاجتماعية بمشاريع بديلة لقانون الأسرة، والتي انقسمت إلى قسمين :تمثل أحداهما في المشاريع المبنية على أساس المساواة ما بين الجنسين، بحكم أن قانون الأسرة لسنة 1984م قائم على أساس النوع الاجتماعي، لذا يجب إلغاؤه، ومن بين المنظمات النسائية المطالبة بذلك: جمعية من أجل المساواة بين الرجال والنساء أمام القانون، جمعية من أجل تحرر المرأة، جمعية النساء من أجل المساواة والمواطنة، جمعية من أجل الترقية والدفاع عن حقوق النساء[1]".

حيث انطلقت هذه الجمعيات بمطلبها هذا من كون قانون الأسرة لسنة 1984يعمل على إهانة المرأة لاحتوائه على النقاط التالية[2]:

---

[1]– نور الدين زمام،بن قفة سعاد،"قانون الأسرة الجزائري بين المشاركة السياسية وسياسة المشاركة"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة،ع7 جانفي2012م، ص162.

[2]– المرجع نفسه،ص162–163 .

- زواج المرأة لا يتم إلا بتوكيل وصائي من رجل.

- الطلاق من صلاحيات الرجل وحده، ولا يمكن للمرأة أن تحصل على الطلاق إلا بمقابل مالي تسدده للرجل.(الخلع).

- تكفل المرأة بحضانة أطفالها في حالة طلاقها، مع مغادرتها مسكن الزوجية.

بناء على ذلك جاءت مشاريع قوانين الأسرة من طرف المنظمات النسائية المطالبة بإلغائه كما يلي:إلغاء واجب الطاعة، رفض الولاية في الزواج، تحديد سن الزواج بـ 18 سنة لكلا الجنسين، المساواة في الإرث، اقتسام واجب الإنفاق على الأسرة، المساواة في إنهاء العلاقة الزوجية، سكن الحاضن من الأبوين، تقاسم المسؤولية الأبوية، رفض تعدد الزوجات[1].

في ظل هذا السجال المحموم سجل بوعلام باقي موقفه الصريح من مطلب الجمعيات النسوية بالمساواة بين المرأة والرجل عن طريق إلغاء قانون الأسرة، حيث راح يؤكد رفضه التام لهذا المطلب على اعتبار أن قانون الأسرة إنما هو مستمد من الشريعة الإسلامية التي عليها مدار التكليف، وأن ما جاء في قانون الأسرة إنما يشكل صمام الأمان للمرأة الجزائرية يقول في ذلك موجها كلامه للجمعيات النسوية :"**وأن الحبل الذي تستمسك به اللواتي يتطاولن على قانون الأسرة ويطالبن بإلغائه لأوهى من خيط العنكبوت .فشرع الله في عباده أقوى وأعلى من كل قانون والمادة من الدستور التي تجعل من الإسلام دين الدولة وهي من الثوابت التي لا يطرأ عليها تعديل أقوى من كل مادة أخرى وردت في نفس الدستور أو في قانون آخر مما يشرعه المشرعون، فلا مادة المساواة ولا مادة الحقوق ولا مادة الحريات بالتي تجردنا من ديننا أو تغير حكم الله فينا خاصة في ميدان**

[1]- المرجع نفسه،ص163 .

جاء شرع الله فيه بينا واضحا ولم يتجرأ حتى شيطان الاستعمار على صرفنا عنه فيا ويح من يحاول التنكر لهويته أو الانسلاخ من جلدته "[1] .

ولأن بوعلام باقي نتاج تربية جمعية العلماء المسلمين، فقد جاء موقفه موافقا لموقف عبد الرحمن شيبان الذي ذهب أيضا إلى الرفض القاطع لهذه المطالب المستهجنة. والذي رد بشكل صريح على هؤلاء بالقول:"أما مطالبتكم بإلغائه كلية بشتى الأسباب والمبررات التي بواعثها زيغ والحاد وطيش فإن مساعيكم في هذا المجال التبخر في فضاء الخيبة والبوار"[2] .

ويعتقد بوعلام باقي اعتقادا جازما بأن المطلب الذي تؤكد عليه الجمعيات النسوية من دعاة المساواة بين المرأة والرجل هو مطلب مستحيل التحقيق، ذلك أن سنن الله في خلقه لا يمكن أن تقبل هذا التطابق، وذلك من منطلق الخلقة التي فطر الله عليها كل طرف، والدور الوظيفي الذي يختص به أحدهما عن الآخر في كثير من الحالات، إذ الأصل في علاقتهما التكامل الذي يجعل كل منهما بحاجة إلى الآخر وبهما تتحقق الوظيفة الوجودية للإنسان وهو ما يؤكده قوله:**"وإن ما تطالب به بعض النسوة من التساوي بين الرجل والمرأة في كل ما شرع الله وفيما شرع الناس لا يكتب له أن يتحقق ولن يتحقق في أي بلد من البلدان وفي أي عصر من العصور لأنه مخالف للسنة الكونية التي فطر الله الناس عليها فجعل كل جنس يتميز بخصائصه فللرجل ما ينفرد به دون المرأة، وللمرأة ما تختص به دون الرجل وقضى الله أن يكونا متكاملين حتى إن أحدهما لا يمكنه أن يستغني عن الآخر في كثير من أحواله، فبهما تؤسس الخلية الأولى للمجتمع**

---

[1]– بوعلام باقي."من قضايا المجتمع". ضمن كتاب لقمانيات، مصدر سابق، ص102.

[2]– عبد الرحمن شيبان. "الفقه في الدين وقانون الأسرة :محاولات بائرة "،جريدة البصائر، ع183، 15–22 مارس 2004م، ص1.

وبلقائهما تحفظ البشرية وتحصل الحياة السعيدة، وبهما تتحقق إرادة الله في عمارة الأرض"[1] ..

إن الفطرة السوية حسب بوعلام باقي ردا على دعاة المساواة بين المرأة والرجل من الجمعيات النسوية هو أن يتقبل كل جنس الطبيعة البشرية التي أوجده الله عليها والوظيفة الوجودية التي لأجلها خلق، لتسير الحياة وفق النواميس التي أقرها الله تعالى: **فلا المرأة يصلح لها أن تهجر أنوثتها، ولا الرجل يصلح له أن يترك رجولته وذكورته، ففي الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وفي رواية "لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، وسواء كان هذا في المظهر أو في المخبر، عن إرادة أو بأي صفة من الصفات، فكل من الرجل والمرأة ميسر لما خلق الله له**[2]. وهذا الأمر تقتضيه الفروقات الجسمية التي خلق بها كل من الرجل والمرأة، سواء من حيث البنية الجسمية أو على مستوى الانفعالات العاطفية التي يختص بها كل منهما وهو ما يتوافق مع أصل الخلقة البشرية.

وانطلاقا مما سبق يؤكد بوعلام باقي جازما بأن المرأة التي تبتغي مساواة بالرجل خاصة فيما ميزه الله به إنما تدخل في مشاحنة مع الله تعالى في أمر قد قدره في خلقه، ومن ثم فإن مطلبها "**لن يتحقق ولو بذلت ما بذلت وما بدلت، فالرجل بقوامته إلى يوم الدين، والمرأة امرأة بما أراده الله لها إلى يوم الدين، وإلا فسدت النواميس واختلت الموازين**"[3].

---

[1]- بوعلام باقي،"بين المساواة والتساوي"، ضمن كتاب لقمانيات، مصدر سابق، ص31.

[2]- بوعلام باقي،بين المساواة والتساوي،المصدر السابق،ص32 .

[3]- المصدر نفسه،ص32 -33.

ثالثا: موقع المرأة في المنظومة الإسلامية :

لا خلاف في أن نظرة الإسلام إلى المرأة هي نظرة مقدسة تقوم في أساسها على احترام كيان المرأة كمخلوق مكرم شأنه في ذلك شأن الرجل يمتلك من الحقوق ما عليه من الواجبات، بيد أن هذه النظرة الراقية عرفت تشويها بسبب المفهوم الخاطئ لبعض الوعي فيما يتعلق بالمرأة من طرف العديد من المحسوبين على الدين الإسلامي، ناهيك عن عامل الأعراف والتقاليد التي حلت محل الشرع في النظر إلى العديد من الأمور ومنها النظر إلى المرأة من حيث قيمتها كمخلوق بشري كرمه الله تعالى.

ويستغرب المرء باقة من أولئك المحسوبين على الإسلام ممن ينظرون إلى المرأة نظرة دونية باعتبارها مجرد متاع، ليس لها من وظيفة في الحياة سوى القيام بوظيفة الإنجاب، بل وصل الأمر ببعضهم إلى الثورة على هؤلاء في محاولة لتصحيح صورة المرأة في الوعي المجتمعي بالتأسيس على محورية المودة والرحمة التي تجمع الطرفين الرجل والمرأة فكتب يرد على رؤية هؤلاء بالقول: "**إننا لم نعثر على هذا الافتراء في أي آية من آيات القرآن بل قرأنا ولا زال لبن أمهاتنا في أفواهنا ولازلنا نقرأه إلى يومنا هذا أن الله سبحانه وتعالى جعل خلق المرأة آية من آياته فقال عز من قائل "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فهذا هو السر في النكاح وقد غفل عنك أو غفلت عنه عبدة، وقد خلق الله الولود وخلق العاقر كلتاهما من خلق الله دون أن تمنع هذه الحكمة الربانية من أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى التزوج بالودود الولود مع أن زوجته المحببة أم المؤمنين سيدتنا**

عائشة كانت عاقرا، فكيف تتم الألفة والمعاشرة بالمعروف بين الزوجين إذا اقتصر عمل المرأة على الإضجاع وإنتاج الأولاد"[1].

مثل هذه الرؤية التي تعلو بالمرأة من البهائمية إلى [illegible] القائمة على المودة والرحمة التي تجمع بين الجنسين هي التي يجب أن تسود [illegible] بوعلام باقي على اعتبار أنها قائمة على تكريم الإسلام للمرأة والإعلاء [illegible] ولا أدل على ذلك انتصار القرآن الكريم لها في كثير من الآيات [illegible] كة للرجل في الحقوق والواجبات، فكتب ردا على من يرى [illegible] السي صاحبنا **كل الآيات القرآنية التي وردت في حق الرجل [illegible] حكما بدون تمييز، أم أعماه تعصبه الجنسي عن حقائق القرآن وسمو [illegible] في تكريمه للمرأة الصالحة وتحقيره للمرأة الطالحة، شأنها شأن [illegible] الح والطالح، ألم يكفه أن الله تبارك وتعالى ضرب مثلا للذين آمنوا [illegible] العزيز امرأتين صالحتين هما امرأة فرعون ومريم بنت عمران فمن [illegible] المرأة ما خلقت إلا لتلد**[2].

إن تكريم الإسلام للمرأة حسب **بوعلام باقي** قد صار [illegible] آفاق أوسع، إذ لم تعد تلك المرأة التي ارتسمت في المخيال الجاهلي [illegible] وترسخت في الذاكرة الجمعية بحكم تحكيم العادات والتقاليد [illegible] من أمرها شيئا، فحقيقة المرأة التي أعلى الإسلام من شأنها هي التي [illegible] خلقها لتعمل **في الدنيا ما ينفعها في الآخرة مثلها مثل الرجل، وما تخلف يوما لا زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا زمن الخلفاء الراشدين، ولا في عهد من تبعهم بإحسان عن ميدان من ميادين العمل، فكانت فقيهة معلمة لأمر الدين مثل**

---

[1]– بوعلام باقي: "التعدي على الإسلام في حق المرأة"، ضمن [illegible]، ص119.
[2]– المصدر نفسه، ص119.

عائشة، وراوية للحديث مثلها ومثل حفصة وأم سلمة وغيرهن من أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مجاهدة، وكانت مثلا أعلى في الورع والزهد والتصوف "[1].

ومن ثم فإن تكريم المرأة حسب بوعلام باقي أمر محسوم، وليس لأحد أن ينتكر لهذا القرار الرباني الذي حبا المرأة وأحدث في حياتها نقلة نوعية على كافة المستويات "وكيف لا تستحق التكريم من كرمها الإسلام بصفتها بنتا فحرم وأدها وبصفتها زوجة فجعلها قرينة تعاشر بالمعروف أو تسرح بإحسان فلا مضايقة ولا تسلط بل مودة ورحمة كما ورد في القرآن وكرمها بصفتها أما فجعل الجنة تحت أقدامها، وكيف لا تستحق التكريم من ضرب الله في كتابه مثلا للذين آمنوا وخاطبها الله بمثل ما خاطب به أخاها الرجل وكلفها بمثل ما كلفه به وشرفها النبي صلى الله عليه وسلم في شخص زوجته أم المؤمنين عائشة حيث قال لأصحابه خذوا نصف دينكم وفي رواية شطر دينكم عن هذه الحميراء[2] .

---

[1] – المصدر نفسه، ص119–120.

[2] – بوعلام باقي،الدين المحرر "، ضمن كتاب لقمانيات، مصدر سابق، ص78.

خاتمة:

لقد سعت هذه الورقة البحثية إلى إماطة اللثام عن بعض القضايا التي تطرق إليها بوعلام باقي في شأن المرأة، وقد اتضح أن الرجل قد تناول هذه القضايا من منطلق ما تعرضت له المرأة في المجتمع الجزائري من نظرة دونية أفقدتها كينونتها الإنسانية على لسان بعض العقليات المنتسبة للإسلام، أو العقليات المتنصلة عن الإسلام وقد حاول في كل ذلك أن يقدم رؤيته الإصلاحية الوسطية وفق الأطر المرجعية المنطلقة من الكتاب والسنة، والتي تشكل في نهاية المطاف السياج الذي يحدد حركة المرأة داخل منظومة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الجزائري المسلم .

تجليات الوسطية والاعتدال في فكر بوعلام باقي من خلال كتابه "القمانيات"

د.سعاد رباع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة:

إن إبراز خصائص الإسلام وعلى رأسها الوسطية والاعتدال وهما سمة جوهرية في هذا الدين، أمر في غاية الأهمية، خاصة ونحن نرى أعداءه يرمونه بما ليس فيه من تطرف وإرهاب وغلو وإقصاء للآخر وبث للكراهية والتعصب، ومما يؤسف له أن نقرا ممن ينتسبون لهذا الدين يساعدونهم في ذلك من خلال إساءتهم لتطبيق الإسلام، تطبيقا بعيدا عن هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– أو بعرضه عرضا سيئا يتمثل في التمسك بالقشور والانشغال بالمظاهر على حساب اللب والمخابر.

إن الإسلام اليوم أحوج ما يكون إلى من يحسن عرضه على الناس، ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجوهر ذلك هو الوسطية والاعتدال في الخطاب والحرص على كسب العقول والقلوب، ولا يتأتى ذلك إلا بالابتعاد عن التطرف والغلو وعن تبني الآراء الشاذة وحمل الناس على الأخذ بها، وكذلك بالأخذ على أيدي المتطرفين الذين لا يرون العالم إلا من خلال مناظيرهم، ووقف محاولاتهم لإقصاء من يخالفهم الرأي أو الفهم وحجتهم في ذلك نصوص مبتورة عزلوها عما سبقها ولحقها، وتترسوا وراءها ولم يعرفوا لها سياقا ولا علة أو مناسبة. ومن هؤلاء الذين وقفوا في وجه هؤلاء بهذه الروح المعتدلة وبهذا الفكر الوسطي، الأستاذ بوعلام باقي أحد رجالات الحركة الوطنية والثورة التحريرية وبناة الدولة الجزائرية بعد الاستقلال، هذا الرجل الذي عمل في صمت ورزانة وهمة عالية وخاصة في المناصب الحساسة التي تولاها في التربية والتعليم والعدل والشؤون الدينية، وكانت له مواقف حكيمة رشيدة ضمنها كتابه

"لقمانيات": الذي أفصح عن أسلوبه الراقي المؤدب في عرض آرائه ومخالفته لغيره، وتواضعه تواضع العلماء مع إلمامه بأحكام الشريعة وقواعدها وحسن فهمها وتطبيقها، وخاصة تشبعه بروح الوسطية والاعتدال التي سرت في كل صفحات الكتاب، وأسفرت عن حكم لقمانية أبرزت اهتمامه بكل ما له صلة بالإسلام ووسطيته وحقيقة الدين النيرة في ربوع هذا الوطن.فما المراد بالوسطية والاعتدال؟ وما هي تجلياتها في فكر الأستاذ بوعلام باقي من خلال لقمانياته؟ هذا ما ستحاول هذه الورقات البحثية الإجابة عنه كالآتي:

أولا: مفهوم الوسطية والاعتدال

الوسطية هي العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط وهي العدل والخير، وهي أحسن الأمور وأفضلها وأنفعها للناس وأجملها، كما تعرّف على أنّها الاعتدال وهو الاستقامة، والاستواء، والتزكية، والتوسط بين حالين[1]، وذلك في كلّ أمور الحياة ومنهاجها وتصوراتها ومواقفها، فالوسطية ليست مجرد موقف بين الانحلال والتشديد، بل تعتبر موقفاً أخلاقياً وسلوكياً ومنهجاً فكرياً، ومطلبا شرعيا ومظهرا حضاريا رفيعا: ذلك أن ما يهلك الأمم وقوعها في أحد أمرين: الغلو والانحلال.

فأما الغلو فيعني التشدد والتنطع والتعسير على الناس، وإيقاعهم في الحرج والشدة بتوسيع دائرة الواجبات والمحرمات عليهم، ورفض الرخص التي رخص الله لهم ومثل الغلو التسيب والانحلال والانفراط، بتضييع الأوامر والنواهي واستحلال المحرمات، والتفريط في الواجبات، وعدم الوقوف عند حدود الله[2]. ولكن الخير كل الخير في المنهج الوسط الذي يتجنب الإفراط والتفريط,أو الغلو والتقصير، ويرفض

---

[1]– الطبري، جامع البيان، تح: محمد محمود شاكر، مصر، دار المعارف، ج3،ص142. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد ابراهيم البنا، القاهرة، مطبعة الشعب، ج1ص275.

[2]– يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، القاهرة، دار الشروق، ط3، 2011، ص15–16.

الاستخفاف بالدين والانحلال، وهو المنهج الذي دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية وحث عليه الأمة الراسخون في العلم، ومن فضل الله أن بلادنا لم تخل من أمثال هؤلاء العاملين للإسلام بهذا المنهج الوسطي المعتدل لإنقاذ الأمة مما تعانيه من مآس ومشكلات.

ثانيا: تجليات الوسطية والاعتدال في فكر بوعلام باقي من خلال لقمانياته: لقد ظل الرجل في كل مسيرته العلمية والتربوية يدعو إلى الوسطية ويؤمن بالاعتدال في الدين، وأن من أهم خصائصه "اليسر وليس العسر" ولذلك وجدنا كتابه "**لقمانيات**" يعج بمظاهر اليسر والاعتدال، والحكمة والعقل ومراعاة أصول الفطرة الإنسانية، وقدرات الإنسان وظروف الحياة الواقعية، مستمدا ذلك من روح الإسلام الذي هو منهج وسط في كل شيء: في التصور والاعتقاد، والتعبد والتنسك، والأخلاق والسلوك، والمعاملة والتشريع ونظام الحياة كله.

وقد بين رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في كلمته بخصوص هذا الكتاب بأنه عبارة عن مجموعة من المقالات للأستاذ بوعلام باقي التي نشرت سابقا في يومية الشعب وغيرها، ولكنها كانت موقعة باسم مستعار له بسبب مناصبه التي كان يشغلها، ولأنه-رحمه الله-كان من العاملين لله تعالى في صمت ومن هؤلاء الذين لا يحبون أن تعلم شمائلهم ما قدمته يمينهم، فطلب منه أن يجمع تلك الأعمال القيمة، ويضمها إلى كتاب حتى ترى النور ويُعرف فكره النير المشبع بروح الوسطية والاعتدال، التي تميزت بها مقالاته في هذا الكتاب تعريفا بحقيقة الإسلام، حيث ركز فيها على بث المفاهيم الصحيحة لديننا الحنيف، وانتقاد كل تحريف وتزييف وإبطال له أو استخفاف بأحكامه، ورد كل فهوم خاطئة وأفكار بالية ليس بينها وبين الإسلام رحم، معتمدا في ذلك على الأصول الاجتهادية من نصوص الشريعة،

وقواعدها واجتهادات العلماء[1]. هذا وقد برزت لنا تجليات روح الوسطية والاعتدال عند بوعلام باقي في هذا الكتاب كما يأتي:

1-**التيسير وعدم التشدد والحث على الوسطية**: لقد فهم بوعلام باقي أن التيسير مقصد مهم من مقاصد الدين، وصفة للشريعة في عقائدها وأحكامها، ومعاملاتها وأخلاقها، وفروعها وأصولها، فالله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه لم يكلف عبده إلا بوسعه، ولم يرد به الحرج والعنت، لقوله تعالى: "**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**" (البقرة:185)، وأنّ الإسلام دين اليسر والسهولة لا حرج فيه ولا تكليف للناس فوق طاقاتهم. لأجل ذلك وجدناه يعلن ذلك ابتداء من مقدمة كتابه، حين أشار إلى ضرورة التحلي بهذه الخاصية والتمسك بهذا المبدأ فيقول:"**إلى كل مجتهد عالما كان أو طالبا علمَ أن الدين يسر، فلم يعسر على الناس ودعا إلى الوسطية فيه**"[2]. كما أماط اللثام عن هؤلاء المغرضين المتشددين، الذين فهموا الإسلام عكس حقيقته النيرة، وهي أن الله أراده يسرا وجعل أمته وسطا، هذه الوسطية التي لم يفهمها هؤلاء فراحوا يقلبونها عكس طبيعتها، بتصرفاتهم النابعة عن جهلهم[3]، مدللا على ذلك بأمثلة تبرز عن مدى تحليه بروح الوسطية فيقول مستنكرا على هؤلاء:"...**يرون ألف بأس حيث لم ير النبي-صلى الله عليه وسلم-أي بأس، يريد الله بعباده اليسر ولا تطمئن نفوسهم إلا للعسر، يريد الله ليخفف عن عباده، ويأبون إلا التشديد على أنفسهم وعلى الناس، حتى يخيل للعاقل أن الآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن أضحت عندهم مجرد أفكار**

---

[1]- بوعلام باقي، لقمانيات، كلمة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، (مقدمة الكتاب)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى،الجزائر 2006، ص11-13.

[2]- بوعلام باقي، لقمانيات، (الصفحة الأولى) مقدمة الكتاب.

[3]- بوعلام باقي، المرجع السابق، ص23.

خالية المدلول عديمة المفعول"[1]

2- **محبّة الخير للناس كافّة وعدم إكراههم على فكر أو دين:** حيث تعدّ هذه الصفة من أهمّ الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المسلم، وهي أصل كلّ الأحكام والتشريعات، ومن تمام محبة المرء للناس أن يحبّ الخير والمنفعة لهم كافّة، فيأمر بالمعروف لهم وينهاهم عن فعل المنكر بأسلوب مقنع لا إكراه فيه ولا جفاء، وهذا ما تحلى به الأستاذ بوعلام باقي حيث وجدناه في مواضع من لقاءاته، يعرض حقيقة الإسلام وأحد سماته الأساسية وهي الوسطية والاعتدال، داعيا إلى عدم الخروج عن مبادئ هذا الدين وهي عدم التعنت وإكراه الناس على اتخاذ فكر أو حتى دين بالقوة والعنف، مبرزا أهم صفات الداعية في الإسلام، وهي الوسطية وعدم الإكراه وإعمال الحجة والتسامح في التعامل مع الآخرين مستدلا بالنصوص الدالة على ذلك،فيقول:"**من الصفات الأساسية للداعية في الإسلام أن يكون ذا مكانة علمية فيما يدعو إليه وأن يلزم سبيل الإقناع بالحجة والدليل لا سبيل الإكراه البدني أو الروحي لحمل الناس إلى ما يؤمن به: فالتسامح قاعدة أساسية في ديننا لاينكرها إلا جاهل لهذا الدين الحنيف، الذي فرض أن تعم كل المسلمين في معاملاتهم مع بعضهم وفي معاملاتهم مع الغير**"[2]،حاثا الشباب الغرير الذي نصب نفسه داعية لهذا الدين دون علم ولا وعي: على التمسك بسماحة الإسلام ووسطيته، مبرزا لهم بالدليل أحكامه العادلة السمحة مع المسلمين وغيرهم ولو مخالفين لهم في الدين، موضحا حقيقته النيّرة بقوله إن الإسلام:"**جعل كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وجعل للذمي والمعاهد حقوقا يجب أن ترعى، وعامل أهل الكتاب معاملة متميزة تحفظ لهم عقيدتهم وشعائرهم ما**

---

[1]- بوعلام باقي، المرجع نفسه ،ص23.

[2]- بوعلام باقي، المرجع السابق، ص16.

داموا متمسكين بها، حتى منع الزوج المسلم من مضايقة زوجته في دينها إذا كانت كتابية....فما أوسع ديننا وما أيسره وما أحوج الكثير منا خاصة من شبابنا إلى معرفة الدين على حقيقته النيرة قبل التصدي للدعوة[1].

3- **العدل في التعامل ومراعاة الحقوق:** ليست الوسطية منهجية للسلامة والبحث عن الأسهل والتهاون في الدين ولكن العدل والوقوف في وجه الظلم، الوسطية إنصاف لغيرها وتمكينه من حقوقه وعدلٌ في المواقف مهما تكن درجة الاختلاف مع الآخرين[2].

ومن العدل الموازنة بين متطلبات الجسد والروح، فلا يجوز لأحد أن يحرم نفسه مما أحلّ الله له، بل عليه أن يتقرّب إلى الله بالفعل المأمور به المباح،وهو ما بينه بوعلام باقي مبرزا روح الوسطية لديه من خلال تعريفه لحقيقة الشريعة الإسلامية، وهي العدل والتوازن بين أحكامها حيث لا نجد حكما فيها إلا وله ارتباط بحدود قدرة الإنسان وفطرته، وهي التوازن بين الظاهر والباطن وبين الحقوق والواجبات، حيث استدل بأمثلة من النصوص الشرعية على بيان ما على الإنسان من حقوق نحو نفسه ونحو جسده ونحو غيره من بني جنسه، وأنها ألحت على إعطاء كل ذي حق حقه، متبنيا كل ذلك فيما يعرضه من أفكار في مقالاته ليصل إلى نتيجة تؤكد تشبعه بوسطية الإسلام الحقة فيقول:"**وفي هذا ما ينفي كل غلو يؤدي بصاحبه إلى التنطع المرهق أو إلى التفريط المهلك، وما ورد في الكتاب والسنة من أمر النهي عن الغلو كاف لنبذ كل تشديد أو مبالغة، ولحمل الناس على اجتناب الإفراط والتفريط**"[3]. ومما يبرز لنا شخصية بوعلام باقي المستقيمة المعتدلة، نبذه

---

[1]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص16.

[2]- مروان فاعوري، الوسطية منهج استراتيجي للأمة، بحث من مختارات فكر الوسطية لمؤتمر الوسطية، مكة المكرمة 2005،ص15-16.

[3]- بوعلام باقي، المرجع السابق،ص24، وكذا ص27.

فكرة كون الإسلام مجرد مظهر ينحصر في الشكل، بل هو عنده وسط بين الظاهر والباطن، وتوازن بين الروح والجسد، بين القلب والقالب، فهو عقيدة وسلوك، وهو ببساطة ما وقر في القلب وصدقته الجوارح، ثم يستنطق بوعلام باقي النصوص الحديثية للتدليل على موازنة الشريعة بين الأقوال والأفعال والأشكال في العبادات، وبين حسن التعامل مع الغير وجعله هو حقيقة الدين، بل إنه –رحمه الله– يرى حتمية حسن المعاملة لصحة العبادة [1].ولذلك نجده يبرر لموقفه من إحياء الأيام المحتفل بها في المجتمع من عيد المرأة وعيد العمال ...وغيرها من المناسبات، التي لا يرى فيها حرجا وإن كان ذلك من باب الذكرى وتشحيذ العزائم، بأنه نوع من التذكير بمراعاة الحقوق التي ينبغي أن نحرص على إيصالها للآخرين كحرصنا على العبادة أو أشد وفي ذلك يقول:"**وإنه لفي ضلال من يعتقد أن الإسلام صلاة وصوم وزكاة وحج، وأن ذمته تبرأ بها...ولو لم يرع ما بينه وبين الناس وما عليه من الواجب نحو غيره..ألا فليعلم أن الإسلام أعطى جانب المعاملات الأهمية الكبرى وجعل العبادات تزيد وتنقص تقوى به أو تضعف تصح به أو تبطل**"[2].

وفي موضع آخر من اللقمانيات نجد الأستاذ بوعلام باقي بفكره الوسطي المعتدل، يقرر أولا نفيه لأن يعرف الإسلام بلباس خاص فالمسلم عنده لا يتميز عن غيره بلباسه، وإنما بأفعاله وعقيدته وسلوكه، ثم يؤكد من جانب آخر أن الإسلام لا يرفض الاهتمام باللباس مطلقا وإنما باعتدال مؤكدا ذلك بالنصوص الشرعية، مشيرا إلى حقيقة طالما خاض فيها هؤلاء الذين هم بعيدون عن وسطية الإسلام ويسره، وهي أن الإسلام لم يدقق أو يتحدث كثيرا عن اللباس إلا حين يطلب من الرجال أخذ زينتهم عند كل مسجد، أو يطالب النساء بستر عوراتهن ويدعوهن بترك التبرج، ومن ثم يقرر–رحمه الله–أن أي لباس يكون ساترا للعورة مبعدا للتبرج، فإن الإسلام يرتضيه

---

[1]– بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص28 وكذا ص80–81.

[2]– بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص113–114.

وأي لباس كاشف للعورة مثير لفتنة لا يرتضيه، لا يفرق في ذلك بين أن يكون زيه شرقيا أم غربيا، عربيا كان أم أعجميا[1].

4- نبذ الغلو واجتناب التطرف: في الفكر والسلوك والممارسة، فالإسلام يعتمد الوسطية في تشريعه، سواء أكان ذلك في العبادات المحضة أو في المعاملات والسلوكات: وكمثل طلع على عبادات الإسلام ومعاملات هي أنه لا يحيد عن الموقف المعتدل ويرفض التطرف بكل أشكاله،

وهو ما تمثّله بوعلام باقي في لقمانياته حين أنكر على بعض المتدينين تبنيهم بصفة دائمة ومطلقة لخط التشدد والتزمت، والتزام أشد الآراء تضييقاً، وأقربها إلى التعسير، وأبعدها عن السعة والتيسير: ولم يكفهم أن يلتزموا ذلك في أنفسهم، وإن أعنتهم وأحرجهم، بل أرادوا أن يلزموا بذلك سائر الناس، وانتقد بالحجة والبرهان تلك المفهومات الخاطئة المسيئة للإسلام رافضا أن يكون مجرد مظهر بعيدا عن حقيقته النيرة السهلة، مصححا وموجها لهؤلاء الشباب الذين يأتون بمحدثات في الدين تتنافى مع روح الوسطية والاعتدال فيه، مدعما كلامه بأقوال العلماء بما يؤكد روح الوسطية لديه وبعده عن الغلو، فيقول: "**كل يوم يمر إلا ويخرج علينا بعض الشباب بما تحار فيه العقول من محدثات في الدين، فبعد بطلان الصلاة إلا وراء الإمام الملتحي وبطلانها إلا على الأرض أو على الحصيرة**"[2]، ثم يوضح لهم بعد رفضه هذا الغلو: أن الدين ليس لعبة بأيدي هؤلاء حتى يضيفون وينقصون ما شاؤوا منه، مبينا عكس قولهم الذي ينم عن الغلو والتطرف: بحجة العارف الفقيه لأحكام الشرع ونهجه الوسطي: "**بأن اللحية لم تكن شرطا في صحة الصلاة لا زمن النبي-صلى الله عليه وسلم-ولا بعده، بل هي من سنن الفطرة من عمل**

---

[1]- بوعلام باقي: المرجع نفسه، ص29

[2]- بوعلام باقي: المرجع نفسه،ص17،وص31و38.

بها فنعما فعل، ومن تركها لا إثم عليه ولا حرج....وأن من صلى على السجاد أو الفراش كمن صلى على الأرض أو الحصيرة، لا فرق بين هذا وذاك إلا على حسب نيتهما والإتيان بالصلاة على وجهها الأكمل"[1].فهو يدعو إلى الاهتمام بروح العبادة والحرص على أدائها الأكمل كما أرادها المشرع الحكيم، وليس مجرد مظاهر وطقوس جوفاء تؤدى لا فرق بيننا وبين أولئك المغضوب عليهم ولا هؤلاء الضالين، ويؤكد على هذه الحقيقة في موضع آخر بقوله:"**إن الإسلام لم يكن أبدا دين التطرف والغلو، بل كان ولم يزل دين الوسطية والاعتدال...**"[2]ويأتي بأمثلة من الأحكام الشرعية التي تبرز التخفيف والتيسير،وأنه سبب مخاطبة الله لعباده بقوله تعالى:"**ما جعل عليكم في الدين من حرج**"(الحج:الآية78) فيقول:"**إن الله شرع الرخص كما شرع العزائم،وهو يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه،..وهو دائما يريد لهم اليسر ولا يريد لهم العسر: وكل من جحد هذا فأقل ما يقال فيه أنه أخطأ الفهم في الدين القيم الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإن صلى وصام**"[3].مستدلا على كل ذلك بالنصوص الشرعية مستنطقا إياها، مما أبرز فكره الوسطي وسعة اطلاعه بأمور دينه وقضايا عصره،كما نلمح ذلك أيضا في موضع آخر حيث يقول مستنكرا التشديد والغلو:"**وقد زاد الأمر تعقيدا فتاوى بعض العلماء المتأخرين الذين وجدوا في التضييق على الناس شهرة وجعلوا من التشديد في الشرع دليل حول وقدرة فنسوا أن الله يحب أن تؤتى رخصه...وأنه تعالى خلق الإنسان ضعيفا فشرع الدين يسرا ليخفف عنه،..وترك له حرية الإتيان بالأيسر بلا معصية يقع فيها ولا نقيصة يتركها**"[4]

---

[1]– بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص17–18،وكذا في ص61–62.

[2]– بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص23.

[3]– بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص24، وكذا ص31–39

[4]– بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص38.

5-الإقرار بالحريات الفردية في النطاق المشروع: لقد أبرز بوعلام باقي فكره الوسطي، من خلال قناعته بأن قضية الاعتراف بالحريات الفردية، إنما هي قضية تعلمناها من صميم ديننا الحنيف، الذي ضمنها لكل فرد منذ ولادته حتى وفاته، وأنه لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة ولا أبيض أو أسود، فكل الناس في ذلك سواء ويمتلكون كل أصناف الحريات التي لا ينقصهم منها شيء إلا ما حرم الله، ولم يجعل لها قيدا إلا ما يمنع الشطط والاعتداء على حق الغير، ومن وسطية الرجل واعتداله أنه يقر بهذه الحريات، ولكن يقرر أيضا أنها ليست مطلقة وإنما تنتهي عندما تتصادم مع حريات الآخرين، فلكل حدودها التي لا ينبغي تجاوزها، واعتبر من الظلم إساءة فهم الدين بعدم الوقوف عند ما رسم الله لها من الحدود، بأن لا تمس بعقيدة الآخرين أو بتقاليدهم أو قيمهم الموروثة من دينهم أو حتى من قواعد الآداب العامة، وإلا فإنه تعد على أمنهم وطمأنينتهم مما يفرض تقييدها وردها إلى ما هو حق[1] وعلى هذا الأساس نجده لا ينكر قضية حقوق المرأة لأنها عنده قضية مسلّمة، ويؤكد ضمن مجموعة لقمانياته أن المرأة في مجتمعنا لها من الحقوق أكثر مما تعرفه المرأة في المجتمعات الأخرى، ولكن في الحدود التي رسمها لها الشرع، إذ في نظره تبقى تلك الفروق الجوهرية والمميزات التي خص الله بها كلا من الرجل والمرأة، في النفس والخلقة والقدرات فليس لأحد تغييرها لأنها صنع الله تعالى الذي لا يتغير، ردا على هؤلاء النسوة اللائي يطالبن بالمساواة مع الرجال في العصمة والميراث وغيرها من الترهات، ولكنه أيضا من عدله واعتداله، يستنكر ما يقوم به بعض الرجال من الإجحاف في حق المرأة، معتبرا ذلك من الظلم والانحراف عن تعاليم ديننا الحنيف، ومن ذلك منعها من الخروج للعمل والتعلم فهو لا يرى في ذلك بأسا ما دام في طاعة الله وبضوابطه الشرعية[2].

---

[1]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص63-66.

[2]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص103.

6- إنكار الاجتهاد الأعمى الذي لا يتلاءم مع العصر: من مظاهر الوسطية عند بوعلام باقي، إنكاره على هؤلاء الفقهاء المعاصرين الذين يأتون بفتاوى لا تتلاءم مع عصرهم، ولا هي استفادت مما كانت عليه مثيلاتها في العصور السابقة، فوقعوا في الضلال وأوقعوا الناس في غربة الزمان، ويضرب مثلا لتلك الفتاوى المتطرفة بتحريمهم قيادة المرأة في عصر أصبحت فيه قيادة السيارة من ضروريات الحياة، فأنكر ذلك واعتبره اجتهادا أعمى لأنه ظلم للمرأة التي جعلت شقيقة الرجل في الحقوق والواجبات إلا ما استثناه بالنص، فقد وقف في لقمانياته منافحا عن المرأة ضد كل تلك الاجتهادات البالية التي تحط من شأنها وترد الأمة إلى الجاهلية الأولى بل إلى البهيمية[1]. ومن ذلك رده على أحد المشتغلين بالدعوة ممن أعماهم التعصب الجنسي على حقائق القرآن وسمو الإسلام واعتداله في تكريمه للمرأة، فزعم أنها ما خلقت إلا لإنجاب الرجال ووصفه بوعلام باقي بأنه ظلم للمرأة في شخصها كإنسان، وضرب للإسلام في صميم خصائصه من الوسطية والعدل، وأتى بالأدلة القاطعة من النصوص الشرعية الثابتة التي لا تقبل الجدل، وبنماذج من أمهات المؤمنين والصحابيات ونساء السلف، على دور المرأة ومكانتها تفنيدا للقول بأن عملها يقتصر على الاضطجاع وإنتاج الأولاد[2].

- ومن صور وسطية بوعلام باقي أيضا، موقفه من تلك الاجتهادات الغريبة التي أدت بالأمة إلى التخبط في دياجير الفتن والمتناقضات، صدرت عن بعض الجهلة الذين تصدروا الإفتاء بغير علم، فاستنكر عليهم فتاويهم بغير نص حيث يقول ما نصه:"...

---

[1]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص73-74.

[2]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص119-120.

وهل لنا أن نرى من بينهم من يقتدي بالإمام مالك فلا يقول هذا حلال وهذا حرام إلا إذا كان هناك نص قطعي الدلالة يثبت ذلك، فيقطع دابر المتطفلين والمتنطعين الذين خلا لهم الميدان اليوم فأصبحوا يحرمون جزافا..."[1].

ثم إن الأستاذ بوعلام باقي يرى بفكره الوسطي المعتدل، ضرورة الاجتهاد النير بتطويع الأحكام حسب مقتضيات الحياة وأحوال المجتمع[2]؛ مشيرا بذلك إلى قاعدة إمكان تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، وما فيها من سعة على الناس.

-كما أن ما يبرز وسطية الرجل وعدم تشدده وفهمه لروح الشريعة وقواعدها، قوله بقاعدة: الأصل في الأشياء الإباحة وأن المباح يبقى مباحا حتى يقوم الدليل على حظره ومنعه، مراعاة لتيسر ورفع الحرج عن الناس [3].ثم يستدل على كل ذلك بأقوال العلماء التي تمثل الوسطية والاعتدال، التي ينتهجها فكرا وعملا ويؤمن بها إيمانه بالإسلام نفسه. ومن ذلك استشهاده بقول جعفر الصادق-رضي الله عنه- في رده عمن أنكر عليه اللباس الحسن الذي كان يرتديه، بما نصه:"**اسمع مني ما أقول لك، أخبرك أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-كان في زمان مقفر مجدب، فأما إذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها أبرارها لا فجارها ومؤمنوها لا منافقوها**"[4].

ولذلك نجده-رحمه الله-يفرق بين الصحوة الحقيقية للمسلمين التي تقوم على الاجتهاد الصحيح في الأحكام التي تقبل المراجعة والتجديد في غير القرآن والسنة الصحيحة، حسب ما تقتضيه الظروف والمصلحة، وبين الصحوة المزيفة التي تهتم بالمظهر والصورة على حساب المخبر والسلوك، وتتيبس على أفكار بالية تريد بها أن

---

[1]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص75.
[2]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص75-76.
[3]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص75.
[4]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص76.

تعود بالمجتمع إلى عادات طواها الزمن ولم تعد صالحة اليوم، كالأكل باليد ولحس الأصابع والصلاة على الأرض والحصير...وغيرها من الأشياء الكثيرة التي كما قال عنها تولي دبرها للتقدم العلمي وما هي إلا تضليل وتجهيل وتزييف، وقضاء على قابلية التكيف والعصرنة التي تميز بها الإسلام، ومن ذلك أيضا إنكاره على بعض من سماهم بالرهبان لتزمتهم وتحليلهم بعض الأمور وتحريمهم لبعضها الآخر: وتمسكهم بفتاوى لا تسمن ولا تغني من جوع وحمل الناس على الالتزام بها، كصنيعهم في اللحية وما شابهها من القضايا وجعلها من أمهات المسائل التي يجب الانشغال بها، في الوقت الذي صعد فيه غيرنا إلى القمر، مفندا زعم هؤلاء بالحجة والبرهان من النصوص الشرعية وغيرها من الأصول الاجتهادية وأقوال العلماء، ثم يرى بوسطيته وفكره المعتدل:" **أن يترك الناس كل على شاكلته، إن شاء أرسل اللحية وإن شاء حلق، وأن نحاسب الناس بما في قلوبهم من الإيمان والكفر والتقوى والفجور**"[1].كما يقف وقفة وسيط واعتدال بين هؤلاء الذين أرادوا للإسلام أن يكون متطورا بحيث يساير أهواءهم، فيبعدون كل ما يمنعهم في الدين من ذلك، يريدونه بعيدا عن الحياة، وبين هؤلاء الذين يريدون الدين متحجرا متعصبا: فتبسموا على ما كان عند أسلافنا لا يتعدونه، ليس ذلك في علو همتهم وسمو أفكارهم وفي وسطيتهم واعتدالهم وحسن فهمهم لروح الشريعة وعمق إيمانهم، وإنما في القشور والمظهر وفي الحرص على إتباعهم في شظف العيش وطريقة حياتهم التي لا تتلاءم مع عصرنا، والتي ما كانوا هم أنفسهم مختارين لها وإنما كان بسبب قلة المؤونة والرزق المحدود، ثم يعطي رحمه الله أمثلة عن بعض السلف الصالح وكذا الأئمة الأربعة- رضي الله عنهم- في اعتدالهم في العيش وفي تزينهم وحسن لباسهم، ويعلن بعدما بين موقفه من الفريقين بما يدل على وسطيته قائلا:

---

[1]- بوعلام باقي، المرجع نفسه.ص76.

"فكل من أراده متطورا أو متحجرا أو طيعا متغيرا ليس على هدى من الله"[1].

– ومن مظاهر وسطية بوعلام باقي رأيه في الاختلاط ورده عن تلك الاجتهادات المتشددة بتحريمه دون وعي لحقيقته والتفريق بينه وبين التواجد، فهو يعتبره أمرا طبيعيا في كل المجتمعات إذا كان وفق الضوابط الشرعية، ويفرق بينه وبين الاختلاء المحرم أما الاختلاط الذي هو تواجد الرجال والنساء في مكان واحد كالحج والعمرة وصفوف الصلاة... وغيرها من المواضع، فإنه كما يرى لم يرد فيه نص وحتى مع تسليمه بعدم خلو ذلك من سلبيات وخاصة في المجتمعات الهشة التي يعيش فيها الأفراد بحواسهم لا بعقولهم، وإقراره بعدم اتخاذ ذلك ذريعة لإفساد المجتمع من بعض المستخفين بأمور الدين الذين حارب محاولاتهم في وقته، لكن أن يصل الأمر لإصدار الفتاوى المحرمة له شرعا وباسم الدين، فهذا ما لم يقبله الأستاذ بوعلام باقي واصفا له بالشطط في الدين مدعما كلامه بالحجة والدليل النقلي والعقلي، إلا أنه ويفكر الرجل المنصف والوسطي المعتدل يرى من باب سد الذرائع وتوثقا للأخلاق، أن تتخذ الإجراءات الممكنة لمنعه ما لم تحتمه الضرورة فيقول:"...**فلا ننسب للدين غلوا فيه ما لا يخرج بطبيعته عن نظام المجتمع وتنظيم الحياة والمؤسسات، غير أن هذا لا يمنعنا من باب المحافظة على الأخلاق، من دعوة وزارة التربية والتكوين من أخذ كل الإجراءات التي من شأنها أن تعيد المياه إلى مجاريها الأصلية، بعزل الذكور عن الإناث كلما كان الأمر ميسورا لا تفرضه الضرورة الملحة، خاصة في القرى ذات المدرسة الواحدة وبهذا نكون قد نكون أرضينا أنفسنا في هذا الظرف الذي أصبح فيها التفسخ سيدا**"[2].

---

[1]–بوعلام باقي، المرجع نفسه،ص90–92.

[2]– بوعلام باقي، المرجع نفسه،ص123–124.

7- الدعوة إلى التسامح ونبذ الخلاف بشتى أنواعه: كان ذلك أيضا من تجليات فقه الوسطية والاعتدال عند بوعلام باقي؛ حيث وجدناه يدعو في مواضع كثيرة من لقمانياته إلى الوحدة والموضوعية في الرؤى والقناعات والاجتهادات، ونبذ الخلاف بشتى ألوانه ومجالاته، ومن ذلك استنكاره هؤلاء الذين يريدون بأفكارهم وفتاويهم فرقة الأمة، ويخالفون غيرهم نكاية وجهلا لأجل الخلاف في ذاته ليس إلا، فرأيناه مثلا في قضية الموافقة على الدستور الذي يحكم المجتمع في وقته، يدعو إلى عدم إقصائه ورفضه جملة وتفصيلا لكونه قوانين وضعية، وإنما يجب بدل ذلك العمل في اتجاهها لجعلها تتماشى مع أحكام الشريعة الإسلامية في نصوصها وروحها، فما كان صالحا للمجتمع الإسلامي أبقيناه، وما كان غير ذلك لم نقصه وإنما درسناه وأعدنا صياغته ليتلاءم مع هذه الشريعة، كما يدعو العلماء المجتهدين إلى أن يعكفوا على المسائل الخلافية كثبوت الهلال في الصوم والإفطار وغيرها من المسائل بموضوعية؛ ليحددوا لها أحكاما ثابتة تجمع ولا تفرق، معتمدين على الدراسة العلمية الرصينة والأصيلة المعمقة، مراعين الثوابت والمتغيرات، آخذين بما تقتضيه الضرورة والمصلحة عملا بقاعدة "حيث كانت المصلحة فثم شرع الله"[1].

ثم يعرض في أحد مواضع لقمانياته رأيه في التسامح ودعوته إليه، مؤصلا له من القرآن الكريم والسنة الشريفة القولية والفعلية، وكذا آثار الخلفاء الراشدين ومن بعدهم في تقبل الآخر ونبذ الغل والغلظة في التعامل، مبينا أننا أولى الناس بضرورة التمسك بخصلة التسامح والدعوة إليها؛ ولكنه في الوقت نفسه يعلنها صريحة مدوية؛ أن الوسطية والاعتدال والتسامح لا يعني المهانة والتهاون في الدين، والسكوت على من تتطاول ألسنتهم بالسوء على ديننا وأيديهم بالنيل من مقدساتنا؛ بل الاعتدال هنا يقتضي ألا نبقى مكتوفي الأيدي:" **وإنما ندافع بما هو** أنسب وأن نعاملهم بما

---

[1] بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص86.

هو أجدى، إذ الخير بالخير والبادئ أكرم، والشر بالشر والبادئ أظلم"[1].

ولذلك رأيناه في موضع آخر يقول:"...**وما أحوجنا إلى الموضوعية والوسطية والاعتدال، فما كان شرعا قبلناه وما كان تعصبا وتطرفا نبذناه وأرجعناه إلى حقيقة أمره، إذ الشريعة سمحة في أصلها سمحة في تعاملها مع الناس**"[2]. كما رأيناه يدعو الأمة مؤكدا على ضرورة التمسك بالوسطية وانتحالها منهجا عاما في الحياة قائلا:"**فلنرجع إلى حكم الله ليخلص إيماننا ولا نغل في ديننا غير الحق، ولنكن قوامين بالقسط شهداء على الناس بما هو أقوم**"[3].

خاتمـــــــة:

إن الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه في حاجة إلى رجال يملأ قلوبهم الإخلاص والصدق ويملأ عقولهم الوعي والعلم والمعرفة، يعرضون الإسلام في حسن وتعرض هو يدافعون عنه في عز جانب هو تعلو رايته، وهم في كل ذلك يسيرون على خط الوسطية والاعتدال كمنهج حياة مطلوب في كل حين، وهو ما لمسناه في الأستاذ بوعلام باقي-رحمه الله-الذي جاهد وناضل لأجل استنارة كلالمهم، لرفع شأن أمتنا انطلاقاً من منهجنا القويم كما فيقوله تعالى :"**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطا لِتَكونوا شُهَدَاء عَلَى النَّاس**..."(البقرة: الآية 143) تحقيقا لشهادة هذه الأمة على غيرها لا أن تكون مشهودا عليها.

---

[1]- بوعلام باقي، المرجع نفسه، ص100-101.

[2]- بوعلام باقي، المرجع نفسه،ص86-87.

[3]- بوعلام باقي. المرجع نفسه، ص120.وكذا في ص98و99

موقف الأستاذ بوعلام باقي من الغلو والتطرف
من خلال كتابه لقمانيات

د. لحلح الزهرة
وياح مصطفى - طالب دكتوراه
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

مقدمة:

لاشك أن من أعظم ما ابتليت به الأمة الإسلامية هو ذلك المد من الخطابات والممارسات، التي اتخذت من الغلو والتطرف نسقا فكريا برزت من خلاله كل أساليب ومضامين فهم نصوص الدين وتأويلها وفق مقاصدها من ممارسات العنف والضحالة التي عصفت بأمن العباد والأوطان ،وهو الأمر الذي ضحت لقمانيات بوعلام باقي بذكر مضامينه ومبرراته ومن ثم عواقبه الوخيمة على الأمة الإسلامية عامة والجزائر خاصة من زرع بذور الشقاق والفتن خاصة والجزائر تعرف بداية ولوج مرحلة انتقالية على مستوى الأفكار والاتجاهات السياسية، مركزا خلالها على مخاطبة عنصر الشباب المغرر به والمفتون بدواعي الغيرة على الدين والعقيدة ،وفق خطاب استشرافي يستشكل مضامينه وأهدافه على النحو الموالي:

الإشكالية:

ما هو موقف الأستاذ بوعلام باقي من الفكر المتطرف المغالي؟ وما هي مضامين خطابات هذا الفكر ومستجداته؟ وإلى أي خطر سيسحب معه الأمة عامة والجزائر خاصة؟ ثم ما هي الحلول التي رصدها لإقصاء جذور الفتنة والشقاق؟

إن كتاب لقمانيات هو عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها الأستاذ بوعلام باقي ووقع عليها باسم مستعار بسبب المناصب السياسية التي كان يشغلها فاقترح عليه رئيس المجلس الإسلامي الأعلى السيد أبو عمران الشيخ جمعها وترتيبها

فجاءت تلك المقالات دقيقة وعميقة في رصد ومعالجة قضايا الدين والثقافة والمجتمع وعلى قدر عال من التركيز على المفاهيم الصحيحة وانتقاد أنماط الانحراف والفساد وتقديم الحكمة وخطاب التعقل[1].

– الغلو والتطرف يعصف بالأمة:

الحقيقة أن المتصفح المتمعن لكتاب لقمانيات يجد صفحاته تضج بحكمة وحنكة تعاملت مع وضع الأمة الجزائرية خاصة والإسلامية عامة بنظرة ثاقبة تستشرف الحلول للمآزق، من تمحيص الواقع وتتبع ثغراته فكانت أكبر ثغرة هي مسألة الغلو والتطرف ،في حين أن الدين الذي أراده الله عز وجل لعباده هو دين اليسر وأمتنا أمة وسطا، هذه الوسطية التي يحاول شبابنا اليوم على حد تعبير بوعلام باقي اختزالها بتصرفاتهم النابعة من حراك الإدراك وضحالة البصيرة ،على النحو الذي مكن لهم فهوما خاطئة حول قيم التسامح والمحبة التي يقوم عليها البناء العقدي الإسلامي وإنما توصلوا إلى تلك المفاهيم إلا لأنهم «ما تفقهوا في الدين وما درسوا تاريخ الإسلام. فكانوا يرون ألف بأس حيث لم ير النبي عليه السلام أي بأس ويريد الله بعباده اليسر ولا تطمئن نفوسهم إلا للعسر»[2]، لأن ذلك العسر من التصورات التي ابتليت بها الأمة في تعاملها مع روح الدين وأنماط علاقاتها مع الآخر، حيث أصبح التسرع في التكفير وتوزيع التهم جزافا بمجرد الشبهة أقوى دليل بل يكاد يكون السبيل الأوحد في الذهنية المتطرفة على صدق التدين والغيرة على الدين والنصرة الفورية للشرائع الإلهية.

وهذا محض الظلم والجهل كما يذكر ذلك بوعلام باقي لأنهم لم يقرأو تاريخهم ،وهو يقصد الشباب الذين هم بحاجة إلى إدراك اتساع الدين الإسلامي للمخالفين قبل الموافقين هم بحاجة إلى معرفة حقيقة الدين الإسلامي قبل التصدي للدعوة:

---

[1]–بوعلام باقي، لقمانيات. [الجزائر، المجلس الإسلامي الأعلى، 2006]، ص12، 13

[2]–المرجع نفسه، ص23

«فينبغي الدعاة للإسلام وحتى المتطفلون على الدعوة بغير مؤهل إلى أسلوب الخطاب في آي القرآن الكريم»[1]. ثم يسوق نماذج من آي القرآن الكريم يبيح من خلالها أن التسامح قاعدة أساسية في الإسلام لا ينكرها إلا جاحد والتي من المفروض أن توجه وتسم كل معاملات المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم حيث يكون كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه أما غير المسلم فإن الإسلام كما يذكر بوعلام باقي تعامل معه بكل رقي ورحمة على النحو الذي حفظ به لهم عقيدتهم وشعائرهم بعيدا عن كل أنماط القسر والإكراه استنادا إلى أصول عقدية ترسخت داخل مضامين العقيدة الإسلامية وآي القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[2].

أما اللجوء إلى القسر والإكراه بدافع الغيرة على الدين فهو منطق الظلم في نصرة الدين بالتعصب مما أدى إلى سفك الدماء وإهدار الحقوق والأرواح لذا نجده يشدد النكير على أولئك الذين نصبوا أنفسهم قضاة يحاكمون الناس على أفعالهم خاصة أولئك الذين «تعودت ألسنتهم تكفير الناس بغير حق اختيارنا الاشتراكي يقينا من أن هذا المذهب في الحياة جاء به الإسلام قبل غيره وأن الاشتراكية لا تنتمي حتما إلى الماركسية التي يأبى القوم إلا أن ينسوا كل اشتراكية إليها»[3].

والحقيقة أن بوعلام باقي هنا يشير إلى قضية مهمة تعد إحدى شبه الغلو والتكفير التي يتمسك بها الفكر التكفيري ،وهي شبهة تكفير الحاكم على اعتبار أنهم لا يحكمون بشرع الله واستبدلوه بقوانين وضعية وهي من أشهر الشبه التي أنعشت الخطاب التكفيري قديما وحديثا، ولذا فهم يعدون الاشتراكية كفر ينافي

---

[1]– المرجع نفسه، ص17

[2]– يونس: (99)

[3]–بوعلام باقي، لقمانيات. ص18

تعليم الإسلام وتخالف ما جاء في كتاب الله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[2]. حيث يقول أبو عمر البغدادي: «ونعتقد بأن الديار إذ عمتها شرائع الكفر وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر وأحكام الإسلام فهي ديار كفر»[3]

وهنا نجد بوعلام باقي يؤكد على عمق أبعاد الاشتراكية في مبادئ الدين الإسلامي ،مستندا إلى رأي أكابر علماء المسلمين كما يذكر هو:«والذي يرجع إلى فتاويه علماء الإسلام شرقا وغربا ألا وهو الإمام الأكبر محمود شلتوت»[4]، حيث يذكر أن الاشتراكية نابعة من ضمير الإيمان لأن المال في نظام الاشتراكية سيكون ملكا للأمة تقوم بحفظه الأيادي المستخلفة فيه ،ليعم نفعه على كل أبناء الوطن فهو منها كلها وهو إليها كلها وهو يعبر عن حال المال في الاشتراكية بحال اليد المعطية التي هي نفسها اليد الآخذة كلتاهما تعمل لتلك الشخصية أي شخصية المجتمع الذي لا قوام له ولا نفاذ إلا بتكافل كل أيادي المجتمع.

بعد هذا البيان يشدد بوعلام باقي النهجة مع الذين اتخذوا من الاشتراكية ذريعة للتكفير قائلا: «فهل قلنا غير ذلك أيها الجهلة الذين تكفرون بالاشتراكية وتكفرون الناس بها وهي نابعة من ضمير الإيمان»[5].

ثم إن بوعلام باقي يرى أن مكمن الداء هو انقياد بعض الشباب فاتر الحمية لمن نصبوا أنفسهم دعاة فاستغلوا بيوت الله فاختلط الحابل بالنابل: «فليحذر المسلمون لاسيما الشباب منهم الانخداع بالذين نصبوا أنفسهم زعماء باسم الدين

---

[1]– بحوث المؤتمر الدولي، نقض شبهات التطرف والتكفير، [دائرة الإفتاء العام، الأردن، 10–11 شعبان 1437هـ]، ص39. وانظر الموقع الإلكتروني: Fatwa.islamweb.net. يوم 20 ماي 2017

[2]– يوسف: (40)

[3]– جزء من كلمة صوتية لأبي عمر البغدادي ألقاها بتاريخ 2007/03/13، مرجع نفسه، ص41

[4]– بوعلام باقي، لقمانيات، ص18

[5]– المرجع نفسه ص85

فاتخذوه مطية يركبونها لزرع بذور الشقاق بين أفراد هذه الأمة والعمل على تحقيق أهدافهم المشبوهة بشتى الأساليب ذات المسحة الدينية التي كثيرا ما يغتر بها العديد من الشباب الغافلين فيصبحون لها من المؤيدين والمروجين ظنا منهم أنها من صميم الدين»[1].

والحقيقة أن الأستاذ بوعلام باقي محق جدا في ظاهرة ارتكاز الخطاب التكفيري إلى دعامة الشباب لأسباب يمكن اجمالها فيما يلي:

-حداثة السن والسفه في الرأي ،ذلك أن دعاة الغلو والتكفير في غالبيهم هم شبان تدفعهم العاطفة ولقد ذكر ذلك النبي عليه السلام وشخصهم في أحاديثه من ذلك ما رواه علي رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»[2]، فالجهل مع حداثة السن يعد من أخطر أدواء الأمة لأنهما مجلبة للتطرف وإغلاق باب الإقبال على السلم والسلام بإشاعة الفساد ومحاربة السداد والرشاد، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله ليقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا»[3].

وهذا هو علة الهرج والمرج كما يذكر بوعلام باقي وهنا يتزي الجاهل بزي العالم: «ظنا منه أن ما يكسوه من اللباس يعوض ما ندر فيه من العلم فنصب نفسه مدرسا وتربع الكرسي واعظا وصعد المنبر خطيبا...ولقد كان أئمة الدين لا يفتون لأحد في مسألة حتى يتحققوا من فتواهم وهي عين الحقيقة...أما اليوم فالفتاوى مثل السيل في

---

[1]- المرجع نفسه، ص86

[2]- صحيح البخاري، باب اثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، ج1، ص200، 201، رقم الحديث 3611

[3]- صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه. وكذلك أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم الحديث 100

كثرة غثائه والفيض في تصاعد زبده لا تستعصي مسألة على مجيب ولا يغيب على من سئل هل يخيل إليك أن تعيش بين أقوام عمت فيهم المعرفة بالدين»[1].

ولذا نجد بوعلام باقي يركز على قضية مهمة يراها استشراف لعلاج تطرف الأفكار والسلوكات، بحكم أن معظم الفتاوي أو المتصدرين للفتاوى إما أنهم متأثرون ببيئاتهم أو غير قادرين على الاجتهاد أصلا: «فكان تأثير البيئة عليهم قويا فغلب على فتواهم التشدد أحيانا والمرونة أحيانا أخرى حسب ما أملته عليهم البيئة التي عاشوا بها وحسب ما كان لمجتمعهم من أعراف وعادات ومن يطالع بعض الكتب الفقهية القديمة يجدها تعج بمثل هذه الفتاوى التي كثيرا ما ترتكز على العرف بدعوى تحكمه ولا أرى لهذا سببا سوى سد باب الاجتهاد»[2].

وبالنظر إلى كلام الدكتور أعلاه نجده على درجة من الحكمة والسداد ذلك أن إصدار حكم بتكفير الأفراد أو الجماعات وهو ليس من مسائل الاعتقاد التي يتوجه الخطاب التكليفي فيها إلى عموم الناس ،بل هو موكل إلى مسائل الاجتهاد بحكم أنه من أضيق وأصعب مسائل النظر والاستدلال التي لا ينبغي أن يتصدى لها إلا من امتلك حظوظا وافرة من الفقه المتين والبصيرة النافذة بأدلة الشريعة ومقاصدها ليس فقط بأقوال الفقهاء بل المجتهدين حصرا وهذا هو المستفاد من قول ابن الهمام : «يقع في كلام أهل المذاهب تكفير كثير وليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدين بل من غيرهم ولا عبرة لغير الفقهاء والمنقول عن المجتهدين ما ذكرنا»[3].

---

[1]– بوعلام باقي، لقمانيات، ص46

[2]– المرجع نفسه، ص61

[3]– الكمال بن الهمام، فتح القدير، (بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1424هـ–2003م)، ج6، ص104

الانقياد للأهواء والبعد عن تحكيم العقل ومصالح الأمة، يقول الشاطبي: «إنهم متبعون لنهوى وما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله»[1]، وهو الأمر الذي أشار إليه بوعلام باقي حين حديثه عن ابتغاء الفتنة والأهواء من وراء التعامل مع المتشابه في قوله:«وهو لا يختلف عن زيغ من أشار إليهم الخالق تبارك وتعالى في سورة آل عمران ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ فهؤلاء من الذين عموا عن الحق المبين وساروا وراء ما تشابه من الآيات يؤولونه حسب أهوائهم فيخطئون في التأويل ...فالعاقل الكيس من عباد الله من أخذ بالمحكم اجتنب كل أسباب الفتنة ومن شر أسبابها جهل المرشدين وتأويل الجاهلين»[2].

وفي سياق مسالك الهوى التي تغري الشباب وتقودهم إلى دروب الشقاق يطرح الأستاذ بوعلام تساؤلا هل الإسلام باللباس ،حيث يذكر أنه ومنذ مدة شاعت عبارة لباس إسلامي وقد أثارت موجة من الانقسامات خرج بها الناس عن حقيقة الإسلام لأنه وعلى حد تعبيره إذا كان المثل الغربي يقول بأن اللباس لا يصنع الراهب فإننا نقول بأن غير المسلم لا يصبح مسلما إذا تزين بما يتزين به المسلمون، إنما الإسلام عقيدة وسلوك: «وهو لا يعتني باللباس إلا حين يطالب الرجال بأخذ زينتهم عند كل مسجد فيعتنوا بنظافة لباسهم ويطالب النساء بستر عورتهم وتركهم التبرج الداعي للفتنة»[3].

---

[1]– الشاطبي، الاعتصام، (القاهرة، د.ط، دار العالمية، د.ت)، ج6، ص104

[2]– بوعلام باقي، لقمانيات، ص49

[3]–المرجع نفسه، ص29

وفي نفس السياق تحدث بوعلام باقي عن بعض الكتيبات التي حملها الحجيج معهم من الحجاز والتي تتضمن تحريم حلق اللحية: فيذكر الأستاذ معلقا عليها أنها كما لو كان مستقبل الأمة الإسلامية موقوفا على إرسال اللحية أو حلقها ثم يستدرك ليذكر دليلهم وهي أحاديث مروية عن النبي عليه الصلاة والسلام يحث فيها على قص الشوارب وإعفاء اللحى وأخرى يحذر فيها من التشبه بالمشركين ومن التشبه بالنساء:«فهل هذا كاف للقول الجازم بتحريم حلق اللحية أو لم يقل: (إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر)، فما أعلاك قدرا وشأنا يا رسول الله وما أبعدنا عن الإتباع لنهجك القويم لقد كنت تطيل شعر رأسك وتتعهده بالدهن والترجل ولم يصرفك عن ذلك أن النساء يفعلن ذلك فهل يعني هذا أنه مفروض علينا إطالة شعر الرأس والعناية به بالدهن مع العلم أنه لما قام بذلك بعض شبابنا شنع بهم رهباننا ورموهم بالتشبه بالنساء»[1].

والحقيقة أن الأستاذ يقصد بهذا توجيه الخطاب لفئة من الشباب، الذين عرفهم الواقع الجزائري ابتداء من ثمانيات القرن الماضي الذين كانوا يتميزون بلباس خالفوا به ما كان معروفا آنذاك :بالإضافة إلى قضية إعفاء اللحية التي كانوا يحكمون من خلالها على إيمان المرء وتقواه ولذا فقد كان الأستاذ بوعلام باقي متخوفا من أن تستغل غيرة ذلك الجيل كذريعة لتخريب دار الإسلام قصد خفي المآرب: «فليحذر الذين أعمتهم الغواية بما فيه آمرهم وليتدبروا معنى قول القوي العزيز: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.»[2].

فالتحذير من عواقب الفتن كان يشغل تفكير الرجل ويحرك وجدانه، لأنه يرى فيها بوادر شقاق ستعصف بأمن البلاد ،وهذا بالفعل ما عاشته الجزائر في سنوات السواد والجمر خلال تسعينيات القرن الماضي .لقد كان الرجل ناقد البصيرة بعيد

---

[1]– بوعلام باقي: لقمانيات، ص79

[2]– المرجع نفسه، ص16

بنظر أدرك بحصافته أن الحل في اجتناب الفتنة مهما كانت فالفتنة لا تدخل مجتمعا إلا فككت أوصاله وفرقت جمعه. وبالفعل فليس من ثمر للتطرف والغلو إلا اختلال الأمن العام للمسلمين ذلك أن الأفكار والممارسات التكفيرية قد أحاطت بالأمة وسرقت منها أمنها وهويتها فمزقت المجتمعات بإشاعة الفتنة وسفك الدماء ،هذا بالإضافة إلى صرف جهود المسلمين عن توظيف طاقاتهم وإمكاناتهم في تبليغ الدين الإسلامي بصورته الحقيقية كدين للسلام والمحبة: «الإسلام دين التآخي والتآلف لا دين التنافر والتخالف»[1]. هذا فضلا عن أن مثل تلك الدعاوي التكفيرية تعد مشاركة للحق تعالى فيما هو حق له من الأحكام الشرعية من تكفير وتفسيق إذ ليس لأحد من الأحكام إلا هو تعالى.

وإزاء مواقفه هذه من عواقب الغلو والتطرف أكد الأستاذ بوعلام باقي على قضية مجيء الإسلام صراطا مستقيما لا غلو فيه ولا عسر: «إن الإسلام لم يكن أبدا دين التطرف بل كان ولم يزل دين الوسطية والاعتدال أبعد الله عنه كل مظاهر المضايقة»[2]. وللحفاظ على مقومات الوسطية واليسر نجد الأستاذ بوعلام باقي يروم الحل في التربية لتفادي وقوع الأمة في هاوية العنف والدماء لذا فهو يجعل من مساعي وأفكار العلامة ابن باديس نبراسا للاهتداء إلى النهضة والالتزام بالاعتدال: «كان رائد النهضة الإصلاحية في بلادنا وفقيدها شيخنا الإمام عبد الحميد بن باديس يوصي أصحابه بالتركيز على التربية لدى الطلبة الناشئين وتزويدهم بما ينفعهم من العلم وهذا وجه الصواب فالتربية أساس كل استقامة»[3].

إذا فمدار كل استقامة واتقاء كل الفتن يكمن في رأي بوعلام باقي في تعهد النشء بالتربية وصون جوارحه عن كل ما يعصف بأمن العباد والأوطان

---

[1]- المرجع نفسه، ص13

[2]- بوعلام باقي، لقمانيات، ص23

[3]- المرجع نفسه، ص88

نظرة الأستاذ بوعلام باقي إلى الحريات الفردية

أ. ليلى إبراهيم عدواني

جامعة المسيلة

مقدمة:

يعتبر موضوع حريات الإنسان من الموضوعات التي دائما ما تطرح كأولوية على الصعيدين الوطني والدولي، ولذلك ليس من الغريب أن تثار حولها النقاشات والحوارات في الجزائر بين الحين والآخر، بين أولئك الذين يطالبون بفتح المجال أكثر لممارسة الحريات بإطلاق، باعتبار أن وضع قيود على حريات الإنسان فيه مساس لكرامته وإنسانيته، وحد من إبداعاته مما يجعل منه إنسانا جامدا، ويقابلهم من يرى بأنه ينبغي ضمان ممارسة الحرية لكن بتعقّل ووفق ضوابط تمنع حدوث اعتداء منها أو عليها.

وبين هذين الرأيين سنتطرق إلى نظرة الأستاذ بوعلام باقي رحمه الله إلى الحريات الفردية وكيف يتصورها وكيف يرى ممارستها، ووفق أي منظور.

توفي بوعلام باقي المجاهد والمناضل والعالم والمفكر يوم الاثنين 16 يناير 2017، عن عمر ناهز 95 سنة، ومن بين ما قيل في الرجل ما جاء على لسان عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الذي قال:" ..رجل قضى حياته وهو يدعو إلى التسامح والإخاء، وكان مجاهدا وعضوا فاعلا في جمعية العلماء المسلمين. ويعد المجاهد بوعلام باقي عالما من طينة كبار العلماء في الوطن العربي، .."[1]. كما قال عنه الشيخ جلول حجيمي رئيس نقابة الأئمة:" إنّه رجل إصلاح ورائد من رواد العلم والفكر والمعرفة، ومجاهد خدم الثورة الجزائرية، وساهم في بناء قواعد الدولة الجزائرية

---

[1]– نصيرة سيد علي، مشايخ وباحثون يعددون مناقب الراحل بوعلام باقي. الحوار يومية وطنية مستقلة. أنظر الرابط: http://elhiwardz.com/?p=73157

بعد الاستقلال بتقلده للعديد من المناصب فيها، كما كان الراحل من الرعيل الأول الذي كان له الفضل في تأسيس الكثير من المؤسسات الجزائرية"[1].

1- بيانه لمصدر الحريات الفردية

لقد جاء حديث بوعلام باقي عن الحريات الفردية إثر الضجة التي ثارت إثر التعديل الجديد للدستور الذي فتح الباب للتعددية، فقد كتب مقالا في جريدة المجاهد 31 أوت 1990[2] يقول- رحمه الله- فيه:" لم تطرح قضية الحريات الفردية في يوم من الأيام بوجه الحدة التي ظهرت مع الدستور الجديد، وصارت تتزايد يوما بعد يوم فقد ملأت الساحة السياسية وأصبحت شعارا يرفع من حين لآخر إما ترويجا وإما تهريجا.."[3].

وقد ارتأى بوعلام باقي كما يقول هو ذاته أن يتحدث عن الحريات الفردية معتبرا إياها من الأمور البسيطة اليسيرة التي لا تستعصي على طرقها والحديث فيها لبيان مفهومها وما تعنيه وما الضوابط التي تحكمها، انطلاقا مما تعلّمه من الدين الإسلامي الحنيف، الذي يرى أنّ الإنسان يولد حرا وهذه الحرية تصاحبه مادام حيا؛ فقال رحمه الله:"..الإنسان يولد حرا وأنّ هذه الحرية تصاحبه مادام حيا، لا يفضل فيها رجل امرأة ولا أبيض أسود وأنّ الناس في ذلك سواسية كأسنان المشط، فكلهم يتمتعون بالحرية الشخصية ويملكون حرية العقيدة وحرية الفكر وحرية التعبير وحرية الكسب وحرية التصرف وكل ما في القاموس من حريات للأفراد وللجماعات لا ينقصهم منها شيء إلا ما حرم الله، أقرها لهم الإسلام أول ما ظهر وأثبتها للناس حيثما انتشروا.."[4]. فيفهم من هذا النص أنّ الحرية في الإسلام صفة إنسانية أصلية

---

[1]- المرجع نفسه.
[2]- بوعلام باقي، المرجع السابق، هامش ص63.
[3]- المرجع نفسه، ص63.
[4]- المرجع نفسه، ص63.

يتمتع بها الإنسان منذ ولادته إلى غاية وفاته، كما أنّها حريات ربانية المصدر أقرّها لهم الإسلام بمجرّد ظهوره، وهي تقوم على أساس المساواة بين الناس ولا يوجد هناك أي تفاضل بينهم على أساس اللون أو الجنس.

والملاحظ أنّ الشريعة الإسلامية نصت منذ نزولها على مبدأ المساواة وأكّدت عليه، وهذا التأكيد ليس نابعا عن حاجة الجماعة ومتطلباتها، وإنّما الدافع لتقريره هو رفع مستوى الجماعة ودفعها نحو الرقي والتقدم، وتطبق الشريعة الإسلامية مبدأ المساواة إلى أوسع مدى يمكن أن يتصوره العقل البشري، فقد نادت بالمساواة التامة دون قيود واستثناءات، فالمتتبع لنصوص الشريعة الإسلامية يجدها لا تفرق بين الرؤساء والمرؤوسين ولا بين الملوك والناس البسطاء، ولا بين ممثلي الدولة السياسيين والرعايا العاديين، ولا بين ممثلي الشعب وأفراده، ولا بين الأغنياء والفقراء"[1]. والمساواة بهذا المعنى تعتبر من الأسس التي تقوم عليها الحريات الفردية في الإسلام كما وضح ذلك بوعلام باقي رحمه الله وأكد على أنّ الناس في التمتع بها سواسية.

وقد بين بوعلام باقي رحمه الله في أحد مقالاته أنّ المسلمين كانوا الأوائل الذين عرفوا الحريات حيث يقول:"..بل عرفها الإسلام حين كان الغرب يغط في نومه ويغرق في سباته، ونزل بها القرآن والغرب يعيش في عصوره المظلمة يتقاسم العيش فيه النبلاء الأشراف والبرجوازيون التجار، ويسام السوقة أسوأ ما يتصور الإنسان من العذاب الحسي والمعنوي، ليس لهم حق إلا في الصبر على الضيم النازل بهم في كل حين"[2].

---

[1]– عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1405هـ، 1985م، ج1، ص26.

[2]– بوعلام باقي، المرجع السابق، ص96.

وضرب بوعلام باقي رحمه الله مثالا على ضمان الإسلام الحرية لأتباعه دون تفضل، بمنحه المرأة الحرية الشخصية التي تسمح لها التصرف في شؤون نفسها، لكن هذا بضابط وهو أن لا يترتب على هذه الحرية ضرر حسي أو معنوي بوالديها إن لم تكن متزوجة أو بزوجها إن كانت متزوجة، فالإسلام منحها حرية اختيار زوجها دون إكراه لها من وليها، ولا يسلبها حضوره معها حين العقد حرية اختيارها يقول:" فللمرأة مثلا من الحرية الشخصية ما يجعلها تتصرف في نفسها كما تشاء، ما لم يكن في تصرفها ضرر حسي أو معنوي بوالديها إن كانت فتاة غير متزوجة، أو بزوجها إن كانت محصنة، فهي تقرر مستقبلها بكل حرية تهب نفسها نكاحا شرعيا لا سفاحا لمن تريد، ولا يرغمها ولي أبا كان أو عما أو أخا على ما تكره من الزواج، ولا يسلبها حضوره معها حين العقد حريتها في اختيار زوجها والتعبير عن إذنها بكرا وأمرها ثيبا، وما شرع الله النكاح بهذه الصفة فقال:﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾[1] إلا حفاظا للأنساب من الدخيل والحيلولة دون اختلاط السليم بالعليل"[2].

كما ضرب مثالا بحرية المرأة في لبس ما تشاء؛ لكن شريطة أن يكون اللباس ساترا لمحاسنها وعورتها، ولها أيضا أن تخرج لقضاء حوائجها المشروعة غير متبرجة ولا فاتنة، وهذا ليس تقييدا لحريتها بل هو حماية لها أولا وللمجتمع ثانيا يقول رحمه الله: "للمرأة أن تلبس ما تشاء شريطة أن يكون لباسها ساترا لمحاسنها وعورتها وأن تخرج لقضاء شؤونها المشروعة غير متبرجة ولا فاتنة، حتى لا تتحرك عند من يراها الغريزة التي وضعها الله في خلقه، فيطمع فيها من في قلبه مرض، ولاشك أنها حين تتعدى هذا الحد من حريتها إنما تلحق بالمجتمع ضررا بيّنا بما تدخله فيه من إفساد للعقول وفساد للطباع، وأي مجتمع حريص على سلامة قيمه وطهر أخلاقه ولا يتأتى له ذلك

---

[1] – سورة النساء، الآية 25.

[2] – بوعلام باقي، المرجع السابق، ص64.

إلا بفض القيود الضرورية على الحريات الفردية دفعا لما يترتب عنها من إن خرجت عن حدودها من بغي وفساد"[1]. فبوعلام باقي رحمه يؤكد في كل مرة أن الحريات إنّما تمارس وتكفل للإنسان ولكن وفق ضوابط تمنع من انحرافها، وفي وضع هذه الضوابط حماية لمن يمارسها أيضا.

2- بيانه للضوابط التي ينبغي أن تحكم الحريات الفردية

إلا أنّ هذه الحريات لا يتمتع بها الإنسان بصفة مطلقة بل لها ضوابطها، وهذه الضوابط لا تشكل عائقا يحول دون ممارستها بل هي مجرّد تنظيم، يقول بوعلام باقي رحمه الله:"ولم يجعل لها قيدا إلا ما يمنع الشطط والاعتداء على حق الغير"[2]. ويقول أيضا:" فالحريات الفردية مضمونة في الإسلام غير إنّها إذا خرجت عن حدّها: فمست بعقيدة الآخرين أو بتقاليدهم وقيمهم الموروثة من دينهم أو حتى من قواعد الآداب العامة، فلا شك أنّ ما يترتب عن هذا الخروج من ظلم للناس ومن تعد على أمنهم وطمأنينتهم يفرض تقييدها وردها إلى ما هو حق، فلسنا نعيش في مجتمع بدائي وفي عصر جاهلي لنقبل تصرفات من بعض القوم تعود بنا إلى الجاهلية، بل إلى البهيمية بدعوى أنّ قبولها من باب احترام الحريات الفردية المنصوص عليها في الدستور، والتي يجب أن يتمتّع بها كل مواطن ولا يحرم منها أحد. فشرع الله أعلى من شرع الناس ولو كان دستورا"[3]. ويفهم من ذلك أن الحرية إذا تحولت إلى اعتداء يجب وقفها، لأنّها في هذه الحال تصبح غير مقبولة، وأنّ الضوبط التي وضعها الشرع لتنظيم هذه الحريات تسمو على كل شيء بما فيها الدستور.

---

[1]- بوعلام باقي، المرجع السابق، ص64.
[2]- المرجع نفسه، ص63.
[3]- المرجع نفسه، 65،66.

ولا ينفرد بوعلام باقي بهذا الرأي فهو ما ذهب إليه الكثيرون ومنهم وهبة الزحيلي فقد قال حين عرّف الحرية بأنّها: "هي ما يميز الإنسان عن غيره، ويتمكن بها من ممارسة أفعاله وأقواله وتصرفاته بإرادة واختيار: ومن غير قسر ولا إكراه، ولكن ضمن حدود معيّنة"[1].

ويقول منيب محمد ربيع أيضا: "فالحرية في الإسلام مطلقة ما لم تتعارض مع مصلحة عامة، وهي مكفولة طالما تقوم في نطاق حفظ الدين والعبادات ومكارم الأخلاق، فإن تعدّت الحرية تلك الحدود لممارستها وهدفها، أصبحت اعتداء أوجب وقفها وإعادتها إلى وضعها"[2].

1- بيانه لدور الأسرة والمدرسة في تلقين ما يقبل وما لا يقبل من الحريات الفردية

يوضح بوعلام باقي رحمه الله أن الأمر الذي يساعد الفرد على فهم الحريات الفردية حق الفهم ويعرف كيف يمارسها ولا يتجاوز الحدود أثناء ممارستها، أي أن يدرك ما يقبل منها وما لا يقبل، هي التربية التي يتلقاها الفرد منذ نعومة أظفاره وتتولى القيام بها مؤسسات هامة تتمثل في الأسرة والمدرسة والبيئة، يقول رحمه الله: "فللبيت والمدرسة والبيئة وظيفة تربوية من أبرز خصائصها أنّها تهيئ الفرد لفهم حرياته، فيعلم أنّها تنتهي حيثما تبدأ حريات الآخرين فلكل حدودها التي لا ينبغي أن تتعداها وتتجاوزها: وهذا ما بينه لنا المربي الأوّل في الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله:" **أيّها الناس إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم**". ومن الظلم أن يسيء الإنسان الفهم لحريته ولا يقف عندما رسم الله لها من حد، وقد اقتضت حكمة الله أن يترك به حرية الاختيار خلافا للملائكة الذين لا يعصون الله

---

[1]- وهبة الزحيلي، حق الحرية في العالم، دار الفكر: دمشق. سوريا، ط4، 2007م، ص39.

[2]- منيب محمد ربيع، ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاته، المكتبة العصرية، دم، دط، 1404هـ، 1983م، ص18.

ما أمرهم وينفعون ما يؤمرون وجعلهم تشمل لعقيدة وغيرها: فكانت أسمى حرية وأعلاها مرتبة في سلّم الحريات وبيّن للناس طريق الهداية وطريق الضلال، طريق الخير وطريق الشر، فأي طريق يختاره الإنسان لا يكره على تركه مادام أمره يتعلق بنفسه، لا يتعداها إلى غيره، إن آمن، فلنفسه وإن كفر فعليها وجعل لكل عمل يقوم به الإنسان جزاء يوفى إليه بغير ظلم"[1].

وذكّر بوعلام باقي رحمه الله بأنّ للدين سلطانا ينبغي أن يخضع له الجميع، وأنّ للمجتمع حق على الناس ينبغي على كل واحد منا أن يرعاه، وإلا أدى ذلك إلى اختلال التوازن واستشراء الفساد، كما حدث في العديد من المجتمعات التي تفسخت لأنّها لم تقم وزنا للدين ولم تراع حق المجتمع يقول رحمه الله: "وللدين سلطان على الناس يجب أن يخضع له جميعهم وللمجتمع حق على الناس لا بد أن يرعاه كل واحد منهم وإلا فسدت الأوضاع واختلت الموازين وحل بين جدراننا التفسخ والانحلال، مثلما نرى في بعض المجتمعات، وهذا ما لا يرضاه لنا ديننا ولا يقبله طبعنا فلسنا شعبا متميعا يرضى لنفسه ما يرضاه غيره من الشعوب التي تدهورت طباعها وانحلت أخلاقها فجعلت المرأة باسم الحريات الفردية سيدة نفسها تفعل بها ما تشاء وتتصرف فيها كما تشاء وبما تشاء فانكشف ما أراد الله أن يوارى من سوأة لا في الكابريهات ودور البغاء فحسب بل على الشطوط وفي بعض الأماكن المفتوحة لذلك، واستبدلت المرأة بالنكاح الشرعي المخادنة والمعاشرة الحرة حتى مع الأب والابن، فشاع التخنث وشاع الشذوذ الجنسي في أوساط الرجال وأوساط النساء وذاع اللواط لدى الجنسين وأصبحت في كثير من البلدان الغربية هذه الأعمال الشنيعة اللامشروعة دينا وطبيعة، مشروعة قانونا"[2].

---

[1]– بوعلام باقي، المرجع السابق، ص65.

[2]– المرجع نفسه، ص66.

وما نختم به هو أنّ بوعلام باقي المفكر كان دائم الانشغال بقضايا وطنه التي قدّم أراءه فيها بكل حرية وشجاعة، ويستشف ذلك من خلال العديد من المقالات التي كتبها في شتى المواضيع، والتي أسهم من خلالها في توضيح بعض الرؤى التي يمكن أن تخدم الجزائر، والتي من بينها موضوع الحريات الفردية حيث نجده تحدّث عنها انطلاقا من مقومات الهوية الجزائرية وبيّن وجهة نظره فيها انطلاقا من هذه الهوية، وهذا يتضمن دعوته للجزائريين إلى النظر إلى قضاياهم انطلاقا من ثقافتهم وهويتهم وليس من خلال استيراد أفكار غريبة عن المجتمع أو من ثقافات أخرى لا تمت لنا بصلة، حيث رأى بأنّ هذه الحريات لا بدّ أن تكفل للجميع وهذا أمر لا نقاش فيه ولكن ينبغي أن تخضع في ممارستها للضوابط التي نص عليها الدين الإسلامي الذي ينبغي أن نخضع لسلطانه جميعا ونتضوي تحت لواء ما جاء به، وإنّ الخطر يكمن في المطالبة بممارسة الحريات وفق الفلسفة الغربية التي لا تحسب للدين حسابا، والتي أدت إلى الخلال وتفسّخ المجتمعات الغربية وانتشار مختلف الآفات فيها، فالحرية في النهاية لا يفهم منها اختيار الإنسان ما يريد وفعله ما يشاء دون ضابط أو قيد، وهذا ما يؤكد عليه بوعلام باقي رحمه الله.

البعد الحضاري للعلوم الإنسانية لدى بوعلام باقي: إسهاماته المعرفية في ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر

د.ليلى فيلالي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

تحدَّث كثير من العلماء المسلمين في الماضي عن ضرورة المحافظة على وحدة العلوم والمعارف، في سياق الخطاب الإسلامي المتعلق بوحدة العلوم، بحكم ارتباطها جميعاً بمصدرها الواحد وهو الله: سواءً أوحى الله بها للإنسان بأساليب الوحي المعروفة أم يسّر للإنسان اكتشافها وتطويرها واكتسابها بأساليب البحث والسعي والنظر. أما في العصر الحديث وبعد الصدمة التي واجهت المسلمين نتيجة التفوق العلمي الصناعي للغرب، وبعد تأثُّر كثير من مثقفي المسلمين بأيديولوجية الغرب في التمييز الحاسم بين العلم والدين، فقد نهض عددٌ كبير من العلماء المعاصرين للدعوة إلى خطورة الفصل بين الإسلام والعلم، وضرورة إقامة الارتباط التوحيدي العميق بينهما، فهذا مظفر إقبال يؤكِّد "على وظيفة حرف العطف بين كلمتي الإسلام والعلم ، حيث يجب أن تتجاوز هذه الوظيفة مجرد بناء اتصال إلى وظيفة التوحيد؛ "لأنَّ من غير المفهوم أن يتضمن الخطاب الإسلامي نظامين للحقيقة أو طريقين مستقلين إليها، وحتى حين تتعدد طرق التعبير عن الحقيقة الواحدة أو طرق الوصول إليها فإنَّها تبقى متصلة ببعضها بعقدة مركزية ذات وظيفة توحيدية." [1]

---

(1)– فتحي حسن ملكاوي، "مفاهيم في التكامل المعرفي" ، المركز العربي للأبحاث والدراسات، 2011/07/5،
http://www.vecos.net/portal/index.php?option=com_content&view=article&id=6512:2011-07-25-21-27-28&catid=24:sceintific-articles&Itemid=21، تاريخ الزيارة: 2017/05/25.

ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى جهود منتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر التي عكست نزاهة وجدية وعمق ودقة تحليل قضايا الأمة الإسلامية. حيث تجاوز العلماء المشاركون في الملتقى العشرون العرض الوصفي والانطباعي إلى النقد العميق والتحليل الدقيق والموضوعية العلمية، مما جعل هذا الملتقى يحقق نجاحا باهرا، فهو لم يكتف بدراسة موضوع العلوم الإنسانية واستيفاء جوانبه المختلفة حسب البرنامج المسطر، بالرغم من تعدد مجالات هذا الموضوع وتشعب فروعه وتداخل مفاهيمه، بل إن هذا الملتقى قد وسع من نشاطه الفني وارتاد آفاقا إنسانية رحبة، متجاوزا إطار الاختصاص بالمفهوم الأكاديمي الضيق، ليقوم بعملية تشريح موقفه بجانب كبير من وضعنا الحضاري العام بكل ما يعنيه الوضع الحضاري من سعة وتعقد وتداخل وعمق، فقد صححت مفاهيم وحسمت اختلافات توحدت تصورات، فاحتكت الأفكار وتلاقحت وتوحدت الرؤى على اختلاف الأوضاع والبيئات والمدارس والاتجاهات والتخصصات. وقد حرص المحاضرون من خلال جوانب متعددة وكثيرة لمناقشة إشكالية غياب فلسفة إسلامية واضحة ومتميزة في مجال العلوم الإنسانية.

أولا: أهمية عقد ملتقى الفكر الإسلامي العشرون وأهدافه:

أوضح زكي الميلاد بأنه ربما يكون المؤتمر العالمي الأول للتعليم الذي عقد في مكة المكرمة سنة 1977م الحدث الأول في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر الذي عرف بالمنحى الفكري الذي يدعو إلى أسلمة المعرفة، ويرى الباحث بأنه يكفي دلالة على أهمية حدث انعقاد هذا المؤتمر الإشارات المتكررة إليه في العديد من الكتابات الموافقة والمخالفة لهذا المنحى الفكري، والتي اتخذت من هذا المؤتمر بداية للحديث عن قضية أسلمة المعرفة، مشيراً إلى أنه كان بإمكانه أن يُحدث دويًّا أو صحوةً معرفية في

مجال العلاقة بين العلوم والثقافة الإسلامية، لكنها الصحوة المعرفية التي لم تحدث؛ وما كان من السهولة حدوث مثل هذه الصحوة وما زال الطريق إليها شاقاً وطويلاً.[1]

ويشكل الملتقى العشرون للفكر الإسلامي بالجزائر إسهاما جديدا وإضافيا بتطرقه إلى موضوع "الإسلام والعلوم الإنسانية" كبداية لمرحلة جديدة في مسيرة الفكر الإسلامي الحديث، حيث افتتح يوم الثلاثاء الملتقى في 02 سبتمبر 1986 بسطيف بمشاركة 1000 مشارك من أساتذة وطلبة من الجزائر ومن الخارج تحت إشراف بوعلام باقي[*] الذي أشاد بالمجهودات التي تقوم بها الجزائر في سبيل تطوير العلوم الإنسانية، وخدمة الإسلام بانعقاد هذه الملتقيات كل سنة.[2]

وقد عبر بوعلام باقي عن نبل الغاية وشرف المقصد للمشاركين في هذا الملتقى لسد الفراغ الذي خلفه غياب فلسفة إسلامية واضحة ومتميزة، في هذا المجال الحساس، مجال العلوم الإنسانية ؛ وقد أفصح في مستهل محاضرته الافتتاحية للملتقى قائلا:" إن ملتقاكم هذا يكتسي أهمية خاصة، فهو، من جهة، يعد تتويجا لجهود حميدة بذلت خلال عشرين سنة استطاعت فيها الإرادات الحسنة أن ترسي تقليدا إسلاميا أصيلا، وتشكل أرضية صلبة للانطلاق في مجال العمل الإسلامي الموحد، وتقدم مادة علمية إسلامية غزيرة ، أصبحت مرجعا ثريا للباحثين والمفكرين المسلمين في شتى أنحاء العالم، وهو من جهة ثانية ، يعتبر بداية مرحلة جديدة في مسيرة الفكر الإسلامي الحديث، مرحلة المبادرة وتقديم البديل العملي، بعد أن اضطلعت الملتقيات

---

(1)–حسين زين الدين، " نحو نسق فكري إسلامي" ، مؤتمر التكامل المعرفي الحلقة الدراسية الإقليمية، السودان –الخرطوم: بين 7–9 اكتوبر 2009م، مجلة الكلمة: العدد66، شتاء 2010.
http://www.kalema.net/v1/?rpt=943&art، تاريخ الزيارة: 2017/05/13.

(*)–(عضو المكتب السياسي ووزير الشؤون الدينية)

(2)– محمد بو حميدان، "الحياة الثقافية في الجزائر: الملتقى العشرون للفكر الإسلامي"، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر، السنة السادسة عشر، العدد95، سبتمبر–أكتوبر1986، ص357–358.

التسعة عشرة السابقة بمرحلة وعي الذات والسعي الحثيث إلى تحقيقها، وتحديد طرق العمل للنهوض ومواجهة مختلف تحديات العصر."[1]

ويسترسل باقي قائلا: " فمستقبلكم هذا لا يخلق وضعا ولا يبحث ظاهرة لكنه يطمح إلى إعادة النظر في فلسفة علوم ما تزال تؤثر في أرقى مستويات التقدم الفكري والتربوي للمجتمعات الإسلامية، التي تبنتها على أنها مناهج عصرية، موضوعية، وحقائق مسلمة، وماهي بموضوعية ولا بمسلمة لأنها في عصر معقد مضطرب زلزلت فيه كثير من القيم، واهتزت فيه كثير من المفاهيم، بكده كل شيء فيه يصطبغ بلون المصلحة التي أصبحت تقف وراء كل نشاط، حتى مجال العلم والفكر حيث صارت العلوم والمعارف والفنون أداة طيعة وغنية، في خضم الصراع الحضاري الذي نعيشه، بل أن مناهج العلوم نفسها ليست أكثر من أساليب دعائية خفية ؛ ووسائل فعالة للغزو الثقافي في أعلى مستوياته ولعل أكثر هذه المناهج تحيزا هي تلك التي تحرص، في الظاهر، على النزاهة والشمولية والإنسانية، بدعوى أن مجال اختصاصها هو الإنسان على إطلاقه وتجرده ."[2]

يهدف هذا الملتقى إلى توحيد المنظور في سبيل توظيف هذه العلوم التوظيف الصحيح خدمة للأمة الإسلامية، وعدم الاكتفاء بالاعتماد على الأفكار الفلسفية البالية التي لا تخدم الفكر الإسلامي بقدر ما تساهم في تضييق الخناق على هذا الفكر لتترك المجال للأفكار والإيديولوجيات الغربية لتتوسع على حساب ثقافتنا وتراثنا.

ويردف بوعلام باقي مؤكدا للباحثين والعلماء المشاركين:" أن الهدف الجوهري لهذا الملتقى ليس البت النهائي الحاسم في كل نقطة تبحثونها، فحسبكم نجاحا أن تخرجوا منه بتصور موحد شامل للموضوع وضبط علمي دقيق لأبعاده،

---

(1)- بوعلام باقي، "مرحلة المبادرة وتقديم البديل العلمي"، مجلة الثقافة ، مرجع سابق، ص10.

(2)- المرجع نفسه، ص10.

لتصبح بعد انتهاء أعماله محور اهتمامكم واهتمام جميع العلماء والباحثين المسلمين كل حسب اختصاصه ومجال نشاطه، لمزيد من التحليل والدراسة المفصلة، لأن غرس العمل الفكري لا يثمر إلا على امتداد مسافة زمنية معتبرة، شأنه في ذلك شأن كل بناء حضاري متكامل أصيل. (1)

وارتكزت محاور هذا الملتقى العشرون للفكر الإسلامي في ثلاث نقاط أساسية هي: (2)

1. العلوم الإنسانية في الحضارة الإسلامية، ومساهمة العلماء المسلمين في تطوير هذه العلوم.
2. واقع العلوم الإنسانية في العالم الحديث.
3. آفاق العلوم الإنسانية في العالم الإسلامي المعاصر

ثانيا: العلوم الإنسانية في الحضارة الإسلامية، ومساهمة العلماء المسلمين في تطوير هذه العلوم:

إن الأخذ بالمنهج الإسلامي في مجالات الدراسات الإنسانية يجب أن يقبل على أنه حقيقة منطقية وضرورة حضارية ملحة لضمان مواصلة التقدم العلمي والتقني مع الحفاظ على إنسانية الإنسان، لأن الإيمان الخالص، والسمو الروحي يأتيان في مقدمة الخصائص التي يتميز بها المنهج العلمي الإسلامي وإليهما تعزى كل القوى الدافعة لملكات الباحث العلمي عن طريق الإبداع والابتكار. لذلك بنيت فلسفة البحث العلمي في العلوم الإنسانية من المنظور الإسلامي على نظرية التوحيد التي شكلت دافعا من حيث المنطلق وهدفا من حيث النتائج، ذلك أن الحواجز الظاهرية بين فروع العلم المختلفة أخذت تذوب تدريجيا لكي تحل العلوم المتداخلة والمتكاملة

---

(1)- المرجع نفسه، ص11.

(2)-محمد بو حميدان، "الحياة الثقافية في الجزائر: الملتقى العشرون للفكر الإسلامي" ، مرجع سابق، ص358.

محل العلوم المتعددة والمنفصلة، ولقد توقع "هيز تبرنج" (Heiz tabrung) هذه النتيجة للعلوم المعاصرة عندما ذكر في محاضرة ألقاها بجامعة ليبرج الألمانية (Université de Leipzig) عام 1941م أن فروع العلم المختلفة قد بدأت في الانصهار في وحدة كبيرة وحول فكرة العلم الموحد". [1]

وهذا هو هدف البحث العلمي من المنظور الإسلامي إذ كل العلوم ووسائل البحث فيها تهدف إلى إثبات وحدانية الله وعظمته، لذلك نجد كثيرا من الآيات تحث على النظر في المخلوقات لإدراك عظمة الخالق وهو الهدف الأسمى من البحث العلمي. وهكذا تدفع التوجيهات الإسلامية الباحث العلمي إلى تصحيح نيته في البحث وتوجيهه إلى ما هو أسمى من المصلحة الظرفية، وفي هذا التصحيح دفع قوي وتجاوز للصعاب.

وقد أكد هذا المنحى بوعلام باقي من خلال أشغال الملتقى العشرين للفكر الإسلامي بقوله:" ولعل من المؤكد لديكم أن النقطة التي لا تحتاجون إلى جهد كبير لتأكيدها من جديد هي أن المنهاج التجريبي في العلوم بصفة عامة ليس من ابتكارات الحضارة المعاصرة وانما هو ثمرة طيبة من ثمرات الحضارة العربية الاسلامية؛ لأن هذا الجانب المشرق من ماضينا الزاهر قد أخذ حظا وافرا من العناية نظمت له ملتقيات وعقدت له ندوات ووضعت فيه دراسات وأبحاث، وهي حقيقة تاريخية يقرها النزهاء والمنصفون من العلماء الغربيين أنفسهم، وإن كان الغرب عموما ما يزال يدعي أنه مؤسس منهاج العلوم وصانع الفكر والحضارة ويحرص على الترويج لهذه الفكرة بمختلف الأساليب، فبعض المؤرخين الغربيين عندما يؤرخون لنشأة الجامعات في العالم

---

(1)- خالد الصمدي، من معرفة القيم إلى قيم المعرفة، "دراسة في المناهج التربوية بالتعليم ماقبل الجامعي وأثرها في تشكيل منظومة القيم لدى شباب الجامعات مادة التربية الإسلامية نموذجا"، الندوة العلمية الأكاديمية في موضوع "القيم السائدة لدى طلبة الجامعات العربية مصادرها – تجلياتها آثارها" ، جامعة الزرقاء، المملكة الأردنية الهاشمية.24 إلى 27 يوليوز 2004، doc/.../faculty.ksu.edu.sa، تاريخ الزيارة:13/05/2017.

مثلا يغفلون خمسة قرون من الحضارة الإسلامية، فتراهم يبدأون من القرن الثالث قبل الميلاد منطلقين من أكاديمية افلاطون ثم يقفزون إلى القرن الثاني عشر بعد الميلاد للحديث عن جامعات مثل أكسفورد والسوربون وغيرهما دون إشارة إلى جامعة الزيتونة والقرويين والأزهر والمدرسة النظامية وجامعة قرطبة وما كان لها من فضل جميع في تحرير أوروبا من المنهاج الأسطوري وإرساء المنهاج التجريبي في كشف أسرار عوالم المادة. (1)

ويضيف باقي مسترسلا أن " النقطة التي ينبغي أن تتركز عليها جهودكم باعتبارها العمود الفقري لأبحاث هذا الملتقى فهي بيان درجة انحراف مناهج العلوم الإنسانية الحديثة عن الغاية الحقيقية للإنسان ومعنى وجوده على الأرض وبيان مدى بعد هذه المناهج عن روح الإسلام ونظرته الكلية إلى الكون والحياة والإنسان التي انبثقت عنها نظرة المسلمين إلى وحدة العلوم والمعارف، فأسسوا حضارة متكاملة راقية، فلم يعرفوا هذه الازدواجية الغريبة التي يعيشها أحفادهم: اليوم، ازدواجية مصطنعة بين علوم الشرع وعلوم الطبيعية، بين العبادات وبين السلوك، زادتهم بلبلة في الفكر وحيرة في النفس وتمزقا مزريا في الواقع". (2)

ثالثا :واقع العلوم الإنسانية في العالم الحديث:

نجد أنّ المعرفة بكل فروعها تمتلك أنساقاً تختلف وتتوزع باختلاف وتنوع الثقافات، يظل التجزيئيون في العالم النامي يغفلون التأسيسات الفلسفية للمعرفة، ويقصرون عن إدراك العلوم ضمن سياقاتها الاجتماعية، فضلاً عن التساؤل عن معطياتها النهائية، ذلك أنّ التبعية الإدراكية التي هيّأت لها الثقافة الغربية المهيمنة، جعلت من العلم الغربي العلمَ الشرعي الوحيد، فجهل لذلك الكثيرون دور

(1)- بوعلام باقي. "مرحلة المبادرة وتقديم البديل العلمي"، مجلة الثقافة ، مرجع سابق، ص11.

(2)- المرجع نفسه، ص11-12.

بالخصوصيات الثقافية، التي يمكن أن تفرزها الخصوصية الحضارية في الحقل المعرفي، بل بما يمكن أن تقدّمه من رؤية «منحازة» لجانب من الواقع «الفيزيقي» أو الاجتماعي الإنساني — كما يشير إلى ذلك عبدالسميع سيد أحمد- لهذا نشأت في الوطن العربي نزعة واضحة في هذا المجال هي "العلموية" (Scientism) التي أصبحت تشكل جزءاً من العقلية العربية — وبخاصة النخبة المتعلمة والمتخصصة، ومؤدّى "العلموية" أنّ الوسيلة إلى التقدم الحضاري هي تداول "أرقى" و"أحدث" النظريات العلمية دون معرفة أسسها الفلسفية، أو دون التعرض للتغيرات التي يفرضها هذا التحديد العلمي على الأفكار العلمية والاجتماعية والسياسية، فيؤخذ العلم دون تاريخيته، وتتحول المادة العلمية كأنها جهاز مستورد أو قطعة تكنولوجية جديدة.[1]

يرى بوعلام باقي في هذا السياق "أن كثيرا مما يسمى حقائق موضوعية في مجال العلوم الإنسانية ليس أكثر من وجهات نظر خاصة أملتها إيديولوجيات الهيمنة وعقد التفوق وإن استطاعت أن تفرض نفسها باسم البحث العلمي المنزه والفكر الإنساني الحر. فهناك اختصاصات حديثة مستقلة بمناهجها ومجالات نشاطها لم تكن لتظهر أصلا لولا الذهنية الاستعمارية التي تجعل من الغرب وحده النموذج الأمثل للرقي والتمدن والحضارة والمرجع الأساسي في تصنيف الشعوب والأمم إلى بدائية ومتخلفة وسائرة في طريق النمو دون أي اعتبار حقيقي للوضع الحضاري المتميز والنظرة الخاصة إلى الانسان والحياة".[2]

ولقد وجدت هذه الظاهرة من عمل على تبصير المسلمين بأبعادها الخطيرة، ودعوتهم إلى علاجها وإن تفاوتت نظرات هؤلاء العلماء والمفكرين المسلمين

---

(1)- عمر عبد حسنة، "توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية رؤية ومشروع"، الموقع إسلام ويب : المكتبة الإسلامية،

http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=1&ChapterId=6&BookId=2116&CatId=201&startno=0، تاريخ الزيارة 2017/05/22.

(2)- بوعلام باقي، "مرحلة المبادرة وتقديم البديل العلمي"، مجلة الثقافة ، مرجع سابق، ص12.

واختلفت الأساليب التي يقترحونها للتحرر منها فمنهم من ينادي بتفريغ مناهج العلوم الانسانية عموما من محتواها الغربي ومنهم من يرى النجاة في رفضها برمتها. ولا يخفى على أحد بأن هذه المواقف المتباينة، بل المتناقضة أحيانا، هي نتيجة الاختلاف في تصور الأسلوب الأمثل لتحقيق النهضة الإسلامية المنشودة، فبينما يرى البعض أن مستقبل المسلمين مرهون بامتلاك التكنولوجيا العصرية التي لا تتم نهضة حقيقية بدونها، يؤكد آخرون أن المستقبل يتوقف على إعادة تشكيل ذهنية الإنسان المسلم وتصفية وجدانه ، لأنه هو الذي يتحكم في التكنولوجيا مهما تكن متقدمة وليس العكس.[1]

ويضيف بوعلام باقي :"ومهما يكن من أمر، فإن الذي لا جدال فيه أن مناهج العلوم الإنسانية وليدة فلسفة خاصة، ونظرة متميزة، فمن الطبيعي أن يصطبغ مسرى هذه المناهج بلون هذه الفلسفة، وهذه النظرة، وأن يختلف باختلافهما. لقد اطمأن الغرب إبان نهضته إلى النتائج الباهرة التي حققها العلم في مجال الطبيعة، فآمن بقدرة العلم على خوض ميدان أكثر إثارة وخصوبة ألا وهو الإنسان نفسه، فتناوله العلم فردا وأسرة ومجتمعا، منطلقا في كل ذلك من مبدأ أن الإنسان هو الوسيلة وهو الغاية. فلم يكن غريبا أن نجد العلوم الإنسانية الحديثة في كثير من اختصاصاتها تدرس الأغراض على أنها جواهر، ويجرها ما تلاحظه من التغير المستمر لتلك الأغراض إلى الإيمان بمبدأ التغير الحتمي، فلا شيء جوهري ثابت في الإنسان. وقد نتجت عن هذه الفلسفة وجهات نظر مهزوزة سميت نظريات في مجالات حساسة كالتاريخ والاجتماع والاقتصاد وغيرها، وماتزال تؤثر بقوة في مسار البحث العلمي لدى كثير من جامعات البلاد الإسلامية."[2]

---

(1)- المرجع نفسه، ص12.

(2)- المرجع نفسه، ص13.

إن النظرة الثنائية للإنسان تمثل صدى لثنائية الخالق والمخلوق، والدين والدنيا، والحقيقة: أنّ الإنساني لا يمكن عزله عن الطبيعي: كما أنّ العيني لا يمكن فصله عن الغيبي، والتأليف بين هذه الثنائيات هو جوهر الأطروحة الإيمانية في الإسلام.

ويضيف أبو عمران الشيخ (مشارك في ملتقى الفكر الإسلامي العشرين) مدعما لهذه الفكرة ومؤكدا بأن الإسلام يتميز بالتوازن بين الجانب المادي والروحي في حياة الإنسان ...والسبب يرجع لكون الإسلام يجمع بين الدين والعلم ولا يرى بينهما تناقضا، لأن التجربة الدينية ليست من نوع التجربة العلمية. إن الدين يتجاوز الطبيعة ويشمل حياة المؤمن كلها، أمام العلم فلا يعتني إلا بجزء خاص من الطبيعة، فكلاهما ضروري للحياة، العلم لتحسين الحياة المادية والدين لتنظيم الحياة الفردية والمعاملات الاجتماعية. (1)

يقول باقي في هذا السياق: "إن المناهج الإسلامي للعلوم والمعارف منبثق من وحدة الإسلام الشاملة الجامعة: فالخالق واحد سبحانه والكون واحد والإنسان واحد والعمل الصالح الذي هو قوام الوجود الإنساني وعلة الخلق في الإسلام هو الذي يجسم هذه الوحدة الجامعة، بالمفهوم الحضاري الواسع، متى صدر عن عقيدة صحيحة ووجدان سليم وتفكير مستقيم!"(2) قال تعالى:**{و العصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}**.(3)

وبناءً على ذلك، يبدو أن أيّ علم من العلوم الإنسانية يعالج ظاهرة نوعية، لا يسعه إلاّ إبقاء النظر مفتوحاً على سائر الظواهر الأخرى .كما أن إغفال السياقات الاجتماعية والثقافية لانبثاق المعرفة وتأسيس العلوم: من السلبيات

---

(1)– أبو عمران الشيخ، " الفلسفة الإسلامية بين الماضي والحاضر" ، مجلة الثقافة ، مرجع سابق، ص52.

(2)– بوعلام باقي، "الدين ليس مجرد عاطفة ووجدان وإنما هو علم وحقيقة"، مجلة الثقافة ، مرجع سابق، ص114.

(3)– القرآن الكريم ، سورة العصر، الجزء 30.

الأخرى للمنظور التجزيئي الذي يدعو إلى تلقي العلوم وفهمها بمعزل عن إدراك سياقاتها الاجتماعية والزمنية والجغرافية، الأمر الذي يجعلها منفصلة عن أطر نشأة وسياقات التطور، ومن ثم الحيلولة دون إدراك عناصرها ومتغيراتها الإيديولوجية وقوانينها النسبية التي تحكم المساحات الكبرى من موضوعاتها .

تقتضي وحدة المعرفة التي تعتمد الترابط بين الإنسان والطبيعة والكون والخالق، النظر إلى الظواهر بشكل متداخل، لهذا فإنّ تزايد الجهود المنصبة على إنشاء المنظور التكاملي الذي يجمع المساهمات المعرفية للعوالم المختلفة؛ من شأنه أن يقلل من تحيّز كلّ تخصص وادعاءاته المعرفة المبالغ فيها، لذا فالأخذ بالتكاملية «Interdisciplinarrity» بدلاً من الأحادية «Reductionists» يعني: تبنّي مبدأ تعدد المؤثرات في السلوك الإنساني، وانطلاقاً من هذا المنظور يمكن التحدّث عن إعادة تنظيم المناهج التعليمية وتجديدها .[1]

ويرى بوعلام باقي أنه "لا فصل في المناهج الإسلامي للعلوم والمعارف بين علم الجمال مثلا وعلم السلوك او بين علم الاقتصاد والاخلاق او علم الاجتماع والشريعة وليس معنى هذا أن الإسلام يعارض مبدأ التخصص في مجال العلوم والمعارف ولكنه لا يسلم باستقلالية هذه التخصصات عن بعضها الا بمقدار ما يسلم باستقلال حاسة السمع مثلا عن حاسة البصر وظيفيا، كما أن الإسلام لا يفصل بين العلوم الإنسانية وبين مناحي الحياة الأخرى. إن انتهاج فلسفة موحدة

(1)– ليلى فيلالي، " علوم الإعلام والاتصال والدراسات الإسلامية: في إطار استراتيجية حضارية لتحقيق التكامل المعرفي "، الملتقى الدولي "التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى24 –25نوفمبر2015"، مجلة المعيار، كلية أصول الدين ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد40، ديسمبر2015 ، ص702–703.

شاملة في مجال العلوم والمعارف في عصرنا هذا مثلا لا يكفي وحده لتحقيق التوازن وضمان الاستقرار ما لم تقم نظم عالمية جديدة اقتصادية ونقدية وإعلامية.[1]

ويتحدث بوعلام باقي في هذا السياق عن أزمة العلوم الإنسانية، إذ يرى " أن هناك صيحات كثيرة تتعالى في الغرب تدعو إلى إعادة النظر في فلسفة العلوم الانسانية عموما بعد أن برهنت على فشلها بل إفلاسها لأنها قامت منذ انطلاقها على أسس واهية، فهي لم تزد في الحقيقة على أن وسعت مجال العلوم الكونية والطبيعية فأضافت الإنسان الى ميدان الاختبار والتجربة وكأنه جزء من الطبيعة لا أكثر دون أدنى اعتبار لجوهره وحقيقته، أو تمثل لمعنى وجوده ورسالته. ويؤكد هؤلاء المفكرون المتتبعون لمسار هذه العلوم في الغرب أنها ماضية في طريق مسدود نظرا لروح الاستقلالية المفرطة التي آلت اليها فروعها المختلفة ومبدأ النسبية الذي يطبع نتائج أبحاثها مما جعلها عاجزة عن تشكيل صورة واضحة متكاملة للإنسان والعمل على إصلاحه وتوجيه طاقاته الجبارة إلى محاربة ثالوث التخلف : الجهل والفقر والمرض".[2]

إنّ مبدأ وحدة المعرفة هو مبدأ إسلامي بامتياز، وإنه يتعين انطلاقاً من هذا المبدأ أن نتعامل مع العلوم المختلفة بصفتها نظاماً كلياً حتى في حالة التعاطي مع تخصص محدد، ففي دراستنا للشخصية العربية مثلاً، لابدّ من استحضار الجوانب التاريخية والاجتماعية والدينية والأدبية؛ لأنه لا يمكن فهم هذه الشخصية وتغيراتها إلا في إطار التعرض لكل تلك الجوانب التي تعالجها علوم التاريخ والاجتماع والدين والأدب وغيرها، كما أنّ دراسة ظاهرة أنثروبولوجية ما، يقتضي الإلمام بمداخل من علوم التاريخ والاجتماع واللغة والآثار والاجتماع والفلكلور والفيزيولوجيا للوقوف على طبيعة تلك الظاهرة وكشف حقيقتها .

---

(1)- بوعلام باقي. "الدين ليس مجرد عاطفة ووجدان وإنما هو علم وحقيقة"، مجلة الثقافة ، مرجع سابق، ص114.

(2)- بوعلام باقي، "مرحلة المبادرة وتقديم البديل العلمي"، مجلة الثقافة : مرجع سابق، ص14.

رابعا: آفاق العلوم الإنسانية في العالم الإسلامي المعاصر:

تعد إعادة تمكين الدور العالمي والسنة الكونية لرسالة الإسلام من الأهداف الرئيسة جدًا في قيام الحضارة الإسلامية من جديد، وهو الذي يتوقف تحقيقه وتحصيله على مراعاة سنن الله في الكون، وامتلاك الشروط الضرورية للنهضة والتنمية والتحضر، وتسخير جميع الأسباب الذاتية والموضوعية بغية حيازة المبادرة العلمية والحضارية في بناء التقنية الإسلامية، وامتلاك معلوماتها ودقائقها، واستثمارها في البناء الحضاري العام، وفي تحريك الدورة التنموية وتعميمها وتفعيلها وتأييدها حتى يتحقق أمن المسلمين معرفيا ودينيا وفكريا.

ويقول بوعلام باقي في تقييمه لما قدمه العلماء والمفكرون خلال أشغال الملتقى العشرون للفكر الإسلامي :لقد أكدتم مرة أخرى أن الإسلام قادر، في كل مكان وزمان، على صياغة الحياة، صياغة جديدة سليمة، متى توفر الإيمان العميق، والعزيمة القوية والهمة العالية، لأن الإسلام واحد، لا يتعدد ولا يتغير، وإنما الذي يتغير ويتجدد هو فهم الناس للإسلام، مما جعلكم تلحون على ضرورة تشجيع الاجتهاد، بفرعيه الانتقائي الترجيحي والإنشائي الإبداعي، في إطار احترام التخصص والحسم في المفاهيم، ضمانا لجلاء الحقيقة وبلوغ القصد واستقامة الحوار، كمفاهيم التطوير والتجديد والانتقاء والتفاعل وغيرها، فلا تنصب على الجواهر الثابتة من الدين، لأن سر عظمة الشريعة الإسلامية كامن في قيامها على مبدأ الصلابة في الأصول والمرونة في الفروع.[1]

---

(1)- بوعلام باقي، "الدين ليس مجرد عاطفة ووجدان وإنما هو علم وحقيقة"، مجلة الثقافة ، مرجع سابق، ص114-115.

ويضيف باقي مشيدا بأن هذا الملتقى "قد كان فرصة ثمينة، بحق، أكد العلماء فيها للشباب، بصفة خاصة، أن الدين ليس مجرد عاطفة ووجدان؛ وإنما هو. قبل، ذلك، وبعد ذلك، علم وحقيقة لا يقوم على كهانة عقلية أو مغامرات باطنية غامضة، لأنه شريعة ومنهاج لحياة عزيزة كريمة، ولا تستقيم حياة على ظنون أو ترجيحات وأوهام. والإسلام ليس سبحات فلسفية مجردة، وانما هو بناء محكم وهندسة متراصة ونظام رباني ينزل إلى واقع الناس يخاطبهم بلغتهم ويأخذ بأيديهم، فلا يرغب في فضيلة أو ينفر من رذيلة، إلا وضع الأسلوب أو الأداة التي بها يحقق الإنسان هذه الفضيلة، أو يتجنب تلك الرذيلة .على هذه الوسيطة الحكيمة والتعادلية التي تربط الأرض بالسماء **{وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا}** [1] ينشئ الإسلام الأجيال صحيحة مستقيمة، فلا تعرف الزهد العازف عن الدنيا ولا التدين الشكلي الذي تلعب به الأهواء، قال الله تعالى: **{ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى}**[2]، فالفوز بنور العقل مرهون بالإيمان الذي يستقر في القلب، ويصدقه العمل". [3]

ثم إن قيام علوم إنسانية إسلامية سيعود نفعه على سائر الأمم والشعوب، باعتبارها نابعة من الفكر الإسلامي، الذي يتسم بسمات العالمية والكونية والواقعية والمصلحية، وليس متصفًا بما يكرس الانعزالية والانطوائية والقبلية والجهوية، كما هو الحال في كثير من التصورات والفلسفات الوضعية... فالإسلام وعلومه ومعارفه

---

(1)- سورة القصص ، الآية 77.

(2)- سورة الكهف، الآية 13.

(3)- بوعلام باقي، "الدين ليس مجرد عاطفة ووجدان وإنما هو علم وحقيقة"، مجلة الثقافة . مرجع سابق : ص115.

وفنونه، ينبغي أن تشيع في شتى أنحاء الأرض وبين مختلف الطوائف والملل والجماعات، قصد إصلاحهم ودعوتهم لما فيه خيري الدنيا والآخرة.[1]

يقول بوعلام باقي مبرزا الأهمية العملية لمجريات هذا الملتقى الفكري : "لعل النظرة المتسرعة إلى جدول أعمال هذا الملتقى قد تستغرب انشغال علماء المسلمين بدراسة مناهج علوم نظرية في ظرف يشهد فيه العالم وضعا اقتصاديا وسياسيا مضطربا جعل العالم العربي والاسلامي في اضطراب أشد، لكن هذا التساؤل يزول عندما نقتنع أن هذا التأزم لا يمكن فصله عن الوضع الحضاري العام للمسلمين، والوضع الحضاري لا يمكن تجاوزه الا عن طريق فهم أعمق للإنسان وتوجيه أحسن لطاقته وقدراته باعتباره صانع القوة ومحقق التقدم وحارس الأمن والاستقرار. لقد بات مؤكدا أن الإنسان اليوم ليس في حاجة إلى مزيد من الوسائل ولكنه في حاجة ماسة وعاجلة إلى قيم ومبادئ وغايات، وهو مجال العلوم الإنسانية عموما، إذا وضعت مناهجها وفق فلسفة تستمد روحها من الإسلام، وما من شك في أن المنطلق الأول لهذا الاشعاع هو الجامعة فهي النواة الأولى التي تعيد للبحث العلمي في الفكر والثقافة روحه الاسلامية، فالجامعات تمثل قمة النظام التعليمي في كل مجتمع تضطلع بدور القيادة والتوجيه، فتعمق الجواهر الثابتة في حياة الأمة وتبحث باستمرار عن الحقائق العلمية الموضوعية، وهي في الوقت نفسه جسور تربط بين القديم والجديد بين الثقافات والبيئات وتجسم في كل نشاطها المتعدد نظرة الإسلام إلى وحدة العلوم والمعارف."[2]

---

(1)- المكتبة الإسلامية، "إنجاز التقنية الإسلامية وأسلمة العلوم الإنسانية" – المكتبة الإسلامية – إسلام، http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=22 ChapterId=22&BookId=266&CatId=201&startno=0& تاريخ الزيارة 21/05/2017.

(2)- بوعلام باقي، "مرحلة السيادة وتقديم البديل العلمي"، مجلة الثقافة ، مرجع سبق، ص13.

ويضيف مستدلا وموضحا أسباب التفوق الحضاري للمسلمين عبر التاريخ قائلا: " لقد كرم الإسلام الإنسان بالعقل ووسع له في مجال اختصاصه فدعاه إلى التدبر والتفكر والبحث للوصول الى الحق المبين ! **{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}**.[1] ولقد أكد هذه الحقيقة الكبيرة تاريخ الحضارة الإسلامية التي لم تشع على العالم بأنوارها إلا لأنها لم تنحرف بنعمة العقل عن مجال اختصاصه، فاشتغل علماؤها بعلوم الدنيا واكتشفوا أسرار المادة وضبطوا قوانينها. ولما وقف المسلمون نشاطهم الفكري على عالم الغيب وحده مهملين عالم الشهادة سقطوا في ميزان الريادة الحضارية.[2]

ليست العلوم الإنسانية -في أمتنا العربية والإسلامية- بمعزل عن الأزمة التي أصابت نظيرتها في المجتمعات الغربية ويتمثل المخرج حسب بوعلام باقي في تأسيس فلسفة إسلامية فكرية وتطبيقية يمكنها لأن تقدم أكثر من مجموع عناصرها المادية والفكرية المشتركة والممزوجة بتعاليم الدين الإسلامي وقيمه السامية لإنتاج معرفة متشبعة بالهوية الإسلامية لأجل إعلاء صرح حضارة معاصرة تتناسب مع مجد الأمة وتاريخها العريق.

وأشار باقي إلى أن التقدم العلمي التكنولوجي الذي حققه إنسان الذرة وغزو الفضاء لم يصحبه انتعاش موازٍ في مجال الروح والقيم والأخلاق ،مما يجعل هذا العلم المتقدم اليوم أشبه بطاقة جبارة في يد مارد أحمق، هي إلى الخراب والدمار أقرب منها إلى البناء والعمران. فكيف يطمح المسلمون إلى تقديم بديل سليم منقذ في هذا المجال الإنساني الواسع إذا كان علماؤهم أنفسهم وهم قادة الأمة ومصابيحها لا يزال نشاطهم محكوما بنظرة خرافية إلى الكون والإنسان والحياة، يتنكرون للحقائق العلمية

---

(1) سورة فصلت ، الآية 53.

(2) بوعلام باقي، "مرحلة الريادة وتقديم البديل العلمي"، مجلة الثقافة ، مرجع سابق، ص14.

القطعية بدعوى التمسك بالسنة ومحاربة البدع وكأن الإسلام الذي جعل "العلماء ورثة الأنبياء" يبارك التحجر والانغلاق ويرضى عن العمى الفكري الذي يغذي الجهل ويعمق جذور التخلف. [1]

إن الآية الكريمة التي اتخذتها ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر شعارا دائما لها هي قوله سبحانه وتعالى: **{ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}** [2]، فلا تقدم يرجى للمسلمين إذا لم ينر العلماء بصائرهم بنور الحق، ويعودوا إلى نهج الإسلام المتكامل الأصيل، الذي يقيم كل شيء على العلم، ويحث عليه، سواء في مجالات الحياة المادية او الروحية، وكما قال فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الغزالي : " فإن الدين وحي الله والكون صنعه فكيف يعارض صنعه وحيه؟ ! ،إن كل خلل يطرأ على هذه المعادلة في مسيرة حياة مجتمع إسلامي يكون مرده إما الى عدم صحة ما يقدم على أنه علم صحيح أو إلى سوء فهم ما يقدم على أنه من جوهر الدين، لأن العلم الصحيح لا يمكن أبدا أن يخالف الشرع الصحيح . [3]

ختم بوعلام باقي الملتقى العشرون للفكر الإسلامي بتثمين الجهود المعرفية المبذولة من قبل المشاركين من العلماء والمفكرين، وكان من الجوانب المشرفة لهذا الملتقى " مشاركة باحثين لم يمنعهم انتسابهم إلى مجتمعات غير إسلامية وعيشهم فيها من أن يهتدوا إلى الحق ويسلموا وجوههم لرب العالمين. وهم لا شك يعانوننا أكثر منا وطأة الاتجاهات الفكرية التي هيمنت وماتزال تهيمن على العلوم الإنسانية، فقد مكنونا من أن نعيش تجربتهم من الداخل، لنأخذ بعين الاعتبار وضعهم المتميز عندما نبحث عن الحلول وتقديم البديل، كما مكنونا من أن نرى خلال تجربتهم تلك، كيف يكون الخروج من الظلمات إلى النور مصداقا لقوله تعالى: **{هو الذي**

---

(1)- المرجع نفسه، ص14-15.

(2)- سورة الرعد، الآية11.

(3)- بوعلام باقي، "مرحلة المبادرة وتقديم البديل العلمي"، مجلة الثقافة، مرجع سابق، ص15.

أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله}[1]. لأن الهدف الجوهري العام لهذه الملتقيات هو توحيد رؤية المسلمين إلى واقعهم ومستقبلهم كخطوة أولى لتحقيق وحدة الفكر والعمل".[2]

لقد أوضح بوعلام باقي ما توصل إليه المشاركون من ضبط علمي لأزمة العلوم الإنسانية الحديثة، واقتراحهم لتصور أوحد للمنهاج الإسلامي الذي ينعشها بالتحرر من جدلية الرفض والقبول التي ظلت تحكم مواقف المسلمين من الحضارة المعاصرة، منذ فجر النهضة، ويعد الرفض الواعي أول خطوة في سبيل تحقيق الذات.

خاتمة

يبرز هذا الموضوع الانجازات المعرفية لمطبعة العشرين من ملتقيات الفكر الإسلامي التي أشرف عليها بوعلام باقي، والتي تم فيها تأكيد مطلب إعادة بناء العلوم الإنسانية في المجال العربي والإسلامي استنادا إلى البعد العلمي البحت، المتصل بالحقائق والقوانين والسنن الاجتماعية والحضارية والطبيعية التي يتم تقريرها أو اكتشافها على المستويين المطلق والنسبي؛ والبعد التوظيفي المتمثل باستخدامات العلم وتوظيف معطياته وفقاً للغايات المرسومة. والحقيقة أنّ إعادة بناء هذه العلوم، وفقاً للمرتكزات المذكورة في محاور الملتقى، تتأسس على ضرورة اعتمادها ضمن سياق معرفي واحد يبني نظاما معرفيا له أبعاده الموضوعية وخصوصياته الحضارية.

وخلص بوعلام باقي في محاضرته الختامية للملتقى إلى أن المشاركين قد حللوا واقع العلوم الإنسانية في البلاد الإسلامية ووقفوا عند أسباب ضعفها وفشلها حتى في بيئتها الغربية بسبب التصور الغربي للإنسان الذي يعتبر مجهول المصدر، غامض المعنى

---

(1)–سورة التوبة ، الآية 33.

(2)–بوعلام باقي، "الدين ليس مجرد عاطفة ووجدان وإنما هو علم وحقيقة"، مجلة الثقافة . مرجع سابق، ص116.

وفاقدا للغاية، لذا فقد أكدوا جميعهم على أن مكوناتها المستمدة من خصائص بيئتها التي استقدمت منها وتم احتضانها وصياغة ذهنيات أجيالنا وفق منهجها ولغاتها الأصلية يجعلنا نبتعد عن هويتنا الحضارية.

ولم يستثني بوعلام باقي دور التكنولوجيا في تطوير الأمم لأنها سبيل إحداث التوازن لتحقيق النهوض الحضاري ، والسعي الجاد إلى امتلاك التكنولوجيا، ينبغي ألا ينسينا العناية بالإنسان نفسه، لأن التكنولوجيا مهما تكن عصرية متقدمة، تظل أداة ووسيلة في يد الإنسان. وقد برز ذلك بجلاء من خلال استقراء المشاركين في الملتقى لتاريخ البشرية الطويل على اعتبار أن الإنسان يجمع بسهولة بين الفكر الفلسفي المجرد والاستدلال المنطقي المحكم وبين الوجدان السقيم والاعتقاد الخرافي والسلوك المشين، حيث يؤكد بوعلام باقي على أنه" لا غنى للإنسان عن الوحي مهما تكن مداركه راقية ومعارفه واسعة". (1)

ومن دون شك فإن من يضطلع بهذه المهمة على النحو التفصيلي هم العلماء والمفكرون والباحثون، سواء عبر الجهود الفردية أو المؤسسية: الشخصية أو الرسمية، ويمكن للجامعة الاضطلاع بدور بارز على هذا الصعيد، لا سيّما عبر مداخلها التي عرض إليها بوعلام باقي في مداخلتيه الافتتاحية والختامية وكذا المحاضرين والمتعلقة أساسا بإعداد المناهج والبحوث في حقل العلوم الإنسانية وفقاً للسياق الحضاري الإسلامي.

---

(1)- المرجع نفسه ص113-114.

من ملامح التربية الأخلاقية عند بوعلام باقي

من خلال كتابه –لقمانيات–

د. فاطمة سوالمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

مما لاشك فيه أن الأستاذ بوعلام باقي قد عاش في مرحلة كانت الجزائر فيها تمر بظروف حرجة على جميع المستويات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ونظرا للدور المهم الذي تقوم به التربية في مواجهة تلك الأزمات، قام الأستاذ بوعلام باقي وعلى مدار الأعوام السابقة بتأليف العديد من الدراسات والبحوث على غرار كتابه –لقمانيات– تعرض فيها لعدد من القضايا التربوية.

وقد وضّحت تلك الدراسات العديد من الحقائق حتى يتبين للفرد الجزائري كيفية المحافظة على مقوّمات أمته من أساليب وأنماط التفكير المختلفة الوافدة عليه من الشرق والغرب، والتصدي لكل أشكال التعصب والتفرقة التي من شأنها أن تهدد وحدة الأمة الجزائرية وكيانها.

1– نقد الواقع الاجتماعي:

لقد آلم الأستاذ بوعلام باقي ما أصاب الإنسان الجزائري من تدهور في الأخلاق وانحراف في السلوك فكتب قائلا:" إن ما أصاب مجتمعنا الجزائري في السنوات الأخيرة لهما تنفطر له القلوب، فقد انتشرت الأمراض الاجتماعية، وتفشت بين الشباب وحتى غير الشباب، وكأن الناس أصبحوا لا وازع لهم من الدين ولا وازع لهم من القانون وكل يعمل على شاكلته لا يبالي بما يقول عنه الغير إن سرا وإن جهرا"[1]

---

1 ـ بوعلام باقي. لقمانيات. منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2006م. ص45

وفي موضع آخر يقول: "الانحلال الخلقي الذي غز البيوت والشوارع بصورة يندى لها الجبين وتستحي منها العين قبل أن تقشعر منها الجلود "[1]

ويزداد نقد الرجل حدة لمن تحولت العبادة عنده لمجموعة من الطقوس والشكليات يؤديها خالية من أي أثر للدين أو للإيمان كما هو مبين في هذا النص: "...فجاء مجتمعا خليطا وسادت فيه الأنانية، وكثرت فيه الأثرة، وقلّ فيه الإيثار، وعم فيه الفساد أو كاد حتى عند القائمين بالشعائر الدينية فمنهم من لم تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر، ومنهم من لا يلحقه من صومه إلا الجوع والعطش، ومنهم من حجه مردود عليه لأن ماله من حرام ونيته في الكسب غلبت نيته في أداء الفرض"[2]

وأمام هذا الوضع الاجتماعي المزري لم يقف أستاذنا عند حد البكاء على اللبن المراق، وإنما بادر إلى البحث عن العلاج المناسب، فكان أن كتب العديد من البحوث يوضح فيها أن التربية هي السبيل الوحيد للإصلاح والتغيير.

2-الثقة بالتربية:

كانت ثقة الأستاذ بوعلام باقي بالتربية ودورها في عملية التهذيب والإصلاح إلى أبعد الحدود، فقد رأى أن "التربية هي أساس كل استقامة ولا تتقدم الأمم دون أن تشمل التربية جل أفرادها إذا لم يكن كلهم"[3].

متابعا في ذلك للموقف التربوي لرائد النهضة الإصلاحية في الجزائر عبد الحميد بن باديس كما يقول: "...كان رائد النهضة الإصلاحية في بلادنا وفقيدها شيخنا الإمام عبد الحميد بن باديس يوصي أصحابه بالتركيز على التربية لدى الطلبة الناشئين"[4].

---

(1)_ المصدر نفسه، ص45

(2)_ المصدر نفسه، ص89

(3)_ بوعلام باقي، لقمانيات، مصدر سابق، ص37

(4)- المصدر نفسه، ص37.

وهنا يبدو تأثر الأستاذ بوعلام باقي واضحا بالشيخ محمد عبدو الذي كان يرى في التربية السبيل الوحيد لتغيير الإنسان المسلم وإعادة بنائه بناء يكفل له استقامة الأخلاق وصدق الإيمان، حيث يقول: "إن الإنسان لا يكون إنسانا حقيقيا إلا بالتربية...وهي عبارة عن السعادة الحقيقية...فإذا ترى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه"[1].

3- عناية الأستاذ بوعلام باقي بالتربية الخلقية:

إذا كانت التنمية من معاني التربية فإننا نعني بالتربية الخلقية تنمية الاستعداد للتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل طلبا للسمو والارتقاء، المناسب لمكانة الوجود الإنساني باعتباره أعلى قمة الموجودات في هذا الكون.

ولقد أجمع علماء الفكر التربوي في الإسلام على "أن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية، والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية" [2]

ويعتبر الأستاذ بوعلام باقي من المؤيدين للاتجاه الذي يرى أن التربية الأخلاقية هي تكوين بصيرة أخلاقية عند الفرد ليميز بها بين عمل الخير والشر، فيقول: "...إن الحديث المروي عن النبي أن اقرأوا ما تيسر من القرآن وتفقهوا في الدين ليرمي إلى تكوين الفرد الواعي الذي يميز بين ما هو خير فيعمد إليه وما هو شر فيبتعد عنه"[3]. ومن أنصار هذا الاتجاه الفيلسوف الألماني كانط الذي يقول: "إن هذا التعليم (التربية الأخلاقية أو التعليم الأدبي على حد تعبيره) يراد به أن يكون للفتى بصيرة يعرف بها ما هو حسن نافع وما هو قبيح ضار...

---

(1)- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبدو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972م، ج2، ص151.

(2)- محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ص22.

(3)- بو علام باقي، لقاءات، مصدر سابق، ص88.

ومتى توفرت للإنسان القدرة على التمييز بين الخير والشر فقد تحققت مسؤوليته أمام الله وأمام المجتمع في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وأعمال لقوله تعالى: "**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**"[1] ويكون صلاح الإنسان وسعادته في هذه الحياة متوقف على مدى التزامه بالفضائل والقيم الأخلاقية.

وهذا أمر لا غنى عنه في ميدان التربية ولهذا وردت نصوص كثيرة في هذا الميدان منها قوله تعالى: "**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**"[2]

وعناية الأستاذ بوعلام باقي بالجانب الأخلاقي نابعة من رؤية إسلامية واضحة، فهو يوجه المرء إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يلتمس فيهما مصادر التربية الصحيحة، ويستقي منهما المبادئ والقيم الداعمة لبناء إنسان فاضل ومجتمع متماسك قوي يستطيع الوقوف في وجه الضلالات والتحديات مهما كان نوعها، وفي هذا يقول:"...ويزيد النبي فيبين رسالته قائلا: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ويعكف على تربية أصحابه فيتخلقون بخلق القرآن وينعكس ذلك على مجتمعهم فيعيشون فيه إخوة متحابين يحمي بعضهم بعضا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..."[3].

قال تعالى: "**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3)**"[4].

---

(1)- سورة البقرة، الآية: 286.

(2)- سورة الأحزاب، الآية: 33.

(3)- بوعلام باقي، لقمانيات، مصدر سابق، ص88.

(4)- سورة العصر، الآية:2-3

"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [1].

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا" [2].

وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم- بين العقيدة والأخلاق فقال: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا" وقال أيضا: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"وفي حديث آخر يقول -عليه الصلاة والسلام: "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن، البخل وسوء الخلق"

وفي دعوته للالتزام بالفضائل الأخلاقية استعان الأستاذ بوعلام باقي بالاقتداء بالسلف الصالح ومتابعتهم والتأسي بهم، وهو أسلوب تربوي أرشد إليه القرآن الكريم، فقال تعالى: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" [3]

وفي هذا يقول: "...فهكذا كان المجتمع الإسلامي قبل انحطاطه وانكساره، وإذا أردنا اليوم أن نعيش في كنف الإسلام وشريعته فما علينا إلا أن نرجع إلى ما كان عليه أسلافنا من همم عالية فاضلة يحتضنها إيمان راسخ لا تلعب به الأهواء مثلما تفعل بنا الآن "[4]

ويأتي في مقدمة السلف الصالح الصحابة الكرام الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه الكريم، وهم الذين أمنوا به وتحملوا الألم والأذى في سبيل نصرته، لأنهم

---

(1)- سورة النحل، الآية: 97.

(2)- سورة مريم، الآية: 96.

(3)- سورة الممتحنة، الآية: 4.

(4)- بوعلام باقي، نفسانيات، مصدر سابق. ص98.

عرفوا وعايشوا بصحبته صلى الله عليه وسلم- كل المعاني والقيم الإنسانية كالأمن والعدل والرحمة والشجاعة والصدق، وأدركوا عن رضا وبصيرة واقتناع بأن النجاة في الامتثال لأمره والسعادة في الاقتداء به، قال تعالى: "**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**"[1].

وفي هذا يقول الأستاذ بوعلام باقي: "... وبهذه التربية النبوية الشريفة تسلح المسلمون الأولون، ومن هذه المدرسة المحمدية الهادفة تخرج قادتهم فكانوا للحق رعاة وللخير هداة، يلزمون أنفسهم قبل أن يلزموا بهما غيرهم"[2].

وقال عنهم ابن عطاء الله السكندري: «ما ضنك بقوم اختارهم الله لصحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام- ولمواجهة خطابه في تنزيله، فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة في عنقه منن لا تحصى، وأياد لا تنسى، لأنهم هم الذين حملوا إلينا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحكمة والأحكام، وبينوا الحلال والحرام، وفهموا الخاص والعام»[3] ومن أتى بعدهم من التابعين والعلماء والصالحين فهؤلاء السابقون هم نماذج لصور حية وصادقة تعين الناظر إليها والمتأمل فيها على السير في طريق الإيمان والإقبال على الله عز وجل.

---

(1)- سورة الأعراف، الآية: 157.

(2)- بوعلام باقي، لقمانيات، مصدر سابق، ص88.

(3)- ابن عطاء الله السكندري: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، تحقيق محمد عبد الرحمان عبد الجواد الشاغول، دار جوامع الكلم، القاهرة، 1425هـ، ص165.

وفي ذلك يقول ابن رجب الحنبلي في مقدمته لسيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ما نصه: «إن في سماع أخبار الأخيار مقويا للعزائم، ومعينا على إتباع تلك الآثار، وقال بعض العارفين: الحكايات جند من جنود الله، تقوى بها قلوب المريد، ثم تلا قول الله تعالى لرسوله:" **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** "[1].

وقد رأيت أن أجمع في هذا الجزء أخبار عبد الملك بن عبد العزيز....لسبب اقتضى ذلك، لقد كان رحمه الله تعالى مع حداثة سنه مجتهدا في العبادة، ومع قدرته على الدنيا وتمكنه منها، راغبا مؤثرا للزهاده فعسى الله أن يجعل في سماع أخباره لأحد من أبناء جنسه أسوة، لعل أحدا كريما من أبناء الدنيا تأخذه بذلك حمية على نفسه ونخوة، مع أنه لا يخلو سماع أخبار الصالحين من تحصيل رقة للقلوب وإزالة للقسوة»[2].

وهنا يلتقي الأستاذ بو علام باقي مع الصوفية الذين اهتموا بالجانب الخلقي، فقد ذكر ابن القيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين "واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق " وذكر الشعراني في الطبقات بأن التصوف هو"زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة"، وجاء في تعريف التصوف للشيخ حسين مخلوف العدوي ما نصه: "التصوف الإسلامي تربية علمية وعملية للنفوس، وعلاج لأمراض القلوب وغرس للفضائل، واقتلاع للرذائل، وقمع للشهوات، وتدريب على الصبر والرضا والطاعات"[3]

---

(1)- سورة هود الآية: 120.

(2)- ابن رجب الحنبلي، سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، تحقيق عفت وصال حمزة، ط1، دار ابن حزم، بيروت. 1413هـ، ص27-28.

(3)- محمد عبد الله الشرقاوي: **الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي (مصادره وآثاره)**: كلية دار العلوم، جامعة القاهرة. 1993م، ص151.

4- جانب من الفضائل الأخلاقية عند الأستاذ بوعلام باقي:

من الصفات الأخلاقية التي نلمسها بوضوح في لقمانيات الأستاذ:

1-**الأخوة:** وهي من القيم والمبادئ السامية الضرورية لحياة الناس ولبناء المجتمعات وهي من النعم التي تفضل بها الله تعالى على عباده فقد قال تعالى: **"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"** [1] وقال أيضا: **" وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "**[2].

ولأن الرجل رحمه الله كان واعيا بهموم الأمة فقد لاحظ أن العصبيات والعادات التي كانت تتحكم في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام قد عادت من جديد لتزيد من عمق الهوة بين الإخوة، حيث يقول: " إن الإسلام اليوم يعيش في مد وجزر نتيجة تصرف معتنقيه، فالعرب منهم يريدون ربطه بقومية قضى عليها وهو في مهده، والآخرون يحاولون خلطه بعجمة نبذها في أول عهده، وكلا الفريقين لم يرع العهد الإسلامي حق رعايته، ولم يهتم بما ورد في حقه من كلام النبوة" [3].

ذلك أن الإسلام كما يقول الأستاذ بوعلام باقي: "قد جعل صلة الدين أقوى وأوثق من صلة النسب، وكل من أراد غير ذلك فليس بصادق الإيمان وإن ادعى وكما أن لا تفاضل في الإسلام بالعرق والنسب: فلا تفاضل فيه باللون" [4]

---

(1)- سورة آل عمران، الآية:103.

(2)- سورة الأنفال، الآية: 63.

(3)- بوعلام باقي، مصدر سابق، ص81.

(4)- المصدر نفسه. ص81.

وأستاذنا هنا ينبه المسلم إلى أن الخضوع لمعايير الجنس والقومية دليل على ضعف الإيمان والجهل بحقيقة الإسلام.

ولقد أكدت الشواهد التاريخية أن الأخوة الإيمانية من أقوى الروابط التي تجمع بين الناس وتزيل الوحشة بين النفوس وتوحد بين القلوب، ولذلك كانت أول خطوة أقدم عليها النبي- صلى الله عليه وسلم- حين هاجر إلى المدينة هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ولا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، فهي ميزان التفاضل بين الناس وهذا تطبيقا للمبدأ القرآني الذي ورد في قوله تعالى:"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**" (1)

2-التسامح:

ويواصل الأستاذ بوعلام باقي في إرساء دعائم الكمال النفسي لدى الإنسان، حيث يقول: "التسامح فضيلة نحن أولى الناس بالتحلي بها وأولى الناس بالدعوة إليها ولا ننتظر ممن نتسامح معهم لا جزاء ولا شكور"(2).

والتسامح هو الصفح عن المسيء والتجاوز عن المعتدي، وهو يرادف معنى العفو والصفح والإحسان حيث يقول المولى عز وجل: "**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**"(3). ومما يدل على فضل العفو والتسامح قوله تعالى:" **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**"(4) وقوله تعالى: "**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**" (5).

---

(1)- سورة الحجرات، الآية: 13.

(2)- بوعلام باقي، لقمانيات، مصدر سابق، ص101.

(3)- سورة الأعراف، الآية: 199.

(4)- سورة آل عمران، الآية: 134.

(5)- سورة الشورى، الآية: 40.

ولقد دعى الأستاذ بوعلام باقي المرء إلى التعامل بخلق التسامح لما له من تأثير كبير على حياة القلوب، حيث يقول: "...والتسامح يلين القلوب، والقلوب إذا لانت غمرتها الرحمة والمحبة فلانت لبعضها وتبيانا لهذا يأتي قول النبي"الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف"[1].

وفي موضع آخر استعمل لفظ الخير للتعبير عن العفو فيقول: "والعفو خير ما ينفق الإنسان في حياته مصداقا لقوله تعالى: ' **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**"[2]»[3].

ومن صور التسامح التي عرفها المسلمون، التسامح مع الآخر المخالف في الدين والعقيدة وفي هذا يقول الأستاذ: " وما معاملة عمر بن الخطاب لليهودي بالمدينة المنورة وبجماعة الرهبان بكنيسة القيامة بالقدس إلا تعابير صادقة عن روح التسامح التي ينبغي أن يمتلئ بها قلب كل واحد منا حتى لا يختلف آخر الأمة عن أولها، ولا يتنكر الخلف لما فعله السلف"[4].

وهكذا تفاعل أستاذنا بوعلام باقي مع واقعه ومجتمعه حيث اتجه بإيمان راسخ وإرادة صادقة لدراسة وتشخيص وعلاج بعض الظواهر السلبية باتباع منهج يتسم بالعمق والأصالة.

---

(1)- بوعلام باقي، لقمانيات، مصدر سابق، ص124.

(2)- سورة البقرة:الآية 219

(3)- المصدر نفسه، ص124.

(4)- بوعلام باقي، لقمانيات، مصدر سابق، ص104.

خصائص الإسلام في فكر الأستاذ بوعلام باقي
من خلال كتابه :لقمانيّات

د. سعاد دوفاني
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

نبذة عن حياة د.بوعلام باقي

ولد بوعلام باقي في 14 رمضان سنة 1340هـ الموافق لـ 1922م بمدينة البيض، وكانت سعادة الأبوين به كبيرة، والده السيد محمد بن عبد القادر باقي، واستقرّ اختيارهما لاسم مولودهما بوعلام كنية الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلالي: وهي معروفة في الغرب الجزائري، لاسيما وأنّ الأم كانت من أتباع الطريقة القادريّة، والجدّة السيدة مريم بنت مولاي عبد الله التي احتضنته وأحاطته برعايتها وحبّها، وكان والدها قاضيا لمحكمة أولاد سيدي الشيخ بالبيّض، لتتوفّر أجواء النسب الكريم والمكانة المرموقة بين أهالي البيّض لبوعلام، وتساعده على نشأة متوازنة يبدأها بالالتحاق بالكتّاب لحفظ كتاب الله تعالى، ثم ومع بلوغ السادسة التحق بالمدرسة التابعة لبلديّة إقامته ليداوم فيها بعد الذهاب إلى الكتّاب مع الفجر، وعند الثامنة تبدأ الدراسة إلى المساء ليختتم يومه بالعودة إلى الكتّاب ومتابعة حفظ القرآن إلى صلاة المغرب، وبعد تميّزه تمكّن من الالتحاق بالمدرسة الرسميّة بتلمسان بعد النجاح في المسابقة الخاصّة بها[1]، وكان يشغل المراتب الأولى في كلّ مساره الدراسي حتّى نجح في الامتحان النهائي والتحق بالثعالبيّة، تخرّج منها شهر جوان 1943 حاملا الشهادة العليا ليختار التدريس بالبيّض.

[1] بوعلام باقي، لقمانيّات، ص12

انخرط بالحياة السياسيّة وعرف بنشاطه، فبعد أن فاز بمقعد نائب بالمجلس الجزائري ممثّلا لحركة انتصار الحريّات الديمقراطيّة، دخل السجن وعزل من منصبه كأستاذ بإكماليّة البيّض، ليلتحق بجمعيّة العلماء الجزائريّين، ويعيّن مدير المدرسة غليزان، ليلتحق بعدها بصفوف جبهة التحرير مع اندلاع الثورة، فكان مساعدا للعقيد لطفي بالولاية الخامسة، انتقل بعدها إلى المغرب للعلاج، وبعد الاستقلال فضّل العودة إلى التعليم إلى جانب الانشغال بالسياسة، ترأس سنة 1968 المحكمة بوهران، ثمّ عيّن نائبا بالمجلي الشعبي الوطني إلى سنة 1979، وبعدها عيّن وزيرا للشؤون الدينيّة، ثمّ وزيرا بعدل، ليعود إلى الشؤون الدينيّة حتى اختار التقاعد سنة 1989.

منذ صغره ظهر اعتمامه بالدين الإسلامي، ونوّعت انتاجاته الفكريّة بين مقالات ومشاركات في الملتقيات وغيرها. توفيّ يوم 17جانفي 2017.

1-خصائص الإسلام في فكر الأستاذ بوعلام باقي:

أ-**التسامح**[1]:

يعتبر الأستاذ بوعلام باقي التسامح قاعدة أساسيّة من القواعد التي يقوم عليها الإسلام، والتي تبنى عليها علاقة المسلم بالمسلم، وعلاقة المسلم بالكافر، لتتوسّع به دائرة العلاقات وتحفظ به الحقوق وتصان به الدماء والحريّات، وتتحقّق للناس حياة مطمئنّة آمنة، وهو إذ يجعل التسامح أساسا للحياة الآمنة يتمثّل قوله تعالى: "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**"[2]

ويعتبره منهجا ينبغي أن يتمثّله المسلم مهما كانت وظيفته إذ هو منهج من يريد أن يدعو إلى دينه ويعرّف الناس به، ويلمسونه في فكره وتعاملاته المختلفة وتصرّفاته مع كلّ من يحيطون به.

---

[1] بوعلام باقي، لقمانيات، ص16

[2] البقرة، الآية 256

وخير من حقّق هذه الصفة محمّد صلى الله عليه وسلّم، حين عاد إلى مكّة فاتحا منتصرا، فسأل قريشا عمّا يظنّون أنّه فاعل بهم، فاعتبروه أخا كريما وابن أخ كريم، وكان كريما فعلا فقال قوله الشهير: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[1]، ليغلب الصفح ويسود التسامح والوئام، وتكون كلمة الله هي العليا.

ب-التآلف والوحدة:

يعتبر الأستاذ بوعلام باقي الإسلام دينا حقّق الوحدة والتآلف[2] بين الناس لأنّه صراط مستقيم وليس سبلا شتّى، ولأنّه أيضا نهجا واحدا يجعل الناس أمّة واحدة يتحقّق بها قوله تعالى: "**وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**"[3] ومقتضى هذه الوحدة أن يسود الحب والتآلف بين الناس عبر دوائره المختلف وصولا إلى دائرة الإنسانيّة، وما تعيشه الأمّة من تقطّع أوصالها وفساد العلاقات بين الناس إلّا نتيجة لغياب تصوّر حقيقي لهذه الوحدة، وغياب تصوّر حقيقي للتوحيد، وبالرّجوع إلى بدايات الإسلام الأولى التي كانت أسسا لانطلاق حضارة ولد فيها إنسان جديد ومجتمع جديد، ضمن نظام فكري وأخلاقي جديد[4]، ذلك أنّ الإنسان الذي تلقّى الوحي آنذاك تشكّل ذهنه على أساس مرجعيّة عميا حملت إليه تصوّرا منهجيّا ومعرفيّا كان مفقودا من قبل، ساعده على ضبط فهمه لنفسه وللوجود، ثم تحديد العلاقات المختلفة بنفسه، وبمحيطه وبإخوانه وبربّه.

ويعيب الأستاذ بوعلام باقي أشباه المنديّين ممّن يجهلون حقائق دينهم، وإتباعهم لأكاذيب وأوهام يراد بها في الظاهر العودة إلى ما كان عليه السلف

---

[1] بوعلام باقي، لقمانيات، ص19

[2] المجاهد الأسبوعي، مقال بعنوان: الإسلام دين التآخي والتآلف لا دين التنافر والتخالف، 8 أفريل1983، العدد1183.

[3] سورة المؤمنون، الآية52

[4] أبو القاسم حاج حمد، منهجيّة القرآن المعرفيّة، ط1، 2013، دار الساقي، لبنان، ص54

الصالح[1]، لكنّهم يسعون بعلم وبغير علم إلى التراجع بالإنسان المسلم إلى مستويات سحيقة من التخلّف الجمود بهذه الدعوى، وكان حريّا بهم مواكبة التطوّرات المحيطة بهم وامتلاك أدوات التغيير، والدخول في دورة حضاريّة جديدة يعود بها الإسلام مسيّرا للحياة، ومرشدا إلى الحقّ والخير وكلّ القيم الإنسانيّة النبيلة، كما يحتلّ بها المسلم موقعه الحقيقي في الوجود كخليفة يصلح ما أفسد غيره، ويهدي الإنسانيّة الحائرة إلى سبل الإسلام والاطمئنان.

جـ- اليسر والاعتدال:

يرى الأستاذ بوعلام باقي أنّ أهمّ مميّزات الدين الإسلامي أنّه دين اليسر والوسطيّة والاعتدال، وجاءت أحكامه لترفع الحرج والمشقّة عن الناس، في قوله تعالى: " **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**"[2] خلافا لما يبدو من محاولات بعض شباب الأمّة في قلب هذه الخاصيّة، والجنوح نحو التعسير والتشديد ظنّا أنّه خير للتديّن والتقوى، وهو في حقيقته نقص في الإدراك، وتخلّل في الوعي وفهم خاطئ للدين، يقول الدكتور بوعلام باقي: "فجاء فهم للدين فهما خاطئا، حتّى كأنّهم ما تفقّهوا في الدين وما درسوا تاريخ الإسلام، فما عرفوا عنه شيئا، وكأنّهم ما خلقوا لزمانهم، وما أخذو من علومه شيئا يرون ألف بأس حيث لم ير النبي صلّى الله عليه وسلم أيّ بأس، ويريد الله بعباده اليسر ولا تطمئنّ نفوسهم إلّا للعسر، ويريد الله ليخفّف عن عباده، ويأبون إلّا التشديد على أنفسهم وعلى الناس، حتّى يخيّل للعاقل أنّ الآيات القرآنيّة الواردة في هذا الشأن أضحت عندهم مجرّد أفكار خالية المدلول عديمة المفعول، فلا الدين يبقى سهلا ميسورا لا يشق على أحد ولا الأمّة تساير الركب الأمّي في تطوّره التاريخي

---

[1] بوعلام باقي، لقمانيات، ص20

[2] المائدة، الآية6

وتبقى بفضل ذلك وسطا شاهدة على غيرها من الأمم"[1] وهو بهذا يذكّرنا بحقيقة اليسر الذي لازم كلّ العبادات التي ربطها بالاستطاعة، ونصح النبيّ صلّى الله عليه وسلم باليسر التخفيف ليجد المؤمن حلاوة التقرّب إلى الله عبرها، وتتحقّق له مقاصدها التي لأجلها شرّعها الله تعالى.

والأمّة اليوم بتشرذمها وتفرّقها تعنو فيها أصوات الغلوّ والتطرّف ظنّا أنّه الدين الصحيح، وهو في الحقيقة تديّن مغشوش خاطئ، زاد الناس نفورا من الدين، وأعطى لأعداء الإسلام الحجّة التي أقاموها عليه، وأنّه لو كان دين اعتدال وحقّ ما كان هذا حال أتباعه. ولمن يريد الرجوع إلى سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم ليدرك أبعاد الإسلام المبنيّة على الرحمة والشفقة، ويلمس أخلاق الرسول صلّى الله عليه وسلّم التي غمر بها القلوب، وملك بها الألباب، فشهد له الأعداء قبل الأتباع بنبل الأخلاق، وطيب السلوك.[2]

ويخلص من الكلام على الاعتدال إلى التحذير من الغلوّ لأنّ الإسلام يندّد بالتشديد على النفس والغلوّ في الدين، بل يدعو إلى الأخذ بالرخص والأخذ بالعزائم طاعة لله، وأنّ الرسول صلّى الله عليه وسلم ما سئل في أمرين إلّا اختار أيسرهما، لأنّ الأصل في الأمور الإباحة ما لم يرد نصّ كما قال الفقهاء.

د- الحيوية والمرونة: من خصائص الشريعة الإسلاميّة أنّها صالحة لكلّ زمان ومكان وصلاحها مضمون بتعاليم جاء بها الوحي المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين ليكون للعالمين نذيرا، وللدنيا قائدا إلى قيام الساعة، ولا يعقل أن ينعدم الفكر والتجديد والاجتهاد من المنهج الخالد، إذ يعني انعدامه الجهود والخصوصيّة التي لا تصمد أمام المتغيّر والجديد والطارئ، لهذا فتح الإسلام باب الاجتهاد واسعا وفق

---

[1] بوعلام باقي: لقمانيات، ص23

[2] بوعلام باقي: لقمانيات، ص23

ضوابطه المنطقيّة التي تجعله منهجا قائما مستمرّا إلى الأبد، ما يحمله من حضور وتنزّل مستمر في حياة الإنسان عبر كينونتها المتراصية، والتاريخ حافل بإنجازات العلماء المسلمين لما كانوا يطلقون العنان للفكر والنظر، ويوسّعون دائرة العقل عبر حضوره الدائم في كلّ مظاهر الحياة، مهتديا بالوحي، منفتحا على الجديد دائما.

ويؤكّد الأستاذ بوعلام باقي هذه الخاصيّة للشريعة الإسلاميّة في كونها شريعة حيّة بالاجتهاد وإعمال العقل لفهم مقاصد الأحكام، وتحقيق الخير والنفع للإنسان في كلّ زمان وكلّ مكان، لكنّه يتأسّف لحال الاجتهاد في حياة المسلمين، ويضرب لذلك أمثلة نورد منها فتاوى علماء مسلمين معاصرين بتحريم قيادة السيارة على المرأة[1]، ويستنكر استنكارا شديدا هذا الجنوح عن حقيقة الدين وضرورة الواقع، إذ في الوقت الذي يطالب العقّال والمصلحون بضرورة أيجاد سبل للنهوض بالحيّة الاجتماعية والثقافيّة والاقتصادية للمسلمين، وإخراجهم من التخلّف الذي يعيشونه، نجد جهودا أخرى تريد إرجاع الحياة إلى المسيرة المعاكسة للتطوّر والنهوض، خاصّة وأنّ استبعاد المرأة من أيّ مشروع نهضويّ حكم مسبق بالفشل، والتفكير بالنهوض بها وتأهيلها يعتبر أساسا لأيّ بدأ في أيّ إصلاح، والنهضة العربيّة الإسلاميّة لا يمكن أن تبدأ من دون تطوير منظومة جديدة للتعامل مع قضيّة المرأة والأسرة خاصّة مع تزايد الهجوم على مؤسّسة الأسرة، والمرأة أساس لا تقوم دونه، وقد تركّزت جهود أعداء الإسلام حول ضرب قلعة الأسرة بمختلف الأسلحة للخصوص في النهاية إلى إبعادها من أيّة عمليّة للتغير من حيث كونها الممرّ الآمن لمنظومة القيم والإصلاح عبر الأجيال[2]. وإذا نظرنا إلى التجارب المعاصرة، نجد رواد الإصلاحات الكبيرة لا يهملون أهميّة تأهيل المرأة وأدراجه ضمن أيّة محاولة للإصلاح والنهوض ببلدانهم، وأقصد ما فعله محمّد مهاتير رئيس وزراء ماليزيا، الذي نهض ببلاده وحقّق لها نقلة

---

[1] بوعلام باقي، لقمانيات، ص73

[2] عبد الوهاب المسيري، الهويّة والحركة الإسلاميّة، ط1، 2009م، دار الفكر، دمشق، ص63

عملاقة نحو التقدّم والرقيّ، فقد ركّز على قضيّة تعليم المرأة لتهيئتها للقيام بدورها الحضاري[1]، ونجح في مسعاه وجعل منها ركيزة للنهوض.

وقبله عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الإصلاحيّة الجزائريّة، الذي طالب بتعليم المرأة وخروجها إلى المجتمع للمساهمة في نهضته بتمكينها من العلم والتنوير، حيث ساهم مساهمة عظيمة بحرصه على تخصيص أيّام وأوقات لتدريس النساء والبنات وتعليمهنّ.

لهذا يرى الأستاذ بوعلام باقي أنّ تعليم المرأة وتأهيلها لس وليد اليوم، إنّما كان قبل خمسة عشر قرنا حيث "عاشت المرأة منذ صدر الإسلام بالبادية راعية ترعى غنمها وإبلها وحدها بالفلاة، فلا يُخشى عليها أو يُشكّ في طهرها، وعاشت تبيع وتشتري وتتصرّف في مالها بكلّ حريّة وبلا وصي يراقب أعمالها. ولم ير أحد في ذلك ما ينقص من كرامتها أو ينزع منها الثقة التي ماانفكّت تتمتّع بها في المجتمع الإسلامي كأمّ وزوجة وبنت، فكيف نريد اليوم أن نحرمها ممّا لم يجعل فيه الدين أي حرج مادام بعيدا عن موضع الإثم"[2]. ومنه فسبب كلّ هذا هو تحجّر الفكر وقصور الفهم، الذي هو نتيجة حتميّة للفهم الخاطئ والاجتهاد القاصر، وما أنتجه من فتاوى غريبة عن الدين وعن العقل.

هـ- الشموليّة:

من خصائص الدين الإسلامي أيضا كونه جاء بمنهج شمولي، يحيط بكلّ شيء ويستغرق الحياة بكلّ أبعادها وأنواعها، والمنهج القرآني أكبر من هذا الوصف وأعمق،لأنه أثبت للإنسانية تفرد هو تميزه عن باقي المناهج والفلسفات الوضعية والقوانين البشرية بكونه يحمل في ذاته قدرات أذهلت الإنسان، وجعلته يقر ولو بعد

---

[1] محمد مهاتير، الموسوعة، المجلّد1: الإسلام والأمّة الإسلاميّة، ص312

[2] بوعلام باقي، لقمانيات، ص73-74

عناد كبير بفشل وانهزام إبداعاته المختلفة أمامه، وقد لخصه المشركون في وصف القرآن عندما قالوا ﴿ مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ وإذ أبتغي من ذكر هذه الخاصية الإشارة إلى حقيقة النظر والبعد التفكري في القرآن، حيث كان البحث عن الحقيقة مطلوبا دون قيد أو منع، بل مجاله مفتوح على عالمي الغيب والشهادة لما فيه من خير للإنسان من جهة وللفكر من جهة أخرى، إذ البحث عن الحقيقة يزيل الغبش في الرؤيا والتناقض في الطرح ويوصل الإنسان إلى الخير والحق، عبر المدونة الواسعة من العلوم التي شملت مجالات الكون والحياة والتي أثمرها الفكر الإسلامي، وتشهد بشمولية هذا الفكر والقواعد المنهجية التي أصّلها في علمي أصول الدين وأصول الفقه، ثم التزامها منهجا عاما يدل هو أيضا على هذه الشمولية فيما قامت عليه من الكلية التي تندرج بها الفروع والجزئيات في أصولها العامة ومن الاعتبار للمآلات التي تقدر على أساسها المصالح وتبنى الأحكام، ومن جعل المقاصد الكلية العامة ميزانا شموليا يحكم الأفهام والتصرفات جميعا لأن العقل المسلم آنذاك انضبط بخاصية البحث عن الحقيقة، زاده في ذلك وحي حمل إليه التوجيه اللازم نحو رؤية كونية تجعله يستبين الحقيقة من خلال دوائر فكره الممتد نحو الوجود كله ليصل إلى أوسع مجالات التعامل المعرفي ثم السلوكي مع محيطه.

لكننا نلاحظ عجزا وكلالة في الأداء، رغم بقاء الأسس التي انطلق منها الفكر في البداية، ما يدل على أن الخلل في الفكر وفي الإنسان الذي لم يعد يعتمد على القرآن وعلى توجيهه نحو النظر في كل شيء في الآفاق، وفي الأنفس ليس تنبط قوانين الكون، والإنسان ويصوغ على أساسها العلوم النافعة التي تؤدي به إلى تحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض،كما وجهه نحو النظر في التاريخ في قوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ فنشأ الفكر الإسلامي متميزا بهذا الشمول والقدرة على التقصي والبحث وانطلق المسلم ونفي بحثهم عن

الحقيقة بين مستويات وجودها الأربعة "الوجود العيني في الواقع، والوجود الصوري في الذهن، والوجود اللفظي في العبارة، والوجود الخطي في الكتابة" كان ذلك أساسا في إحصاء العلوم إدراك الأهمية ذلك الشمول وأثره في توسيع آفاق المسلمين وتمكينهم من إدراك الحقائق كاملة غير مجزأة ولا مبعضة.

ومنه لابد من إحياء هذه الخاصية في النظر حتى ينتج عنه فكرا شموليا يجعل النظر أساسا من أسس الانبعاث الحضاري، وبداية لانطلاق دورة حضارية، أو مناخا لبداية التاريخ من جديد.

وهو ما يوجّه إليه الأستاذ بوعلام باقي أنظار شبابنا والمشتغلين بحقل الدعوة إلى الله وتبصير الناس بالدين الحق.

هذه بعض الخصائص التي تطرق إليها الدكتور بوعلام باقي في كتابه، والتي أشار من خلالها إلى أنّ الإسلام هو دين الحق، وأنّ الأمّة نالت العزّة والرفعة لما تمسّكت بحبل الله المتين، لكنّها لما انسلخت عن الدين واتّبعت السبل، وابتغت العزّة في غيره أذلّها الله، وجعلها عبرة يدركها من يمعن النظر، ويحسن قراءة التاريخ ثم يعتبر بمحطّاته المختلفة، وأحواله المتنوّعة.

المصادر والمراجع:

-القـرآن الكـريـم-

1. بوعلام باقي، لقمانيات: إنجاز وتصميم منشورات تالة، الأبيار، الجزائر
2. محمد مهاتير، الموسوعة، المجلّد1، الإسلام والأمّة الإسلاميّة.
3. عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركية الإسلامية، ط1، 1430هـ- 2009م، دار الفكر، دمشق.
4. أبو القاسم حاج حمد،منهجية القرآن المعرفية،ط1، 2013، دار الساقي، بيروت، لبنان.

شهادات وآراء

بوعلام باقي في بعض الكتابات التاريخية المحلية

د/ بشير فايد

جامعة سطيف2

مقدمة:

حينما قررت أن أكتب مساهمة ولو بسيطة، عن المناضل **بوعلام باقي**، وجدت عقبة كبيرة تقف أمام تحقيق ما عزمت عليه، وهي ندرة المادة التاريخية والفكرية حول هذا الرجل، الذي اكتشفت فيما بعد أنه ناضل في كل تيارات الحركة الوطنية تقريبا:حزب الشعب- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حركة أحباب البيان والحرية، بالإضافة إلى دوره المهم أثناء الثورة التحريرية، والمهام والمناصب التي تبوأها بعد استرجاع السيادة الوطنية، فالرجل ولا شك أنه ترك بصماته في كل تلك المحطات التاريخية الهامة التي عاشها عن قرب، لكن المفارقة التي لا تخصه وحده فقط، هي غياب المذكرات أو الكتابات الأكاديمية أو المؤلفات العامة، التي توثق وتؤرخ لمساره الشخصي والنضالي الحافل، أمر يدفع إلى تكرار طرح سؤال لم يجد الإجابة الشافية لغاية الآن وهو: لماذا لا يكتب المعنيون بالأمر في تاريخنا الوطني من قادة ومناضلين وفاعلين وشاهدين عن أنفسهم وعن بعضهم البعض وإن فعلوا ذلك تأتي كتاباتهم في الغالب مقتضبة وكأنها مستعجلة أو موجهة أو لا يريد أصحابها عن قصد الخوض في أدق التفاصيل والقضايا؟، وفي هذا المضمار أحسنت صنعا جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة: الوفية كعادتها لكل ما يتعلق بالتاريخ والرموز الوطنية، لما خصصت موضوع كتاب دفعة التخرج لهذه السنة الجامعية، حول حياة ومسيرة المناضل بوعلام باقي رحمه الله تعالى، للتعريف بشخصه وبدوره النضالي والثوري، والسياسي بعد الاستقلال.

1- كتاب فصول من ملحمة التحرير للدكتور محمد عباس:

"**فصول من ملحمة التحرير**"[1]، هو كتاب من تأليف الدكتور **محمد عباس**، وكما جاء في مقدمته أنه:"يجمع في موضوعاته جزءا من كفاح الشعب الجزائري في سبيل استعادة استقلاله وسيادته، بمختلف مظاهره السياسية والعسكرية والدبلوماسية، داخل البلاد وفي رحاب العالم، وهو في مجمله يزخر بالمواد الخام التاريخية التي تفيد الباحثين والمؤرخين، وتحفزهم على مزيد من التمحيص والاستقصاء"[2]، احتوى الكتاب على مدخل تاريخي عام وثمانية فصول وملحق.

خصص الدكتور محمد عباس 12 صفحة(ص 41-430) في **الفصل الثامن**، للحديث عن **بوعلام باقي**، فذكر في البداية أنه من مواليد عام 1922م بالبيض، من عائلة تنتسب إلى جناح زعيم المقاومة الشعبية **الشيخ بوعمامة** من أعراش أولاد سيدي الشيخ، تعلم مبادئ اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم في الكتاب، ثم التحق بالمدرسة الفرنسية التي فتحت له الطريق للالتحاق بمدرسة تلمسان ثم المدرسة الثعالبية، وبعد انتهاء دراسته في مدينة الجزائر في جوان 1943م، انضم إلى سلك التعليم الحكومي كمعلم للغة العربية، في الموسم الدراسي 1943م/1944م، لكنه سرعان ما ترك الوظيفة، بسبب انتقال العائلة للاستقرار في مدينة القنيطرة المغربية، وبها اشتغل مترجما لدى إحدى مصالح الحماية الفرنسية، لكنه اضطر إلى ترك الوظيفة بعد عدة أشهر، بسبب ما سماه الدكتور عباس "الأنفة العائلية والجزائرية" التي جعلته يصطدم مع مسؤول المصلحة، فغادر طنجة باتجاه الدار البيضاء واختار العودة إلى مهنة التعليم، لكن الشوق إلى الوطن دفعه إلى العودة إليه، في ختام الموسم الدراسي 1944/-1945م، فاستقر بمسقط رأسه، وقام في خريف 1945م بتأسيس أول خلية

---

[1] محمد عباس:فصول من ملحمة التحرير، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر:د ت.

[2] محمد عباس: ص 11.

لحزب الشعب الجزائري، الذي كان يسعى إلى إعادة بناء نفسه بشكل سري؛ بعد الضربات التي تلقاها عقب مجازر الثامن ماي. وقد أسند الدكتور **محمد لمين دباغين** مهمة إعادة بناء للحزب في الجهة الغربية من البلاد، للمناضل **أمحمد يوسفي**، ولما تعرف على **بوعلام باقي** وثق به، وأصبح يعتمد عليه في كل منطقة الجنوب الوهراني[1].

ذهب الدكتور **محمد عباس**، إلى أن المناضل **بوعلام باقي**، ساهم بشكل فعال، في إعادة إحياء الحركة الوطنية الثورية في منطقته، ودليله في ذلك النجاحات المحققة في الاستحقاقات الانتخابية: تشريعيات نوفمبر 1946م؛ محليات أكتوبر1947م، انتخابات المجلس الجزائري افريل 1948م، فقد كان مرشح الحركة في الناحية في انتخابات أول مجلس جزائري، وتمكن من تحقيق فوز معتبر على منافسيه المرشحين عن الإدارة وحزب البيان والحزب الشيوعي الجزائري وغيرهم، بفضل الخمسة الانتخابية الناجحة التي خاضها بالمساهمة الشخصية **لمصالي الحاج** من خلال تنشيطه لمهرجان ضخم في سعيدة بشكل خاص، وبناء على الدعوة التي وصلته، حضر الفائز النائب **بوعلام** باقي تنصيب المجلس بقصر **كارنو** بالجزائر، حيث سارت الأمور بصورة عادية، في انتظار أن يعقد المجلس دورته الأولى، لكن الأمور جرت عكس ذلك إذ تم اعتقاله.

وفي وصفه لظروف الاعتقال، أورد الدكتور **عباس** أن النائب **بوعلام**، حضر في 3 جوان 1948م، أشغال افتتاح الدورة الأولى، وهو في حال من الارتياح بدوره الجديد، بمعية عدد من زملائه أمثال:**مصطفى فروخي**، **أحمد بودة**، **محمد العربي دماغ العتروس**...ليفاجأ بعناصر الأمن تدخل القاعة، مباشرة بعد رفع الجلسة الافتتاحية للاستراحة، وتعتقله على مرأى زملائه النواب من حركة الانتصار للحريات

[1] محمد عباس: ص 419. 420.

الديمقراطية، فسارعوا إلى إثارة الحادثة عند استئناف الأشغال، لكن رئيس المجلس "**لاكيير**" اكتفى بإبداء الأسف لما حدث في الجلسة للافتتاحية لا غير، فتم نقل النائب المعتقل حالا إلى معسكر، وهناك علم أنه متهم بالإدلاء بتصريحات أثناء الحملة الانتخابية، يعاقب عليها القانون بمقتضى مرسوم **ريني** الشهير، الملغى بفترة قصيرة من سجنه، ولما كان بصدد الخروج من السجن كيفت تهمته إلى المس بأمن الدولة وتمت محاكمته بناء على ذلك، وصدر في حقه حكم بالسجن لسنتين مع النفاذ، وقد أرجع الدكتور **محمد عباس** سبب ذلك، إلى عدم تقبل إدارة الاحتلال ومن يدور في فلكها، لنتائج الانتخابات التي كانت عكس ما يشتهون[1].

اعتبر الدكتور **محمد عباس**، فترة سجن النائب **بوعلام باقي** في سجن **سركاجي** بالمهمة، إذ سمحت له بالاطلاع على بعض مجريات الأمور في الحزب، ومنها شكوى رفقائه من تصرفات النائب **جمال دردور** مع المناضلين، وبمجرد خروجه من السجن سارع إلى استفسار القيادات عن القضية وقضايا أخرى، ولما لم يجد آذانا صاغية أعلن استقالته من الحزب ومن العمل الحكومي، وفضل مزاولة مهنة التعليم في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في غليزان، ثم في سطيف التي استقر بها لفترة طويلة، لكن الإدارة لم تتركه وشأنه في سطيف، حيث ظل محافظ الشرطة بالدائرة يزعجه ويضيق الخناق عليه، ولم يتوقف عن ذلك إلا بعد تدخل **فرحات عباس**، بطلب من الشيخ **مزعاش**، أحد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2].

---

[1] **محمد عباس**، ص 421، 422.

[2] **محمد عباس**، ص 422.

وفي سطيف كانت **لبوعلام باقي**، بصمته التعليمية والإصلاحية، إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، من خلال تنشيطه لمدرستها الحرة، وتطويرها بتزويدها بأقسام جديدة، بعد أن أصبح على رأس إدارتها، وفي الوقت ذاتها كانت له اتصالات ببعض الشخصيات السياسية والوطنية بسطيف من أمثال الدكتور: **شوقي مصطفاي ولخضر دومي ويوسف يعلاوي**[1] المعلم والناشط الإصلاحي في **عين أزال** جنوب سطيف، وهو ما ساعده على تكوين خلية لجبهة التحرير الوطني، كما وضع المدرسة في خدمة الثورة وجعلها مشتلة للفداء، ومن أثمن ما قدمه لجبهة التحرير في بداية الثورة آلة كتابة من نوع روتيو– المهمة للغاية بالنظر إلى ندرتها في تلك الأثناء، وقد كان التنظيم الذي أنشأه **باقي**، تابعا للولاية الأولى(الأوراس) عبر جبال **بوطالب** في

يوسف يعلاوي: ينحدر يوسف يعلاوي، من منطقة بني يعلى بشمال سطيف، ولد عام 1918م، بقرية **الشريعة** التابعة إداريا في وقتنا الحاضر لبلدية قنزات دائرة بوقاعة ولاية سطيف، في كنف عائلة ذات شرف ونسب وعلم وأخلاق، معروفة بالمنطقة بفضلها وسمعتها وكرمها والتزامها الديني ومنه فقد انخرط بسرعة، في حركة التعليم الحر بمسجد قريته الشريعة، مستهدفا الأطفال الصغار، إلى أن جاءه التعيين الرسمي من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انتقل بعدها إلى قرية أقمون بني خيار ببني معوش، أين باشر التدريس بمدرستها، يعلم الأطفال في النهار، ويقدم الدروس للفلاحين في المساء في أحد البيوت الخاصة في أطراف القرية، وفضلا عن ذلك كان ممن تنتدبهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بانتظام، لإحياء شهر رمضان الكريم بالدروس والمواعظ، بمختلف مراكزها ومدارسها ومساجدها المنتشرة عبر تراب الوطن، انتقل إلى مدينة عين آزال في ماي 1953م، حيث استأنف التعليم بمدرستها، والإمامة والوعظ والإرشاد بالمسجد والنادي، فمكث بالمدينة سنتين ليضطر بعدها إلى مغادرتها والالتحاق بالثورة التحريرية في الأوراس سنة 1955م، إثر تسرب أخبار تفيد بوجود نوايا باعتقاله فاندمج بسرعة في النشاط الثوري، وتدرج في المسؤوليات، ونال ثقة القادة الكبار في الثورة من أمثال زيغود يوسف(1921م– 1956م)والحاج لخضر(عبيدي محمد الطاهر)والعقيد عميروش، لما أظهره من قدرات كبيرة في ميادين الخطابة والتجنيد والتنظيم، واستقامة والتزام أخلاقي وديني، إلى أن حصلت البلاد على استقلالها، حيث تولى مهام ومسؤوليات سياسية سامية مثل عضوية المجلس التأسيسي، والمجلس الإسلامي الأعلى، ورئاسة الأمانة العامة للمنظمة الوطنية للمجاهدين1980م–1990م، وفاته كانت في 23 نوفمبر 1994م. مقلاتي عبد الله،قاموس أعلام وأبطال شهداء الثورة الجزائرية، منشورات بونو، الجزائر،2009م.

وانظر أيضا إدريس سحقي: "بني معوش والحركة الإصلاحية"، ج3، جريدة البصائر، المرجع السابق، العدد 640، 18–24 فيفري 2013م.

الجنوب، حيث توجد مدرسة **عين أزال** الحرة، التي مثلت حلقة الاتصال القوية في العملية، ومن إسهامات مدرسة سطيف في الثورة، ذكر **محمد عباس** ما يلي:

- التجهيز بالألبسة العسكري لخمسين جنديا بناحية **بوطالب**، عثر عليها صدفة لدى عائلة **غرزولي** المختصة في تجارة الألبسة القديمة.

- تصفية ضابط شرطة جزائري في سوق المدينة، لدوره في قتل وقمع الجزائريين إبان 08 ماي 1945م، على يد تلميذ يدرس بالمدرسة، بتغطية من تجار السوق الذين أمنوا عملية هروبه.

- محاولة الطالب **غرزولي**، تصفية ضابط سابق في الجيش الفرنسي داخل منزله، صاحب حافلة للنقل بين سطيف وعين أزال، بعد التأكد من تعاونه مع المصالح الأمنية، بإبلاغها بركوب مجاهدين على متن حافلته من وقت لآخر، مما مكنها من اعتقال العديد منهم[1].

أما عن ظروف مغادرته لسطيف، فيذكر **محمد عباس**، أن جبهة التحرير الوطني قامت في ربيع 1956م، بتكليف **بوعلام باقي** مدير مدرسة سطيف الحرة بمهمة دقيقة، تمثلت في الذهاب إلى البيض مسقط رأسه من أجل ضم الثائرين **بوشريط والعماري** اللذان حملا السلاح في خريف 1955م بصورة شخصية، إلى جانب الثورة التحريرية، خاصة بعد بلوغ معلومات عن سعي الحركة المصالية لاستمالتهما، وقد أدى **بوعلام باقي** المهمة على أكمل وجه، لينتقل بعدها إلى معسكر حيث تقيم عائلته وهنالك جدد اتصاله بشبكة الثورة، فعينه **سي براهيم** (بطفي) نائبا له في مجلس المنطقة الثامنة الولاية الخامسة، مكلفا بالشؤون السياسية بمعية **أحمد قايد**[2] (سليمان) مسؤول الشؤون العسكرية، فاستقر لفترة من الزمن

---

[1] محمد عباس، ص 423، 424.

[2] أحمد قايد: من مواليد عام 1921م بتيارت، من مناضلي الاتحاد الديمقراطي لأحباب البيان: شغل منصب أمين عام لمكتب الحزب، فضلا عن عضوية المجلس البلدي، ومنصب نائب لرئيس بلدية

بناحية **بني سمير**، ينوب عن **سي براهيم** في مهامه خلال تنقلاته، وبتلك المنطقة شهد عمليات التمشيط التي كان جيش الاحتلال يقوم بها بشكل دوري، وما يعقبها من معارك ومواجهات مسلحة، ومنها تلك التي تمكن فيها جيش التحرير الوطني من اسر جنديين إسباني وألماني من فرقة الفيف الأجنبي، كما كان مقر المنطقة يضطلع بمهام استقبال المتطوعين وتدريبهم، وخاصة الطلبة الذين انضموا بقوة إلى صفوف الثورة، على إثر إضراب 19 ماي 1956م، لكن نشاط **بوعلام**(سي جمال) توقف نتيجة للإرهاق ولمرضه بسبب البرد والثلوج، فتطلب الأمر نقله إلى مدينة وجدة المغربية للعلاج، وهناك تعرض لصدمة نفسية حادة بعد أن بلغه خبر استشهاد ثلاثة من إخوانه في معسكر بطريقة مأساوية[1].

يسلط **محمد عباس** الضوء، على فترة علاج **سي جمال** بالمغرب، فيخبرنا أن فترة علاجه في وجدة دامت نحو ثلاثة أشهر، غادرها بعد ذلك إلى الرباط ثم طنجة، لاستكمال العلاج والاستجمام في الوقت ذاته، وكان خاله مقيما في طنجة، وقد حول مسكنه إلى مركز لجبهة التحرير الوطني، يلجأ إليه كبار المسؤولين القادمين والمغادرين أثناء تنقلاتهم بين المغرب وكل من تونس ومصر والدول الأوروبية، وبعد أن تماثل للشفاء تم انتدابه لنعمل السياسي ضمن اتحادية جبهة التحرير الوطني، التي كان على رأسها في النصف الأول من عام 1957م، عضو المجلس الوطني للثورة التحريرية **الطيب الثعالبي**[2] والمناضل **منصور بوداوود**، بعد أن حصل على موافقة مسؤوله

ليبارت، انضم إلى الثورة التحريرية سنة 1955م، عضوالمجلس الوطني للثورة، ونائب قائد قيادة الأركان. وفاته كانت في 06 مارس 1978م. ولد الحسين محمد الشريف:عناصر للذاكرة حتى لا أحد ينسى. ، ط، دار القصبة للنشر، الجزائر:2009م، ص 111.

[1] محمد عباس، ص 424، 425، 426.

[2] الطيب الثعالبي:المدعو سي علال، امتهن التعليم بقسنطينة في بداية مساره، ناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري-حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، عمل سنة 1956م مسؤولا لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بالمغرب. ثم في فيدرالية تونس بين 1960م-1961م. وعضوا اضافيا بالمجلس الوطني

المباشر **سي براهيم**، فكلف بالنظام السياسي في طنجة بدعم هام من خاله صاحب العلاقة الوثيقة بحاكم المقاطعة، وقد أدى دورا هاما في من موقعه الجديد: وفي خريف 1957م، انضم إلى أمانة اتحادية جبهة التحرير الوطني بالمغرب، إلى جانب رئيسها المعين حديثا **عبد القادر معاشو** (عبد الجليل) والأمين العام **عبد المجيد مزيان**[1]، ولما خلف المناضل **حسين قديري عبد القادر معاشو** عين معه **سي جمال** مكلفا بالتنظيم، وقد بقي في هذا المنصب، إلى غاية وقف القتال في 19 مارس 1962م، ووفقا لشهادته فإنه عاش العديد من المواجهات والمواقف الصدامية، باعتبار أن المغرب كان من معاقل هيئة الأركان العامة بقيادة العقيد **هواري بومدين وأحمد بن** بلة حليفها الجديد، ولأنه كان يفضل التأي بنفسه عن الصراعات، فقد اختار العودة إلى مهنة التعليم، التي انقطع عنها منذ ربيع 1956م بسطيف[2].

2- **مذكرة الماجستير "المجاهد مولاي إبراهيم حياته ومسيرته النضالية"**:

من مذكرات الماجستير الهامة، حول تاريخ الثورة التحريرية، التي نوقشت في السنوات الأخيرة: مذكرة الباحث مصطفى عتيقة الموسومة "**المجاهد مولاي**

لثورة الجزائرية المنبثق عن مؤتمر الصومام، ثم عضوا دائما إلى غاية نهاية الثورة، توفي بعد الاستقلال. ولد الحسين محمد الشريف: عناصر للذاكرة حتى لا أحد ينسى: ص 44.

[1] عبد المجيد مزيان: ولد في 17 مارس 1926م أو1927م بتلمسان، من عائلة ريفية تمتهن الفلاحة، تلقى تعليمه بالعربية والفرنسية بمسقط رأسه، حاز على شهادة الليسانس في الفلسفة من جامعة الزيتونة بالمغرب الأقصى، انخرط مبكرا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، كان من بين العناصر المؤسسة للمنظمة الخاصة، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني بالولاية الخامسة بين 1956م-1957م، شارك في عدة مهمات أثناء الثورة التحريرية، تقلد مناصب إدارية وسياسية خلال مرحلة الاستقلال منها وزيرا للثقافة ثم رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى، ترك العديد من البحوث العلمية والفكرية منها: الاقتصاد الخلدوني، الاستلاب السياسي، الكتاب والحضارة، جدلية الانحطاط الاقتصادي في الحضارة الإسلامية، مظاهر المقاومة في الثقافة الجزائرية، حدود الخيال السياسي عند الغزالي، الخ، توفي في 15 جانفي 2001م. عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 310، 311، 312.

[2] محمد عباس: ص 428، 429، 430. وأيضا ولد الحسين محمد الشريف: عناصر للذاكرة حتى لا أحد ينسى: ص 54.

إبراهيم–الرائد إبراهيم حياته ومسيرته النضالية بين 1925م–1969م – قائد الولاية الثالثة، **المنطقة الخامسة**" بقسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، إشراف الأستاذ الدكتور **محمد موفق**، السنة الجامعية 2010م/2011م، وقد استهدفت هذه الدراسة إبراز المعالم الذاتية والتاريخية، لشخصية المجاهد **مولاي إبراهيم** المصنف في خانة الشخصيات التاريخية المغمورة، رغم الدور الكبير الذي قام به خلال الثورة التحريرية، مع تجاوز السيرة الذاتية والتركيز بشكل أساسي على مدى مشاركته في المشروع الثوري، من خلال بيان مواقف وأفكار المجاهد من أجل الاستفادة منها في بناء التاريخ السياسي والعسكرية للمنطقة قبل وبعد الثورة، وعلاقته بالقيادات الثورية بالمنطقة، وفتح بعض الملفات الجريئة التي أثير حولها الكثير من الجدل، ولا زالت في حاجة إلى معالجة أكاديمية موضوعية، والوقوف على ما أسماه الباحث الجوانب الغامضة في التجربة النضالية والثورية **للمجاهد مولاي إبراهيم**، لتفسير أسباب تحامل البعض عليه وتأييد البعض الآخر له. ولذلك اعتمد الباحث، على عدد معتبر من الشهادات الحية، لمجموعة من المجاهدين ممن رافقوا **مولاي إبراهيم** في مسيرته النضالية الثورية، ومنها شهادة **بوعلام باقي** مناضل حزب الشعب الجزائري– حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، بخصوص بعض المعلومات المفصلة، عن النشاط السياسي في منطقة البيض، خاصة ضمن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والمنظمة الخاصة، سجلت الشهادة بمقر إقامة **بوعلام باقي** في وهران بتاريخ 25 أكتوبر 2008م، كما اعتمد أيضا على مذكرات هذا الأخير التي ما زالت مخطوطة.

قام الباحث بالتعريف بالشاهد **بوعلام باقي**، في الهامش رقم 02 الصفحة 38: فذكر أنه ولد سنة 1922م، بالبيض بقبيلة "**البواقي**" من **السماحين**، والده **محمد** وأمه **فضيلة بن سعيد**، درس في تلمسان بداية من سنة 1937م، حصل سنة

1943م على الشهادة العليا بالجزائر العاصمة، شد الرحال بعدها إلى المغرب حيث عمل ترجمانا، لكنه عزل فاضطر للعودة إلى مسقط رأسه بالبيض سنة 1945م، وفي شهر نوفمبر من السنة نفسها قام بتأسيس شعبة حزب الشعب الجزائري بمدينة البيض، ثم عين لاحقا كمسؤول بحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، انضم مبكرا إلى الثورة التحريرية[1].

أورد الباحث أن **بوعلام باقي**، كان من القليلين الذين أتيحت لهم الفرصة لمزاولة الدراسة في مدارس البيض، ثم في مدرسة تلمسان سنة 1937م، بسبب السياسة التعليمية الفرنسية، وسياسة الحكم العسكري بإقليم العين الصفراء، التي أدت إلى تراجع الطبقة البرجوازية والمثقفة في منطقة البيض ونواحيها، ومنه فقد كان التأثير مهم على النشاط السياسي، وهو ما يفسر تأخر التحاقها بركب النضال السياسي[2].

وبناء على شهادة **بوعلام باقي**، بخصوص الوضع السياسي في منطقة البيض، بين 1925م-1945م، فإن أنصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كانوا قلة في المنطقة، ورغم ذلك كانت لهم مساهمة معتبرة " في تنوير العقول وتوعية الناس إرشادهم"[3] ولقد خلص الباحث إلى القول: أن نجاح حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في منطقة البيض ونواحيها، أكثر من غيره من تيارت الحركة الوطنية، الأخرى يرجع إلى مجموعة من العوامل، منها: الدور المهم الذي اضطلع به **بوعلام باقي** ورفقائه، حيث كان هذا الأخير على اتصال دائم مع أقطاب الحركة الوطنية، وخاصة أنه كان على اطلاع على تجربة حزب الاستقلال بالمغرب، إذ

---

[1] مصطفى عتيقة:المجاهد مولاي إبراهيم- الرائد عبد الوهاب- حياته ومسيرته النضالية (بين 1925م-1969م)-قائد الولاية الثالثة، المنطقة الخامسة، مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية 1954م-1962م غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور موفق محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ص 38.

[2] مصطفى عتيقة، ص 38، 39.

[3] مصطفى عتيقة، ص 60.

شارك في مظاهرات 8 ماي 1945م[1] ودوره في الكشافة الإسلامية الجزائرية، إذ تم في ديسمبر 1945م، الاتفاق بين كل من **أبي عمران الشيخ** و**ابن سعيد محمد** و**تبون التجيني** و**راشدي قادة** و**بوعلام باقي**، على تأسيس فوج للكشافة يكون مستقلا عن الكشافة الكاثوليكية، سمي بفوج "**بودرقة**" نسبة إلى جبل "**بودرقة**" بقيادة القائد الجهوي **الشريف غوثي**[2]، استقطب في ظرف قصير، تعاطف سكان البيض والعين الصفراء والمشرية، وأضحى واجهة لحزب الشعب الجزائري[3]، الأمر الذي أقلق الشيخ **البشير الإبراهيمي**، فطالب من القائد الجهوي بوهران المدعو **مخلوف بلقاسم**، بإبعاد العناصر الكشفية عن نفوذ وأنصار **مصالي الحاج**[4].

وفي السياق ذاته، وبفضل جهود **بوعلام باقي**، تأسست أول خلية لحزب الشعب الجزائري في نوفمبر 1945م، عقب وصول المناضل وعضو اللجنة المركزية للحزب **محمد يوسفي** إلى البيض في هيئة تنكرية، وكان واسطة الاتصال بين الرجلين **عبد السلام مناد**، بتاريخ 15 نوفمبر 1945م، ووفقا للشاهد **بوعلام باقي**، فإن الانتماء العروشي لم يؤثر على طبيعة التحالفات السياسية في منطقة البيض؛ فعلى السبيل المثال كان المناضلان **بلقاسم بن صادق** (تاجر) و**عبد السلام مناد**(خياط)ينحدران من منطقة القبائل؛ في حين كان كل من **جيلالي باقي** أخ **بوعلام** وابن خالته **حميتو بن قادة** المناضلان في حركة أحباب البيان والحرية من

---

[1] مصطفى عتيقة، ص 64.

[2] مصطفى عتيقة، ص 64، 65.

[3] مصطفى عتيقة، ص 65.نقلا عن أبوعمران الشيخ:الكشافة الإسلامية الجزائرية، ط 1، الجزائر:1999م، ص151

[4] مصطفى عتيقة، ص 65.نقلا عن أوعامري مصطفى:المقومة السياسية الوطنية بعمالة وهران ما بين 1942م-1951م-تجربة التحالفات

وإرهاصات الثورة، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية 2008م/2009 م، ص 277م.

البيض، هذا الأخير قام بمعية المناضل **العربي إبراهيمي**، بأول نشاط سياسي سنة 1944م، ضمن حركة أحباب البيان والحرية[1].

وفي معرض حديثه عن التحاق **مولاي إبراهيم**، بالنشاط السياسي بين 1947م- 1945م، بدءا بنشاطه في حزب الشعب الجزائري، أورد أن **بوعلام باقي** مؤسس أول خلية للحزب بالبيض، كان يساعده ثلاثة مناضلين هم: **بلقاسم بن صادق**، **عبد السلام مناد**، **وأحمد حسني**، تقدم للمشاركة في انتخابات الدور الأول للانتخابات المحلية لبلدية البيض أكتوبر- نوفمبر1947م، باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، في مقابل مرشحي حركة الاتحاد الديمقراطي(**محمد حميتو**) وجمعية المسلمين الجزائريين[2].

ومن المعلومات الهامة، التي وردت في شهادة **باقي**، أنه أستدعي في جانفي 1947م، للمشاركة في مؤتمر للحزب في حي بلكور بالجزائر، تحت إشراف الأمين العام **حسين لحول** وبحضور كل من **شرشالي وأحمد بودة**، وخلاله تقرر إنشاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية[3]، وقد شارك في انتخابات أول مجلس جزائري في أفريل 1948م، باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، في مواجهة **بوبكر حمزة** مرشح الإدارة الاستعمارية، و**الباشاغا خلادي بن ميلود** مرشح الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وأثناء الحملة الانتخابية كان ينزل بشكل سري، في كل من **أدرار وتيميمون**، وتمكن من الفوز رغم التزوير الفاضح، الممارس من قبل الإدارة، التي لم تكتفي بذلك، بل راحت تعاقب ممثلي الحركة بالسجن، ومنهم **بوعلام باقي**، الذي أصدرت في حقه محكمة معسكر، حكما بالسجن لثمانية أشهر بتهمة المساس بالسيادة الفرنسية، لكن محكمة الاستئناف بمدينة الجزائر، قامت بتاريخ 25 نوفمبر

---

[1] مصطفى عتيقة، ص 65، 66.

[2] مصطفى عتيقة، ص 70، 71.

[3] مصطفى عتيقة، الهامش الأول، ص 71.

1948م، برفع العقوبة إلى عامين وغرامة مالية قدرها 60000 ف، وزج به في سجن **لمباز**، ولم يطلق سراحه إلا في 03 ديسمبر 1949م، حيث عاد للنشاط التعليمي، تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1]. ولأن الانتخابات المتتالية، لم تؤدي إلى أي نتيجة، فقد كان البديل، التوجه نحو تفعيل نشاط الحركة الإصلاحية، وإنشاء المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي هذا الصدد تقرر بمبادرة من المناضل **بوعلام باقي** إنشاء مدرسة إصلاحية بعين الصفراء في 11 ديسمبر 1952م، بحضور ممثل الجمعية الشيخ **محمد السعيد الزموشي**، وقد تم جمع تبرعات قدرت بسبعمائة ألف فرنك[2]. ولما تقرر إنشاء المنظمة الخاصة البيض، في جويلية 1947م، نزل **أحمد بن بلة** مسؤول المنظمة الخاصة بعمالة وهران(1947م-1948م) ضيفا على **بوعلام باقي** في بيته بالبيض، وباقتراح من هذا الأخير، تم تعيين المناضل **إدريس حسني**، مسؤولا عن التنظيم[3].

أشار الباحث، إلى قيام **عبان رمضان**، بتكليف **بوعلام باقي** في أفريل 1956م، بمهمة الذهاب إلى البيض والاتصال بالعناصر المسلحة (المتمردة) الناشطة بمعزل عن المنطقة الخامسة، فتمكن فقط من الاتصال بالمدعو **العماري** عن طريق **عبد القادر تناح والحاج بن عامر**، فاقتنع بالانضمام إلى صفوف جيش التحرير الوطني، أما **بوشريط** فكان الواسطة بينهما المدعو **رزازقي** مسؤول قسم بالمنطقة الثالثة[4].

---

[1] مصطفى عتيقة، ص 72-74.
مصطفى عتيقة، ص 76. [2]
[3] مصطفى عتيقة، ص 77.
[4] مصطفى عتيقة، ص 89، 90.

وفي معرض حديثه عن موقف المجاهد **مولاي إبراهيم**، من أزمة صائفة 1962م، أورد الباحث أن **بوعلام باقي** وبحكم وجود بالمغرب الأقصى في تلك الفترة، فقد عاش بداية المواجهات الميدانية، المسلحة في بعض الأحيان، التي اندلعت على الأراضي المغربية(في العاصمة الرباط) في خريف 1961م، بين **الحكومة المؤقتة** وهيئة الأركان بقيادة العقيد **هواري بومدين**، وقد تطورت الأمور إلى حد قيام العناصر المنضوية تحت لواء قيادة الأركان، باحتلال عدد من المراكز التابعة لجبهة التحرير والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، مثل سيطرة **العربي طبيبي** على مراكز الجنود المعطوبين بالدار البيضاء في جانفي 1962م[1].

استنتاجات وتوصيات:

يمكن تفهم التناول الموجز للمسيرة النضالية والثورية، للمناضل **بوعلام باقي**، في كتاب **محمد عباس**، بكونه خصص لمعالجة العديد من القضايا والشخصيات المعروفة منها والمغمورة، والأمر ذاته بالنسبة لمذكرة الماجستير للباحث **مصطفى عتيقة**، التي اعتمدت على شهادة **بوعلام باقي**، الشاهد على محطات تاريخية مهمة في منطقة البيض ونواحيها، ومع ذلك يعاتب صاحبها على عدم إدراجها (الشهادة) كملحق مع النسخة الإلكترونية مع الشهادات الأخرى التي لم تدرج أيضا، فهل هو السهو أم الخشية من السرقة العلمية موضة العصر الحالي؟ وفي كل الحالات لا ينبغي أن يكون ذلك سببا في حرمان الباحثين من هذا الأمر، إذ ينبغي أن ننظر إلى الأمور بعين الفائدة العامة فقط. ثراء المسيرة النضالية والثورية **لبوعلام باقي** وتنوعها، إذ ليس من البسيط أن تجد مناضلا نشط بفعالية، في تيارات عديدة في الوقت ذاته، لم تكن على تقاطع إيديولوجي أو توافق فكري ومذهبي أو

---

[1] مصطفى عتيقة، ص 204. نقلا عن عباس محمد:"هيئة الأركان تهاجم مواقع الحكومة بالمغرب"، جريدة الشروق، الجزائر، العدد 1760، 09 أوت 2006م، ص 10.

انسجام سياسي أو ود في بعض الأوقات أو في أغلبها، ومن الواضح أن **بوعلام باقي**، هو من وضع الأسس التنظيمية للنشاط الحزبي(حزب الشعب الجزائري)في منطقة البيض ونواحيها، علاوة على دوره الإصلاحي التعليمي الهام، بحكم أنها كانت على غرار كل مناطق العمالة الوهرانية، الواقعة تحت النفوذ والهيمنة الروحية للفكر والممارسات الطرقية المنحرفة، التي استوجبت من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انتداب نائب رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي المعروف بجرأته واندفاعه في محاربة من كان يسميهم بلصوص الدين وعملاء الاستعمار، دور مهم للغاية قام به بوعلام لكنه يبقى مجهولا ويتوجب الكشف عنه ودراسته.

التعجيل بنشر وبطبع مذكرات المناضل **بوعلام باقي**، حتى يستفيد منها جمهور المؤرخين والباحثين والدراسيين والطلبة الجامعيين، وتوجيه وتحفيز طلبة الدكتوراه في أقسام التاريخ بالدرجة الأولى، على أن تكون الشخصيات الوطنية التي مازلت في الظل مواضيع لأطروحاتهم، ومنها **بوعلام باقي**، فقد لاحظنا في هذا الصدد أمرا في غاية السلبية، وهو دراسة مواضيع وشخصيات لا تمت لتاريخ الجزائر بصلة، وكأننا أنهينا كتابة تاريخنا الوطني فتطلعنا إلى كتابة تاريخ غيرنا، فليس من المنطقي أن نكون باحثا أو طالبا جزائريا، لكي يدير ظهره لتاريخه الوطني الذي مازلت الكتابة فيه بكرا.

توجيه الدعوة لعائلة المناضل **بوعلام باقي**، ولكل رفقائه في النضال الوطني والإصلاحي والنشاط الثوري، لإدلاء بشهادتهم في هذا الصدد، فبحكم التجربة المتواضعة لاحظنا أمورا سلبية كثيرة لا تخدم بتاتا مسعى كتابة التاريخ الوطني، فوجب التنبيه إليها، ومنها عدم اهتمام أغلب الشهود بأهمية الشهادات، أو الاقتصاد فيها (التقشف في مد المعلومات) وانتظار من يطلبها من الباحثين والطلبة، وفي هذا الأخيرة نرى أن الأسلم هو المبادرة بنشرها وعدم انتظار من يأتي لطلبها لأنه قد لا يأتي أبدا.

حياة المجاهد والوزير بوعلام باقي

مع شهادات حول مساره

أ. لخضر بوطبة

جامعة سطيف

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

دأبت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة على تكريم شخصيات وطنية في مجالات مختلفة في الفكر والسياسة والدين، وهاهي اليوم وبمناسبة تخرج دفعة السنة الجامعية 2016-2017 تُخصصها لأحد الرجال من الذين أخلصوا لهذا الوطن، وتفانوا في خدمته، إنه الفقيد المجاهد والوزير الأسبق بوعلام باقي، ويشرفني ويسعدني أن أشارك في هذا الكتاب الجماعي التكريمي شاكرا كل القائمين على إدارة وتسيير هذه الجامعة، وعلى الجهود التي تبذلها في سبيل حفظ الذاكرة الجماعية من خلال تخليد مآثر الرجال الذين تركوا بصماتهم حتى تتعرف الأجيال عليهم لعلها تتخذهم قدوة حسنة تقتدي بها.

ودعت الجزائر في مطلع هذه السنة أحد أبنائها البررة، وإطار من إطاراتها السابقة، ومجاهد من مجاهديها الأشاوس، إنه الفقيد الوزير الأسبق والمجاهد بوعلام باقي، الذي وافته المنية يوم الاثنين 17 يناير 2017،عن عمر يناهز 95 سنة ودفن في مقبرة عين البيضاء بوهران. الفقيد يعتبر من المجاهدين الأشاوس الذين قارعوا الاستعمار الفرنسي البغيض بالأمس، ثم واصل جهاده الأكبر بقلمه ولسانه، لما تقلد منصب وزيرا للشؤون الدينية ووزيرا للعدل في فترة الاستقلال.

تُعد حياة الفقيد بوعلام باقي حافلة بالنشاط السياسي والفكري حيث انتخب كنائب في المجلس الشعبي الوطني سنة 1977 .ثم عين وزيرا للشؤون الدينية

بالمرسوم الرئاسي رقم 79-57 مؤرخ في 09 ربيع الثاني 1399 الموافق08-03-1979. ثم شغل منصب وزير العدل من 15 جويلية 1980 إلى 12 جانفي 1982، في عهد حكومة محمد بن أحمد عبد الغني الثانية[1]، ثم من 12 جانفي 1982 إلى 22 جانفي 1984، في عهد حكومة محمد بن أحمد عبد الغني الثالثة[2]، ثم من 22 جانفي 1824 إلى 18 فبراير 1986، في عهد حكومة عبد الحميد براهيمي الأولى[3]. تقلد العديد من المناصب السامية في الدولة، ومنها شغله منصب وزيرا طوال عشر سنوات منها وزيرا، ثم المستشار خاص والممثل الشخصي لرئيس الجمهورية. [4]

وعرف عنه أنه أول من شرع قانون الأسرة في عهد صهره الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، وكان وفق الشريعة الإسلامية، مما أثار تكالب العلمانيين ضده.

ويشهد الكثير بأخلاقه الفاضلة، والأعمال الخيرية التي كان يقوم بها خدمة للمجتمع والدين والوطن[5]، قد ذكر وزير الشؤون الدينية والأوقاف، السيد محمد عيسى في برقية تعازي التي بعث بها لعائلة الفقيد الإنجازات التي حققها الفقيد واعتبره "شخصية وطنية بارزة خاصة في قطاع الشؤون الدينية، حيث ذكر أنه كان له الفضل في اقتراح ومتابعة عدة مشاريع مساجد كبرى.

---

[1] حكومة عبد الغني الأولى هي أول حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، واستمرت من 8مارس 1979إلى 15يوليو1980 ؛ المرجع: الجريدة الرسمية 1979. ثم تلتها حكومة عبد الغني الثانية والتي تأسست في: 15يوليو 1980 واستمرت إلى غاية 12يناير1982

[2] وهي ثالث حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد تأسست في 12 يناير 1982 واستمرت إلى غاية 22يناير1984

[3] هي رابع حكومة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، واستمرت من 22يناير 1984 إلى 18فبراير1986 .

[4] القناة الفضائية الجزائرية، الإثنين 17 جانفي 2017

[5] تصريح وزير الشؤون الدينية والأوقاف محمد بن عيسى بمناسبة تشييع جنازة الفقيد للتلفزيون الجزائري في 17 جانفي 2017.

وأما بخصوص نضاله إبان الثورة التحريرية فيذكر الصحفي المؤرخ محمد عباس أن بعد أن تماثل المجاهد باقي بوعلام (سي جمال) للشفاء قليلا من صدمته النفسية، جراء استشهاد ثلاثة إخوة من أقاربه بمدينة المحمدية (بريقو)، انتقل من وحدة – حيث مكث بها مدة ثلاثة أشهر تحت الرقابة الطبية– إلى مدينة الرباط ثم إلى طنجة مقر إقامة خاله، وهناك واصل علاجه عند طبيب فرنسي متخصص في الأمراض العصبية، تبين أنه كان زميلا له في الدراسة سابقا في البيض، حيث كان والد هذا الطبيب حاكما عليها. ولحسن الحظ أن هذا الطبيب لم يعرفه نتيه، لأن المريض تقدم إليه منتحلا صفة معلم مغربي باسم محمد بن ابراهيم[1]. وكان لجبهة التحرير الوطني في شمال المغرب مركزا نشيطا يعتبر بوعلام باقي من نشطائه، حيث كان يشرف على هذا المركز كل من "الطيب الثعالبي (سي علّال)"2 و"منصور بوداود".. وكان الثعالبي على سابق معرفة ببوعلام باقي، فطلب منه استئناف نشاطه في التنظيم السياسي أي القيادة الجبهة بالمغرب. وبما أنه كان مايزال تابعا– نظاميا– لجيش التحرير الوطني، فقد كان عليه أن يستأذن أولا من مسؤوله المباشر "سي لطفي" مسؤول المنطقة الخامسة من الولاية الخامسة (غرب البلاد)، ولم يمانع لطفي في انتدابه فعين فورا مسؤولا لنشاط الدعائي بطنجة.3

وصادف أن خرج لطفي مع رفيق له إلى إسبانيا للعلاج، فساعدهما بوعلام باقي (سي جمال) في الحصول على جوازي سفر مغربيين، بفضل تدخل خاله الذي كان على صلة وثيقة بحاكم طنجة.وبعد أن أثبت بوعلام باقي المدعو "سي جمال" فعاليته كما سبق، تم تعيينه مسؤولا عن التنظيم السياسي بطنجة، قبل أن يلتحق

---

[1] محمد عباس: مثقفون في ركاب الثورة، في كواليس التاريخ (2)، دار هومة، الجزائر، 2004.

[2] للمزيد من حول هذا المجاهد انظر، محمد عباس: المرجع السابق، ص 19 وما بعدها.

[3] المرجع نفسه.

بأمانة الاتحادية بالرباط، رفقة مسؤولها الأول عبد القادر معاشو الملدعو (عبد الجليل)، وأمينها العام عبد المجيد مزيان. ومالبث أن أصبح مسؤول التنظيم في هذه الهيئة، عندما عين على رأسها المناضل حسين قديري خلفا لبعد الجليل السابق الذكر، وكان يشرف على اتحاديات الجبهة يومئذ عبد الله بن طبال بصفته وزيرا للداخلية. وبقي في نفس المنصب، بعد تولي بلقاسم كريم هذه الوزارة في الحكومة المؤقتة الثالثة والأخيرة.

من هذا الموقع عاش بوعلام باقي (سي جمال) بداية المواجهات الميدانية بين الحكومة وهيئة الأركان العامة بقيادة العقيد هواري بومدين، هذه المواجهات التي بدأت في خريف 1961، وأكتست أحيانا طابع صدامات مسلحة في العاصمة المغربية ذاتها.

وتطور الصراع بدءا من مطلع 1962، بعد أن بادرت العناصر الموالية لهيئة الأركان باحتلال عدد من المراكز التابعة للجبهة والحكومة بما في ذلك مقر البعثة ذاتها. ونظرا لتنقلات مسؤول الاتحادية نور الدين بن سالم، كان سي جمال - مسؤول التنظيم بها- كثيرا ما يجد نفسه في قلب المواجهة.مثلا رافق ذات يوم (من يناير 1962) وزير الدولة السعيد محمد إلى مطار الدار البيضاء بعد اجتماع الحكومة بالمحمدية، فتلقى اتصالا هناك يدعوه إلى التدخل فورا، لأن العربي الطبيي أحد رجال بومدين قام باحتلال مركز الجنود المعطوبين بالدار البيضاء، ذهب مسؤول التنظيم بالاتحادية بوعلام باقي على التو إلى المركز وقدم نفسه بهذه الصفة، وبصفته الأخرى كضابط في جيش التحرير (ملازم) ومع ذلك أشهر المحتلون السلاح في وجهه وهددوه بالقتل.

وقد رأى الفقيد بوعلام باقي أن الصراع حول السلطة الذي سرعان ما نشب بين رفقاء السلاح بالأمس بعد تحقيق الاستقلال،[1] والذي كاد أن يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، حيث تحول في بعض المناطق إلى صراع دموي فضل كغيره من بعض الشخصيات الغيورة على الوطن ومصلحته العليا، فضل الانسحاب مؤقتا والبدء من جديد بعد الاستقلال كمفتش للتعليم الابتدائي بوهران التي استقر بها ابتداء من الموسم الدراسي الأول في الجزائر المستقلة: موسم 26 – 1963.2

شهادات واعترافات حول شخصيته:

أجمع ثلة ممن عايشوا المرحلة التي تولى فيها الراحل الوزير الأسبق للشؤون الدينية والأوقاف بوعلام باقي، في تصريحهم لجريدة "الحوار" على أن هذا الرجل يعد قطبا من أقطاب الأمة، وأحد مؤسسي العديد من مؤسسات الدولة الجزائرية، واستطاع الرجل بسياسته الرشيدة الجمع بين الكثير من الصفات، فهو العالم والفقيه، والسياسي والمفكر الذي أعاد التوازن للمجتمع الجزائري بأبعاده المختلفة.

وقد شهد له العديد من الباحثين والفاعلين في الساحة الثقافية في الجزائر ممن عرفوه أو عايشوه من بعيد أو قريب بأخلاقه الفاضلة، وصفاته العلمية، ورصانته ورزانته فقد قال عنه الدكتور بومدين بوزيد:

"كان هادئا منصتا وغير جهوي ومحبا للعلم والوطن، تشبع الراحل بوعلام باقي، وزير الشؤون الدينية الأسبق، يقول الدكتور الباحث في الحضارة الإسلامية بومدين بوزيد، بفكر الأمير عبد القادر الذي ارتبط عنده التصوف بالمقاومة والتحرير؛ وهم من علم رائد النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس، الذي كان يرى

---

[1] رابح لونيسي: « الصراعات الداخلية للثورة الجزائرية في الخطاب التاريخي الجزائري» Insaniyat / إنسانيات, 25-26 | 2004, mis en ligne le 13 août 2012, consulté le 30 mai 2017. URL : http://insaniyat.revues.org/6492 ; DOI : 10.4000/insaniyat.6492

[2] نشر في الشروق اليومي يوم 2006/08/08، http://www.djazairess.com/echorouk/6938

تحرير العقول وإصلاح الدين أولا وهذه الرؤية الجامعة الموحدة التي لا تبغي الاختلاف والتنوع بشوفينية وطنية هي التي تربى فيها المرحوم بوعلام باقي، وظل من إصلاح جمعية العلماء وقام بمهمات لصالح الجمعية ثم تشبع لفكرة الاستقلال من حزب الشعب الذي ناضل فيه قبل الثورة مستلهما روح مقاومة أولاد سيدي الشيخ ومتمثلا أشعار محمد بلخير في العزة والكرامة ونبل الجزائري الحر التي جمعها ابن بلده المثقف المجاهد بوعلام بالسايح، إن سي بوعلام باقي من عائلة ثورية ووطنية، وقد استشهد العديد من عائلته إبان الثورة الجزائرية[1].

كان آخر حلمه رحمه الله، يضيف المتحدث ذاته، إتمام إنجاز جامع عبد الحميد بن باديس بوهران، وهو المشروع الذي وضعه هواري بومدين رحمه الله، فحقق الله له ذلك حيث حضر تدشين مسجد ابن باديس الذي تزامن مع افتتاح تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، لقد كان هادئا منصتا للآخرين ومزدوج الثقافة واللسان، ولم يدخل في محاكاة وصراعات، ولم يكن جهويا في الترقية والتوظيف، ومن حسن البشارة، كما حدثته بها في عرفة حج 2012، أن يوم تنصيبي كمدير للثقافة الإسلامية عثرت على ختمه الخاص حين كان وزيرا للأوقاف في الثمانينات.

رحم الله الفقيد بوعلام باقي بذكره وصالح أعماله، المجاهد الذي دافع عن علم بلده، ولعل التسمية فيها بركة ويمن وفال، ومن الوفاء أن يُؤبن في مسجد ابن باديس بوهران وتحيا ذكراه"[2].

من جهته، قال الدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين، أن الفقيد بوعلام باقي "كان يقدر العلم والعلماء" ثم يضيف قائلا: "ما عساني أن أقوله

---

[1] أدى استشهاد ثلاثة أفراد من عائلته حسبما يذكر محمد عباس إلى تأثره الكبير نفسيا

[2] الخبر أونلاين/وأج/ 2017/01/17.

في شخص مثل فقيد الجزائر بوعلام باقي. الذي يصدق عليه لقب العلماء والمصلحين، والفقهاء، رجل قضى حياته وهو يدعو إلى التسامح والإخاء، وكان مجاهدا وعضوا فاعلا في جمعية العلماء المسلمين، ويعد المجاهد بوعلام باقي علما من طينة كبار العلماء في العالم العربي، وواصل الدكتور قسوم يقول في معرض حديثه: لقد ساهم باقي في بناء أسس الدولة الجزائرية، وقدس العلم ورفع من قدر طلبة العلم، مات باقي وعزاؤنا في ابنه شكيب باقي في حذو مسلك والده الراحل أسكنه الله فسيح جنانه ".[1]

وقال عنه الشيخ جلول حجيمي رئيس نقابة الأئمة:

"بوعلام باقي خدم وطنه قبل وبعد الاستقلال وعدَّدَ مناقب المرحوم بوعلام باقي وزير الشؤون الدينية الأسبق، حيث قال في شأنه إنه رجل إصلاح ورائد من رواد العلم والفكر والمعرفة، ومجاهد خدم الثورة الجزائرية، وساهم في بناء قواعد الدولة الجزائرية بعد الاستقلال بتقلده للعديد من المناصب فيها، كما كان الراحل من الرعيل الأول الذي كان له الفضل في تأسيس الكثير من المؤسسات الجزائرية، رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه".[2]

وأما الشيخ علي عية إمام الجامع الكبير بالجزائر العاصمة فقد قال:

" أن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف قد ازدهرت في عهد الوزير بوعلام باقي، وأكد أن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف خلال المرحلة التي كان فيها المرحوم بوعلام باقي على رأسها، سادت فيها الأخوة والمحبة بين الأئمة، وبين عمال هذه المؤسسة الدينية، لقد استطاع الراحل بوعلام باقي في عهده بناء جسور متينة، قوامها التضامن والتآخي والتعاون، وهدفه تحقيق الأمن والاستقرار للجزائر، كما كان الفقيد حافظ

---

[1]– صيرة سيد علي: مشايخ وباحثون يعددون مناقب الراحل بوعلام باقي، جريدة الحوار، 2017/04/03.

[2]– نصيرة سيد علي: المرجع نفسه.

لكتاب الله وخادما لسنة المصطفى – عليه الصلاة والسلام–،" ويضيف الشيخ علي عية القول: " لقد كان الراحل بعلام باقي أبا لحفظة القرآن الكريم، وكان عمل الخير من أولى أولوياته، أذكر أنه تبرع من ماله الخاص بمبلغ قدره 60 ألف دج للطلبة الذين كانوا يزاولون دراستهم في العلوم الشرعية بدار القرآن التي قُست بتأسيسها في عهده بالحراش، والتي تحولت الآن إلى دار الإمام، كما أشْعَر الأئمة بحنانه الأبوي، وبخصاله الحميدة، وأخلاقه الرفيعة، وقدرته على نشر ثقافة التسامح والوعي، وعرف بصمته وكثرة أعماله وإخلاصه لدينه ولوطنه، كيف لا وهو السياسي والعالم الجليل في العلوم الشرعية وأصول الفقه، نفع الله بعلمه الأمة، رحل الرجل وتبقى أعماله راسخة في سجل تاريخ الجزائر الحافل بأمثاله"[1].

وكتب عنه الدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين يقول:

" كان بوعلام باقي رجلا يقدر العلم والعلماء،" ثم يستطرد في قوله: "ما عساني أن أقوله في شخص مثل فقيد الجزائر بوعلام باقي، الذي يصدق عليه قطب العلماء والصالحين، والفقهاء، رجل قضى حياته وهو يدعو إلى التسامح والإخاء، وكان مجاهدا وعضوا فاعلا في جمعية العلماء المسلمين، ويعد المجاهد بوعلام باقي عالما من طينة كبار العلماء في العالم العربي؛ لقد ساهم الفقيد بوعلام باقي في بناء أسس الدولة الجزائرية، وقدس العلم، ورفع من قدر طلبة العلم، مات باقي وعزاؤنا في ابنه شكيب باقي في حذو مسلك والده الراحل أسكنه الله فسيح جنانه."[2]

---

[1] جريدة الحوار اليومية، 15:4 – 17/01/2017

[2] نصيرة سيد علي: المرجع السابق.

خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول وبلا تردد أن الجزائر فقدت رجلا رزينا وحكيما، عف قدر نفسه، وقد برهن على شموخ شخصيته ووقد رحل عنا مرتاح البال والضمير كيف لا وقد ترك وراءه خلفا يذودون عن هذه الأمة ويدافعون عن هويتها الحضارية بكل أبعادها، فرحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

وأحسبه في جهاده في سبيل أن تحيا الجزائر مستقلة، وأن تمضي قدما بخطوات ثابتة نحو التطور المرحلي بعد تحقيق الاستقلال رغم بعض العثرات، وأحسبه من الذين قال الله فيهم بعد بسم الله الرحمان الرحيم: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَتْدِيلًا ﴾ صدق الله العظيم.[1]

[1] سورة الأحزاب، الآية 23.

كلمة افتتاح للراحل بوعلاق باقي عضو المكتب السياسي، وزير الشؤون الدينية سابقا في ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أيها الإخوة المسؤولون في الحزب والدولة

أيها السادة العلماء الأفاضل

أيها السادة الأساتذة الكرام

أيها السادة الكرام

أبنائي الطلبة وبناتي الطالبات

السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فيسعدني ويشرفني أن أرحب بكم باسم السيد الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية، الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني، وأشكركم على تلبيتكم دعوتنا للمشاركة في ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين، الذي تحتضنه مشكورة ولاية معسكر عاصمة بني راشد هذه المنطقة الزاهر حاضرها بما تحققه من إنجازات في مجال البناء والعمران الحافل ماضيها القريب والبعيد بمآثر السيف وأمجاد القلم إنها المنطقة التي نشأ بها، وترعرع الأمير عبد القادر بن محي الدين في كنف العلم والعبادة ثم اتخذها قاعدة من قواعد جيشه وعسكر فيها بعد أن أصبح قائدا للمقاومة المسلحة في وجه الاستعمار يجمع طيلة سبع عشرة سنة في توازن حكيم واعتدال أصيل بين العلم والزهد، وبين إدارة شؤون الدولة والجهاد في سبيل نصرة الدين وعز

الوطن شأنه في ذلك شأن من ولى قبله قيادة جيش المسلمين من الذين استحقوا أن يكونوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار وما كان اختيارنا لهذه المنطقة بالذات إلا إبراز ما تميزت به في هذا الميدان وظهر على لسان ابنها البار في كتابه "المواقف".

ولا بد لهذه الدراسة كذلك، من أن تشير إلى تلك الظاهرة الحضارية التي يزداد تشكلها وضوحا على مر الأيام، والتي تؤكد أن صوت الفطرة السليمة لا يمكن كبته طويلا، مهما يعظم اضطراب القيم، واختلال الموازين، ألا وهي ظاهرة إقبال الغرب على الإسلام، إقبال تجاوز - كما تعلمون - ذلك الشكل التقليدي المحصور فيمن يحتك بالعالم الإسلامي، بطريق أو بأخرى، وأصبح الإسلام يستقطب مختلف الفئات والأوساط والأعمار، ممن أصبحوا يعيشون أزمة نفسية حادة، وينشدون فيه الطمأنينة الروحية وسلامة الاعتقاد، مما جعل المفكرين الغربيين أنفسهم يولون هذه الظاهرة الحضارية عناية كبيرة، ويضعون دراسات ومؤلفات عن الحياة الروحية في الإسلام، يرسمون لها نماذج من خلال حيوات مشاهير الزهاد والمتصوفة المسلمين، ليقدموا لأبناء مجتمعاتهم، ممن يدخلون في دين الله أفواجا، ما يروي ظمأهم الروحي ويشبع فضولهم الفطري النبيل، غير أن دراسات الغربيين للإسلام ليست كلها نبيلة القصد، شريفة الغاية، ولا يختفي ما في كثير منها من أخطاء، بعض أسبابها الجهل بحقيقة الإسلام وبعضها الآخر رغبة أكيدة في طمس هذه الحقيقة وتشويهها ومهما يكن من أمر، فإن التاريخ الحديث يسجل أن إنسان الذرة وغزو الفضاء المدين للعالم الإسلامي في الأمس البعيد، بنهضته وتقدمه، يلتفت إليه من جديد، ليمده بروح الحياة التي قضت عليها ماديته... فهل في مقدور المسلمين اليوم ذلك ؟! وهل صحيح أن العالم الإسلامي إذا فاته الرفاه المادي فإن عزاه الدائم أنه سليم معافى في روحانيته ؟! إن واقع المسلمين ليدفعنا إلى الاعتراف بأن حياتهم الروحية ليست أحسن حالا من حياتهم المادية، إذا جاز هذا الفصل الحاسم بين الحياتين، لأن

الإسلام لا يتجزأ، وشخصية المسلم لا تتعدد، بل إن الخبير بفلسفة الإسلام في صياغة القوة، والمتتبع الأسباب النصر وأسباب الهزيمة في تاريخ المسلمين، يدرك بلا شك، أن ما يعيشونه اليوم من تناقض مزر، بين سمو العقيدة، وسعة الرقعة، ووفرة العدد وبين التخلف والهوان والضعف، لا يعود إلى ضعف تحكمهم في عالم المادة، وقصورهم في مجال العلم

والتكنولوجيا فقط،بل يعود كذلك إلى اهتزاز في قيمهم الروحية، واضطراب في نهجها السني الصحيح .إن الكيان الحضاري الأصيل للمسلمين مرهون دائما بقيامه على فلسفة موحدة شاملة، ربانية المصدر، ربانية الغاية، لا ثنائية فيها ولا انفصام بين علاقتهم بالأرض وصلتهم بالسماء، فأين المسلمون اليوم من هذه القاعدة؟! أما علاقتهم بالأرض، فما تزال أساليبهم في عمارتها وتصريف شؤونها محكومة بتجارب غيرهم، ممن:"يعملون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون "، وأما صلتهم بالسماء، فما تزال بينهم وبين حقيقتها القرآنية غشاوة نسجتها عهود الانحطاط والاستعمار، وما خلفته من عقدة في النفس، واغتراب في الفكر، واضطراب في الحركة

أيها السادة العلماء الأفاضل إن" الحياة الروحية في الإسلام "موضوع يستأهل، بلا شك، الاستئثار بكل جهودكم، لما له من أثر بعيد في حياة المسلمين الخاصة والعامة، وهو موضوع متشعب الأطراف، متعدد الجوانب، مثلما هو مفصل في جدول الأعمال الذي حرصنا على أن تكون النقاط المدرجة فيه، بحجم أبعاده المختلفة والمتكاملة، غني وسعة وعمقا .وقد اخترنا هذا الموضوع الحساس عن قصد، لتصحيح كل فهم ضعيف أو حكم خاطئ، أملته العواطف والأهواء،كد أبكم في مختلف الموضوعات التي تبحثونها في هذه الملتقيات الفكرية الإسلامية، ذات الأساس الإسلامي الأصيل، والمستوي العلمي الرفيع، والتي تبتغون من ورائها توحيد رؤية

المسلمين، وتعزيزها، فكرا وعملا، ببيان حكم الله في كل مسألة ذات شأن في حياتهم، أيا كان نوعها أو حجمها، وما من شك أن الحياة الروحية من أكبر هذه المسائل التي عرف المسلمون فيها اختلافا بعيدا، بلغ حد التناقض بين المتحمسين المناصرين، والمتحفظين المعارضين. فهمتكم -معشر العلماء الأفاضل -كما ترون جليلة ومسؤوليتكم ثقيلة، وأجركم -أن شاء الله- عظيم، عظم الله اجر الذين " ينفون عن هذا الدين تحريف الغالبين،

المعنى الجليل الذي كان يرمز إليه هذا العالم القائد الزاهد، هو من صميم الموضوع الذي يدرسه ملتقاكم المبارك إن شاء اللّه، ألا وهو (الحياة الروحية في الإسلام) .وان الموضوع لواسع مهيب، لأنّه يطمح إلى ضبط أشد جوانب الإنسان حساسية وأكثرها دقة وخفاء، وأقواها أثرا في توجيه نشاطه، وتصريف شؤونه وتكييف علاقاته مع الكون والحياة، ولا عجب، فالفكر البشري لم يعرف عالما أغنى وأعمق من عالم الروح الفسيح، فما من مجتمع إلا وله فيه قناعاته الخاصة، وما من حضارة إلا ولها موقفها المتميز، وان تفاوتت بعد ذلك، هذه القناعات والمواقف، تطرفا واعتدالا، سذاجة وعمقا، واختلفت الأسماء والصفات، وتعددت المصطلحات، من القوى الباطنية للإنسان، إلى ملكوت النّفس، ومن الطاقة الغامضة إلى عالم الروح، وما إلى ذلك، مما يعج له تاريخ الفكر والفلسفة واللاهوت، بصفة عامة، ويزخر به التراث الإسلامي بصفة خاصة.

أيّها السادة الأفاضل :إن الأهمية البالغة التي يكتسيها موضوع ملتقاكم هذا، والحاجة الملحة إلى علاجه، تتجليان في مستويات متكاملة عديدة، فدراسة الحياة الروحية في الإسلام لا يمكن أن تغفل الوضع الحضاري العام الذي يعيشه المسلمون، فلابد لها من أن تتعرض إلى ما آلت إليه الحضارة المعاصرة نفسها، في ظرف يعتبر محدودا في عرف التاريخ، ألا وهو القرن العشرون، الذي يكاد يمثل وحده نصف عمر

البشرية، من حيث كثافة أحداثه وسرعة تطوره، ومن حيث تقدمه المذهل في مجال الكشوف العلمية وتسخير الكون والطبيعة، هذا القرن الذي انتعشت فيه ملكة المادة، واتسع نفوذها، حتى كادت تنفرد بالزعامة في صياغة الفكر وتوجيه الطاقة وتشكيل الوجدان، لا لسلامة نزعتها أو رجحان فلسفتها في ميزان التقدّم والتطور، لكن لانحسار فعل الدين، وخفوت صوته، لما أصاب أهله من وهن نفسي وكسل عقلي، زحزحوا بسببهما عن مكان الصدارة والريادة.

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" وإذا كنتم تتورعون في الحكم- كما عهدناكم- لا تعملون إلا بما يرضاه خلق العالم الإسلامي التقي، ويقره البحث العلمي النزيه، فإنكم لا تترددون في التنبيه إلى ترونه ناقصا أو منحرفا أو باطلا ، لأنكم- كما تؤكدون دائما- لا تقدسون إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ملتزمين ما ورد في كتاب الله العزيز:" فإذا تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا" مما يجعلنا مطمئنين إلى ثمرة جهودكم، ونتائج أبحاثكم التي ستكون- إن شاء الله- مرجعا علميا إسلاميا صحيحا، يهدي الضالين ويطمئن الحائرين، وينير سبيل الدارسين في هذا المجال الواسع الحساس .لقد أكدتم في ملتقاكم العشرين، وأنتم تبحثون وحدة العلوم والمعارف في الإسلام، أن التأزم الحضاري لا يمكن تجاوزه إلا عن طريق فهم أعمق للإنسان، وتوجيه أحسن لطاقاته وقدراته، باعتباره صانع القوة والتقدم، وحارس الأمن والاستقرار، وها أنتم مقدمون- على بركة الله- في ملتقاكم الواحد والعشرين، على استكمال جانب من هذا الفهم، لعله أجل وأعظم، لأنكم مدعوون إلى نفخ الروح في جانب حساس من تراث غطى صحيحه الإعراض والنسيان، وغذى سقيمه الجهل والتخلف، كما أنكم مضطرون إلى اختراق الحجب السميكة التي نسجتها اجتهادات القرون الضعيفة حول الحياة الروحية في الإسلام، لتقفوا على الحقيقة

الإنسانية، كما بينها القرآن الكريم، بشقيها المتوازيين المتكاملين: اللذين فصل القول فيهما في آيات كثيرة، فهو من جهة، يقرر الأصل الترابي للإنسان، ويذكره بأنه كائن ضعيف خلق من ماء مهين، وأنه مهما يغتر ويترفع، فإنه لا يستطيع التحرر من عناصر طبيعته الآدمية:" قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه...من نطفة خلقه فقدره"، فالإيمان الحق ليس استجلابا لعناصر جديدة غريبة، وإنما هو تحصين للفطرة، والإبقاء عليها نقية سليمة، وهو من جهة أخرى، يقرر الجانب النوراني فيه، الذي استحق به سجود الملائكة له، والذي غرس فيه دافع التطلع الدائم إلى خالق الكون: لا إلى شيء مثله من أشياء الكون " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"، وإن تكامل هذين العنصرين هو الذي يحقق الاعتدال المقصود بقوله تعالى:" **إِنَّ هَذا القُرْآن يَهْدي لِلَتي هِيَ أَقْوَم**"، هذا المبدأ الجوهري العام الذي يقيم عليه الإسلام أساس الاستقامة في كل مجال، ابتداء من العقيدة نفسها، فالإيمان النظري وحده لا يفيد، كما أن العاطفة الجياشة قد لا تجدي إذا جانبها الفكر الراشد، وهل الحقيقة الإنسانية جوهرها إلا المزج السليم بين العقل والقلب؟..

أيها السادة العلماء الأفاضل:

لعل القسم الذي لا تحتاجون معه إلى جهد كبير لبسطه وتوضيحه، وانتم تراعون التسلسل التاريخي لدراستكم، هو القسم المتعلق بالحياة الروحية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضي الله عنهم، وخلا القرن الأول عموما، لان الحياة في هذه الحقبة قد انطبعت في غير ما غموض أو تعقيد، بطابع السنة النبوية الشريفة، فكانت غاية الزهد فيها أن يعبد اله ابتغاء مرضاته، طمعا في جنته وخوفا من ناره، كما كان الفقه في الدين سبيلا إلى العمل الصالح وضمانا لإتقانه، فكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم، ينفرون من الجدل، واشتقاق الكلام، واصطناع المسائل في الدين من غير طائل، نفورهم من كل ما يشغل المؤمن عن

السعي والعمل الصالح الدؤوب، قدوتهم في كل ذلك، اعرف الناس بالله وأكرمهم وأتقاهم، وأشدهم حرصا على شكره وحسن عبادته، صلى الله عليه وسلم: وكانوا- عمى تقواهم واستقامتهم- يخشون الله ويرهبونه، وكأن النار لم تخلق إلا لهم؛ يبتغون فيما آتاهم، الدار الآخرة، ويحثون إليها مطاياهم متذللين، ولم يكونوا في حاجة إلى مصادر أخرى، والذي لا يقوم إلا على جانبه الروحي أصلا.

فقد فهموا —حق الفهم- حديثه الشريف:" إن الدنيا خلقت لكم، وإنكم خلقتم للآخرة" وجسموا مضمونة في واقع الحياة، فحررهم من ثالوث الرق الروحي، الخوف والطمع والاشتهاء، ففتحوا القلوب والعقول، قبل أن تفتح لهما المعاقل والحصون، ودانت لهم الأرض، ولم يكونوا يملكون من حطام الدنيا شيئا يذكر، وحققوا القوة والمناعة والعزة، دون أن تذهلهم الأسباب يوما عن المسبب، ولا الكائنات عن الكون، ولا أحداث الوجود عن رب الوجود، لكن هذا النهج العملي الأصيل للحياة الروحية، وما اتسم به من صفاء ووضوح، سيعرف تطورا كبيرا يكتنفه غموض وتعقيد، مع تطور الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وتعقدها، ومع ما شهدته الأمة الإسلامية من انقسامات حادة هزت تلك الوحدة الجامعة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ظهر من ألوان الترف المادي، نتيجة الإقبال الشديد على الدنيا، فتزامنت وامتزجت الصور اللاهية مع الصور الدامية، وكان ذلك كله دافعا قويا للرجوع إلى الذات والانطواء عليها، لدى كثير من العباد والزهاد، وكادوا يختصون وحدهم بهذا الجانب بعد أن أصبح الدين في المجتمع شكلا ومظهرا أكثر منه مناجاة العبد لله في سائر أحوال العبادات، فراج التصوف وارتاد آفاقا لم يألفها الناس من قبل، إذ أصبح دراسة للبواطن والقلوب وأسرار النفوس: وسبيلا إلى المعرفة عن طريق الحدس والكشف والذوق، وصار عالما واسعا قبلا لاحتضان شتى الأفكار الدينية والسياسية والاجتماعية أو الدعوة إليها، فتشكل من كل ذلك تراث كامل، كان

المسلمون في غنى عن جانب منه، جانب أفرط في اهتمامه بالوسائل والسبل والطرق حتى كاد يشغل عن الغاية، إذ ابتعد المتطرفون من رواده عن نهج الإسلام الصحيح في تدبر كتاب الله، والعمل بسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ووجد فيه المتأولون المنحرفون مرتعا خصبا، أثروه بمغامرات باطنية غامضة، غير متورعين عن تطويع النصوص القرآنية للأمزجة والأهواء، وإخضاع معانيها لرؤى غريبة لا يضبطها ضابط، فظهرت مواقف متطرفة ومتناقضة، ودعوات مغرضة، وأفكار دخيلة بلبلت العامة. وتعالت أصوات تعلن أن الشريعة إنما جعلت للمحجوبين، أما أصحاب الإشراق والحدس من المتصوفة الملهمين فإنهم أحرار في عباداتهم، يأتون منها ما يشاؤون، ويدعون ما يشاؤون.

ومن الطبيعي أن يعظم تأثير هذا النوع من التصوف السلبي المبتدع، بشكل خاص، في فترات التدهور الأخلاقي والاجتماعي للأمة، عندما أصبح الإسلام عموما: ترديدا مشوها لأقوال السلف، وجدلية عقيمة في العبادة، قل معها الصدق والإخلاص في مجاهدة النفس، وتعطل معها جهاز الإسلام عن العمل، بسبب العقول القاصرة، العاكفة على هوامش الحياة وجزئياتها، فنشط الجهال المغرورون، واستغل بعضهم سرعة انقياد الناس لمن يخاطبهم بدينهم، فادعوا العصمة وعطلوا الشريعة، ونصبوا أنفسهم أوصياء على الجنة والنار، فرسخوا مفاهيم التواكل والاستكانة، وأكنوا معاول هدم وتخريب، وعوامل تخدير وتجهيل.

حقا، إن انتعاش التفكير الخرافي في فترات الجهل والجمود ظاهرة عامة عرفتها معظم الأمم في تطور حياتها مع التاريخ، فقد مرت فترة على أوروبا ظلت مجتمعاتها تحسب الجوع والعري من الأسباب التي تقربها إلى الله، بمباركة رجال الكنيسة أنفسهم.

غير أن الأمة الإسلامية لم تعدم في جيل من أجيالها علماء مصلحين مجاهدين يجهرون بالحق ويدافعون عن السنة، وينادون بالرجوع إليها، إشفاقا على الإسلام من البدع التي تستبيح إغفال الفرائض، وتضل الناس عن النهج السني الصحيح.

وبالرغم من المهمة الدينية العظيمة التي اضطلع بها أولئك العلماء الثقاة. في فضح عيوب بعض المتصوفة، ودحض أباطيل المنحرفين منهم، فغنهم كثيرا ما تحشرهم بعض الدراسات الاستشراقية في زمرة الجامدين المتزمتين، ومضطهدي الفكر الإنساني الحر.

أيها السادة العلماء الأفاضل:

إنكم خير من يعلم أن التصوف تجربة روحية، شديدة الذاتية والتميز، وان من خصائصها الأولى الإغراق في الرمز والتمرد على اللغة، مما جعل الأبحاث والدراسات التي تناولتها تتسم بقدر كبير من هذه الذاتية، فكان من النادر أن يتحرر الباحث نفسه من ذاتيته، وهو يحاول ضبط مجال من مجالاتها، بل إن من الباحثين المختصين من وقف حياته على دراستها، ومع ذلك فإنه لم يكن يصل إلى حكم تطمئن إليه نفسه إلا راجعه بعد سنين ليعدل منه، أو يعدل عنده إلى غيره.

إن هذه الذاتية، زيادة على الخلفية العقيدية والسياسية، لدراسات بعض المستشرقين، هي التي ساعدت على رواج فهوم ضعيفة وأحكام خاطئة، لعل أخطرها تلك التي تنفي، عن جهل أو قصد، أي فضل يذكر للطرق الصوفية في حياة الأمة وتطورها، بل لا ترى فيها عموما إلا سببا من أسباب التخلف والجمود.

ولا يخفى عليكم ما في هذه الأحكام المطلقة من جناية على الحقيقة وعلى التاريخ، لأنها تتجاهل نفوذ الشخصيات الروحية الأصيلة ودورها في مجال الجهاد والإصلاح، كما تتجاهل فضل الطرق الصوفية في نشر الإسلام، خاصة عن طريق

الزوايا، والحفظ على كتاب الله، ومواجهة سلطان المادة الطاغية، وتزكية النفوس، وتعزيز صلة القلوب بالله، ومقامة المعتدين على دار الإسلام، غير أنه، من باب هذا الإنصاف نفسه، للحقيقة وللتاريخ، نشير إلى أن بعض الطرق المحسوبة على التصوف، وهو منها براء، لم تؤد دورا مشرفا في حياة الشعوب الإسلامية، لقيامها أصلا: على الدجل والشعوذة والاستغلال.

وما من شك –أيها السادة العلماء الأفاضل– في أن شبابنا هو أول من يتأثر بهذه الأحكام الخاطئة، التي تغذيها مخططات الغزو الثقافي، لفصله عن تراثه الروحي الأصيل، وتحريفه عن نهجه السني الصحيح، وذلك بالترويج لأساليب منكرة في العبادة، تبثها من خلال دراسات في الزهد والتصوف، وتلح عليها حينا باسم مسايرة العصر، وأحيانا أخرى، باسم الإنسانية ووحدة الأديان، السماوية منها والوضعية على السواء، بدعوى أنها تنشد كلها في النهاية، غاية واحدة، هي الفناء أو الالتحام بالذات العليا، وما إلى ذلك من التخريجات الكثيرة، التي هي أقرب إلى الصور الشعرية منها إلى الحقائق الدينية، تنزه الله سبحانه عن كل ذلك، وتعالى علوا كبيرا. فلا بد إذن من وضع معالم واضحة في طريق الشباب، تضمن له السير على هدى وبصيرة، وتجعله يقبل ويأخذ في هذا المجال الواسع،عن بينة ووعي: ويدع أو يعرض عن قناعة واطمئنان، فلا جمود ولا جحود ؟

فكما أننا لا نريد شبابا يستهين بحياته الروحية، ويتنكر لتراثه الأصيل، ويجحد منزلة أولياء الله الصالحين، وينظر إلى الزهد والتصوف عموما نظرة استعلاء، وكأنه من اهتمامات عهود التخلف، يحتل مرتبة متأخرة في سلم أولويات العصر، كذلك لا نريد شبابا مشوبا إيمانه بنظرة خرافية، ومحكوما بقناعات ساذجة، يتعامل مع التكنولوجيا العصرية بذهنية الرقى والتمائم، وعقلية الدراويش.

إن هناك حقائق أساسية ينبغي أن يعيها الشباب بعمق، لعل أولها أن التصوف، بمفهومه السني الصحيح، هو قوام المجتمع الإسلامي، وأساس قوته وتماسكه، بل ينبغي أن يعلم أن زمام الريادة الحضارية لم ينفلت من بين أيدي المسلمين إلا عندما فصلوا عالم الجسد عن عالم الروح، وأرادوا العلم مجردا من التصوف، فتركوا جانبا مما ورد في كتاب الله العزيز:"**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدار الآخِرَةَ ولا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا، وَأَحْسِن كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ، ولا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِين**".

غير أن الإقرار بهذه الحقائق ليس معناه مباركة الجمود والتعصب والانشغال بالوسيلة عن الغاية التي هي تصعيد الأعمال كلها لله سبحانه، فالكيفيات والأساليب والطرق تختلف وتتغير باختلاف الأزمنة والأمكنة وتغيرها، فليستحضر شبابنا دائما أن طاعة الناس تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم، إنما هو نوع من أنواع الشرك، والعياذ بالله، مهما أوتي هؤلاء وأولئك من العلم، ومهما ادعوا من التقوى والصلاح. وأن حكم من يفعل ذلك هو حكم من " **اِتخَذُوا أَحْبارَهُم ورُهْبانَهُمْ أَرْبابا مِنْ دُونِ اللهِ**"، وليعلم شبابنا أن الولاية لله، يخص بها فئة من المؤمنين، تتفانى في عبادته وطاعته، لا تعصي له أمرا ولا تخالف له نهيا، فهي لا تورث ولا توهب، ولا يستلمها لاحق من سابق إلا بما يأخذ عنه من علم وزهد وورع.

إن أولياء الله الذين يشترون رضوانه بصدق العبادة وحسن جهاد النفس والعمل الصالح لا ينكرهم إلا الجاحد، فقد خصهم-جل وعلا- فضله، وشملهم بلطفه، وقال في شأنهم: "**أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولَهُم يَحْزَنُون. الَّذِينَ آمنوا وكَانوا يَتَّقون، لَهُم الْبُشْرى فِي الْحَياة الدُّنْيا وَفِي الآخِرَة، لا تَبْدِيل لِكَلِمات اللهِ، ذَلِك هُوَ الفَوْزُ الْعَظِيم**"، وجاء في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري :"**إن الله تعالى قال: من عاد لي وليا آذنته بالحرب، وما**

تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها: ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذته"

ولكن ينبغي التمييز بين هؤلاء النقاة الصالحين، وبين أولئك المغرضين الذين لا يقصدون من وراء مغامرتهم الباطنية الغامضة تزكية النفس، وخدمة الدين وصلاح أهله، بل يمعنون في التميز عن العامة، وتعزيز المكانة الشعبية، وتحقيق الزعامة الروحية، وإن ادعوا أنهم أحباء الله والصفوة من خلقه وأوليـــــاؤه الصالحـــــون، **"وما كانوا أولياءه، إن أولياءه إلا المتقون"**.

فليرب شبابنا نفسه دائما، على روح الاستقلالية في الرفض والقبول، القائمة على العلم الصحيح بكتاب الله وسنة رسول الله صلى اله عليه وسلم، فقد أثر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:" يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء... أقول قال رسول الله...تقولون قال أبو بكر وعمر؟!".

فلا أحد يملك العصمة وفصل الخطاب، فيأمر من أمور الدين، مهما تكن غزارة علمه ومرتبة صلاحه وذيوع صيته، إلا صاحب الرسالة: صلوات الله عليه وسلامه، ورحم الله إمامنا مالكا، حيث قال:**"كلكم راد ومردود عليه، إلى صاحب هذا القبر"**.

هذا، وإني إذ أعلن ،على بركة اله، الافتتاح الرسمي لملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين، لا يفوتني أن أشير إلى مصادفته لحلول شهر محرم، الذي عرف أول هجرة إلى الله، فكان فاتحه عهد جديد للإسلام وللبشرية جمعاء، إذ منه تحررت العقول من كابوس الجاهلية، وتحررت الأيدي من القيود والأغلال، وتفتقت الطاقات، فبهرت بصنعها العالمين، وأدعوا الله، جل وعلا، أن يجعل من هذه

المصادفة المباركة داعي بشرى وفاتحة خير، راجيا لأعمال هذا الملتقى النجاح والتوفيق، ولكم -معشر الضيوف الكرام- إقامة طيبة، في مركز بوحنيفية، المشهور بعلاج مياهه المعدنية للأمراض الجسدية، والذي يصبح -إن شاء الله- طيلة وجودكم فيه، روضة تنتعش فيها الأرواح والأبدان سويا!..

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

من أقوال الأستاذ بوعلام باقي
-رحمه الله-
من كتابه لقمانيات

1- الفتنة أشد من القتل

فالفتنة لا تدخل مجتمعا إلا فككت أوصاله، وفرقت جمعه، وشتت شمله، وما حلت بأرض إلا ذهبت بأخضرها ويابسها، ابتلي بها أقوام قبلنا فلم يفلحوا، وسقط فيها بعض السلف فأهلكتهم وصيرت الحكم فيهم ملكا يورث بعد أن كان خلافة وشورى، وكان المسلمون أمة واحدة فافترقوا إلى طوائف متناحرة ومذاهب متنافرة ولم تغن الإسلام ولا المسلمين فتنهم شيئا، بل انقلبت أحوالهم إلى أسوإ ماكانوا عليه.

2- لا إكراه في الدين"

من الصفات الأساسية للداعية في الإسلام أن يكون ذا مكانة علمية فيما يدعو إليه وأن يلزم سبيل الإقناع بالحجة والدليل لا سبيل الإكراه البدني أو الروحي لحمل الناس إلى ما يؤمن به، فالتسامح قاعدة أساسية في ديننا لا ينكرها إلا جاهل لهذا الدين الحنيف الذي فرض أن تعم كل المسلمين في معاملاتهم مع بعضهم وفي معاملاتهم مع الغير.

4- الاشتراكية في الإسلام

اختيارنا الاشتراكي يقينا منا أن هذا المذهب في الحياة جاء به الإسلام قبل غيره، وأن الاشتراكية لا تنتمي حتما للماركسية التي يأبى القوم إلا أن ينسبوا كل اشتراكية إليها، وما فتئنا نصدع بين الملأ أن اشتراكيتنا إسلامية وليست غير ذلك.

5- اذهبوا فأنتم الطلقاء!

بهذه الكلمات عفا الرسول الأكرم ﷺ على كفار قريش عندما فتح المسلمون مكة لكن الرحمة أذهبت الغضب، والصفح تغلب على الحقد والضغينة.

ليت صاحبنا أدرك وياليت رفاقه أدركوا أن اللباس لا يصنع القديس، وأن الذئب سيبقى ذئبا مهما تنكر، وأن القط سيبقى قطا مهما تنمر.

6- الإسلام دين التآخي و التآلف
لا دين التنافر والتخالف*

إن الإسلام جاء صراطا مستقيما ولم يأت سبلا، وجاء نهجا واحدا ولم يأت شيعا، وأعلن على لسان الكتاب المنزل براءته من الذين فرقوه دينا واتخذوه مطية لزرع الضغائن والأحقاد وإثارة

7- الإسلام دين التطور
لا دين الجمود*

فما على علمائنا إذا خلصت نيتهم للعمل النافع إلا أن يسلكوا في بحوثهم ودراساتهم ذلك النهج القويم الذي اهتدى إليه غيرهم من الذين تشهد لهم الإنسانية بالباع الطويل في البحث مع العلم، إن الإسلام هو الدين القيم الذي يجد فيه كل باحث أينما وجد ومتى وجد ضالته المنشودة.

8- متى كان الدين عسرا يا قوم؟

إن الله شرع الرخص كما شرع العزائم، وهو يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، وسكت سبحانه وتعالى عن أشياء رحمة بعباده غير نسيان وهو دائما يريد بهم اليسر ولا يريد العسر، وكل من جحد هذا فأقل ما يقال فيه أنه أخطأ الفهم في الدين القيم الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ وإن صلى وصام.

11- النظام الإسلامي للمجتمع

إن الإسلام يتميز عن غيره من الأديان بأنه دين قنن للأخذين به حياتهم الاجتماعية حسب مبادئ أوردها القرآن في آيات بينات هي في معظمها تدعو إلى نمط من الحياة الاجتماعية لو طبقه المسلمون لكانوا في غنى عن كل النظم الاجتماعية والاقتصادية المستوردة.

فما أسعد الناس في كنف الإسلام وما أبعد المسلمين عن فهم معانيه وحسن تطبيقه، فليراجعوا أنفسهم لعلهم يهتدون.

12- هل الإسلام باللباس ؟

فإن الإسلام ينفي عن نفسه الرهبانية بلباسها وغير لباسها، فالمسلم لا يتميز بلباسه عن غيره، وغير المسلم لا يصبح مسلما إذا تزين بما يتزين به المسلمون هنا وهناك، إنما الإسلام عقيدة وسلوك، إنه ما وقر في القلب وصدقته الجوارح.

13- بين المساواة والتساوي

فللرجل ما ينفرد به دون المرأة، وللمرأة ما تختص به دون الرجل وقضى الله أن يكونا متكاملين حتى أن أحدهما لا يمكنه أن يستغني عن الآخر في كثير من أحواله.

فأيما امرأة تحاول أن تتساوى بالرجل فيما خص به هذا الأخير إنما تسعى لمخالفة ما جعله الله أمرا مقضيا ولن يتحقق لها هذا ولو بذلت ما بذلت وبدلت ما بدلت، فالرجل رجل بقوامته إلى يوم الدين، والمرأة امرأة بما أراده الله لها إلى يوم الدين، وإلا فسدت النواميس واختلت الموازين فحل غضب الله وسخطه.

15- حذار من الغلو

وإن العبد متى صلح قلبه فتطهر من الرجس وامتلأ خشية من الله وإيمانا لا تحط من قدره عند الله صورة ولا يهبط أجره لباس. أما إذا فسد قلبه وجاء بعبادته رياء ومكابرة ونفاقا فلا ينفعه عند الله مال يكسبه ولا لباس يرتديه ولا صورة يظهر بها لأن الله لا ينظر إلى صور عباده ولا إلى أجسادهم بل ينظر إلى أعمالهم وقلوبهم ففيها الخبر اليقين ومنها الحقيقة تستبين وإن الله ليعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

16- حظ اللائكية في بلادنا

وتتويجا لهذا شيدت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بجامعها الأعظم ومختلف المعاهد التابعة لها المتخصصة في علوم الشريعة وأصول الدين والثقافة الإسلامية فعمت التربية الدينية كل مستوى من مستويات التعليم وساهمت ملتقيات الفكر الإسلامي في انتشار الوعي الديني وتهيئة الظروف لهذه الصحوة الدينية المباركة التي نعيشها وأزدان ميدان التشريع بقانون الأسرة المستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية التي يمكن أن يعتبر باكورة تطبيقها.

17- اتقوا الله في بيوت الله

إن المساجد ليست ملكا لأحد من البشر وليس لأي كان أن يتصرف فيها فيما لم تؤسس من أجله، فلا الدولة تملكها ولا الأشخاص ولا الجماعات ولا الجمعيات مهما كان منبعها ومهما كان مشربها، وإذا أتيح للدولة أن تتصرف في عمارتها فإن هذا بحكم السلطان لا بحكم الملكية.

18- العمل الإسلامي بين الحكمة والتهور

تقليدا لا يهتم بمقام ولا يكلف نفسه اختيار ما يليق به من مقال، ولولا جماعة من العلماء المصلحين الذين كرسوا حياتهم في خدمة الدين وأفنوا أعمارهم في إرشاد الناس وهديهم إلى الصراط المستقيم بدراية وحكمة لضاع ما بقي من الدين بين من يفتي بغير علم ومن يدعو بغير حكمة، ولوقع العامة من المسلمين في فخاخ العابثين بالدين الزاهدين في معرفته.

19- بين المحكم من القرآن والثابت من الدستور

وأوبئتها، فالعاقل الكيس من عباد الله من أخذ بالمحكم واجتنب كل أسباب الفتنة، ومن شر أسبابها جهل المرشدين وتأويل الجاهلين لما هو حق من رب العالمين، فصيروه محل خلاف بين الناس، ولما كان يقينا عند الأولين فجعلوه محل شك عند المتأخرين، فلا آيات الله سلمت من التحريف ولا الأحاديث النبوية الصحيحة نجت من التضعيف، والقول

22- نحن والآخرون

وإن جبهة التحرير الوطني قد وضعت اللبنة الأولى في تطبيق الشريعة الإسلامية فسنت للمجتمع قانون الأسرة المستمد كله من الشريعة نصا واجتهادا فهل تستطيع الأحزاب الأخرى إخضاع إتباعها إليه رضا بالإسلام وما جاء به من الشرع ؟ إن ما ننتظر من جواب سوف تقدمه لنا غدا وإن غدا لناظره قريب.

23- بين التغيير والتبديل

وإن أخوف ما أخافه على الدين نشاط الذين جعلوا من أنفسهم أوصياء عليه يرمون مخالفيهم بالمروق ومعارضيهم بالردة! فيكفرون حتى من هو أسلم منهم عقيدة وأقوم سلوكا وأقوى تمسكا بالدين وابتدعوا هم الآخرون رهبانية جديدة لا يقرها الإسلام وكهنوتا المسلمون في غنى عنه عملا بوصية رسول رب العالمين: "أن صلوا خلف كل من قال لا إله إلا الله" "وأن لا رهبانية في الدين".

24- الإسلام والناس

لكل عقيدة مؤمنون بها يدافعون عنها بحماس، يناضلون من أجل تثبيتها بين الناس فينظمون حياتهم في إطار مبادئها ومفاهيمها ولا يرون لأنفسهم عيشا ولا سعادة في غير ظلها إلا الإسلام وهو أكبر من أن يكون مجرد عقيدة.

25- الحريات الفردية ما يقبل منها وما لا يقبل

﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ فالحريات الفردية مضمونة في الإسلام غير إنها إذا خرجت عن حدها فمست بعقيدة الآخرين أو بتقاليدهم وقيمهم الموروثة من دينهم أو حتى من قواعد الآداب العامة فلا شك أن ما يترتب عن هذا الخروج من ظلم للناس ومن تعد على أمنهم وطمأنينتهم يفرض تقييدها وردها إلى ما هو حق، فلسنا نعيش في مجتمع بدائي وفي عصر جاهلي لنقبل تصرفات من بعض القوم تعود بنا إلى الجاهلية

26- مسلمون لا إسلاميون

فكيف نقبل تسمية غير التي وصفنا الله بها في كتابه العزيز فيقول عز من قائل : ﴿**ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل**﴾[3]. وكيف نرضى بتسمية غير التي أمرنا الله تبارك وتعالى أن نشهد الناس بها. فقال في محكم تنزيله : ﴿**فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾[4] فلندفع عن ديننا ما لا يليق بمنزلته وقدره ولا نتبع أهواء من أضلونا فنقلنا قواعد لغتهم إلى لغتنا ونحونا طريقة تفكيرهم في تفكيرنا صوابها وخطأها.

وإني لأبقى مدهوشا حين أسمع بعض من يظنون أن ما يعبر عنه بالصحوة الإسلامية يعني الإسلام مثلما يعني المسلمين، كما لو كان الإسلام ينام ويصحو وما هي إلا صحوة المسلمين الذين طال سباتهم فظنوا إن الإسلام مجرد عبادات لا يتعدى فيما يخص المجتمع الخطاب على المنابر وزيارة المقابر ونسوا أنه دين عزة وسيادة، ومجد وقيادة.

27- في الإسلام الحل ومنه الحل وليس هو الحل

إن بعض الناس من الذين لا يقدّرون معاني الألفاظ ولا أبعاد التعابير يرددون في شعاراتهم : "الإسلام هو الحل"، وهذا في نظري استخفاف بمكانة الإسلام وحط من قدره، إذ الإسلام جامع لكل أمر. ليس لرسالته حصر فيه تكمن الحلول للمشاكل القائمة دينيا واجتماعيا وحتى سياسيا، ومنه تؤخذ ومنه تقتبس. أما أن يكون هو الحل، شأنه شأن النظم الاجتماعية المعروفة وغير المعروفة مثل الرأسمالية والاشتراكية والليبرالية واللائكية والإلحاد، أو يعتبر بديلا عنها. فهذا ما يتناقض أصلا مع قدسية الإسلام وهذا انتقاص في حقه. فهو دين الله الذي شرعه للناس جميعهم وقال في حقه ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[5].

28- أبعد هذا نطمع أو نغتر ؟

وإذا كانت هناك دول تعمل جاهدة لتحوز السبق في الميدان العلمي والحضاري والعمراني فإن الدول الإسلامية أولى بذلك إذا كانت تعتقد حقا أن الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس وكيف تحوز هذه المرتبة إذا حكمت على نصفها بالشلل وأبعدت المرأة عن ميدان الحياة العامة وإذا كانت المرأة قريبة من ربّها وهي في قعر بيتها فهذا لا يمنعها من أن تكون قريبة من ربها وهي خارج البيت تشاطر الرجل معركة الحياة

30- كيف نفهم الاجتهاد ؟

أما الصحوة المزيفة التي تهتم بالمنظر والمظهر، بالصورة والملبس وتريد من المجتمعات الإسلامية أن تعود إلى عادات في العيش طواها السجل الزمني وأبلتها العصور مثل الأكل باليد ولحس الأصابع بعده وأشياء أخرى كثيرة مثل هذا، وتولي دبرها للتقدم العلمي فما هي إلا تضليل وتجهيل وتزييف وقضاء على قابليات التكيف والعصرنة التي يتميز بها دين الإسلام والتي حسب ما أذكر قال فيها الإمام علي كرّم الله وجهه : "ربوا أولادكم... فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم".

31- الدين المحرّر

فهل تتحرر عقول المسلمين اليوم من الأدران التي علقت بها فينهضون بالإسلام مثلما نهض به أسلافهم أم يبقى كثيرهم مشتغلين بالقشور عن اللب وبالظواهر عن الجواهر راضين بالتبعية لغيرهم تاركين له أسباب العزة التي من الأولى أن تكون لهم لو كانوا يعقلون، فإن سنة الله لن تتبدّل وأن التاريخ ليعيد نفسه ولا قوة تنتظر إلا بفضل العقل المبدع الخلاّق ولا حياة ترجى إلا بنبذ الخرافات والأساطير وترك الرهبانية المبتدعة التي أدخلها مرضى القلوب والعقول.

33- الدين المعاملة

ومن البديهي أن الدين لا يقام على غير قواعده التي بيّنها الله في كتابه والرسول في سنته، فالإسلام هو الدين السمح الذي لا إكراه فيه ولا عدوان، الدين الذي يحث على الإحسان ولو في الدعوة إلى سبيله والرد على أعدائه، إذ الحسنى تستميل القلوب بقدر ما تنفرها الغلظة

34- عمل المرأة

فهل من المعقول أن يطرح السؤال "من أباح للمرأة العمل ؟" والعمل من طبيعة الخلق مثل الطعام والشراب. إن السؤال الذي ينبغي أن يوجه لأولئك الذين يجادلون في عمل المرأة ويريدون أن يحرموها من حق مشروع لها هو هل توجد آية قرآنية أو حديث شريف يمنعان المرأة من العمل ؟ أمّا آية ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾ فهي من ضمن الآيات الواردة في الخطاب الموجه إلى نساء النبي ﷺ من سورة الأحزاب وهي : ﴿**يا نساء تبرج الجاهلية الأولى**﴾ إلى آخر الآيات.

35- الدين الكامل

وما سوى ذلك فهو من شؤون الدنيا وأمورها التي قال فيها النبي ﷺ بأننا أدرى بها، وهذا يعني أنها تعالج في كل مجتمع بما هو أصلح له وأفيد، وإذا علمنا أن أسلافنا نظروا إلى أمور دنياهم بتفكير زمانهم فما يمنعنا اليوم من أن ننظر إلى أمور دنيانا ما استجد منها وما ورثناه عنهم بتفكير زماننا ما دامت القضايا هذه كلها اجتهادية تبقى خاضعة للقاعدتين المشهورتين أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يأت تحريمها بنص صريح من القرآن أو النهي عنها في صحيح ما روي عن النبي ﷺ

36– كيف نفهم الدستور ؟

وما دام الهدف الرئيسي للدستور هو ترسيخ دولة القانون فيتعين العمل مستقبلا في اتجاه القانون لجعله يتماشى مع أحكام الشريعة الإسلامية في نصه وروحه، فما كان منه صالحا لمجتمع إسلامي أبقيناه، وما كان غير ذلك درسناه وأعدنا صياغته، وليس كل علماء الدين يرون نفس الرؤيا لكثير من الأشياء، وخلافهم كما يقال رحمة للعباد،

37– التربية أولا

كان رائد النهضة الإصلاحية في بلادنا وفقيدها شيخنا الإمام عبد الحميد بن باديس يوصي أصحابه بالتركيز على التربية لدى الطلبة الناشئين وتزويدهم ثانية بما ينفعهم من العلم، وهذا وجه الصواب فالتربية أساس كل استقامة ولا تتقدم الأمم دون أن تشمل التربية جل أفرادها إذا لم يكن كلهم، أما التعليم فيكفي فيه ما ينال منه الكثير لينمي معرفته أو يرفع عنه أميته، وما يحصل منه القليل على ما يؤهله للقيام بما يسند إليه من

38– (الإسلام دين الله لا هو متطوّر.. ولا متحجّر.. ولا طيّع متغيّر)

ألا فليعلم هؤلاء وأولئك أن الإسلام في يسره وسماحته رضيه الله للناس دينا وأكمله لهم برسالة خاتم النبئين سيدنا محمد ﷺ وجعله صالحا لكل زمان ومكان، فكل من أراده متطورا أو متحجرا أو طيعا متغيرا ليس على هدى من الله وما هو إلا من الذين فسدت قلوبهم فانكشفت عيوبهم لئلا يغتر بقولهم مغتر ولا يلجأ إلى رأيهم مضطر.

41- أيها المدافعون عن الحريات من أين أنتم ؟

وإن حرية التعبير وحرية المعتقد وحرية الرأي وحرية التنقل وكل ما تضمنه دستورنا اليوم من حريات وحقوق كل هذا ليس بغريب عن أمة القرآن عرفته مع نزوله وطبقته في حياتها

فكانت الأعمال مأجورة والحريات مقدورة لا يتعدى فيها أحد على الآخرين، ونحن قوم لا تخيفنا لا حرية التعبير ولا حرية المعتقد فكلتاهما من كلام القرآن ومضمونه، ومن منطوقه ومفهومه فلا يخشى حرية المعتقد من يقرأ آية ﴿لا إكراه في الدين﴾

42- الصيام فرقنا، فهل العيد يجمعنا ؟!

وليس من الحق أن نترك ما يبينه علم الحساب الفلكي فلا نستعين به ولا نرجع إليه باتخاذه سند للرؤية العينية جمعا بينهما، وبهذا نوفق بين القاعدة الفقهية التي هي الرؤية بالعين والحقيقة العلمية التي هي الحساب، إزالة لكل شك من شأنه أن يفسد الصوم كما هو معلوم من الشرع.

43- كيف نفهم التسامح ؟

وعلى هذا الأساس فإننا ندعو كل من يعايشنا بهذه الأرض الطيبة التي زكتها دماء الشهداء على مختلف العصور إلى كلمة سواء تتمثل في احترام الثوابت التي وردت في الدستور، وترك الفواحش ونبذ التجاهر بالمعاصي وصون الكرامة الإنسانية بالابتعاد عن التبرج ومظاهر الخلاعة فإذا ما تحقق هذا عند الجميع عاش الناس في أمن وشاعت بينهم روح التسامح وأكثر من هذا شملتهم الأخوة والوئام وإلى مثل هذا فليعمل العاملون.

فتعالت أصوات تنادي بما يبعدنا عن هويتنا وأخرى تطالب بإلغاء القانون الوحيد الذي تشم منه رائحة الشريعة الإسلامية ويبقينا في حظيرة الإسلام جسما وروحا لا بمجرد الانتساب والاسم الموروث وإن الحبل الذي تستمسك به اللواتي يتطاولن على قانون الأسرة و يطالبن بإلغائه لأوهى من خيط العنكبوت. فشرع الله في عباده أقوى وأعلى من كل قانون .....

ولا أحسب النسوة اللائي يطالبن بالمساواة مع الرجال في العصمة والميراث وغير ذلك من الترهات التي يأتين بها استنادا إلى تعاليل زائفة ولا يرضين بقانون الأسرة وما فيه من أحكام مستمدة من شرع الله، لا أحسبهن إلا من ذلك الصنف الذي أفقده طيشه كل تمييز بين الرشد والغي وبين المعقول واللامعقول لا سيما وأن للمرأة عندنا حقوقا أكثر مما تعرفه المرأة في كثير من المجتمعات في الغرب أو في الشرق.

48- لنتكلم عن الشفافية وحرية التعبير

فالشفافية حين تساعد على إظهار حقيقة العمل الإداري والحكومي صالحه وطالحه وكشف الغطاء عن مظاهر الفساد والإفساد، وإبراز كل ما من شأنه أن يزيد المواطن وعيا وإدراكا ويدفعه إلى تسخير جهوده لما ينفع الناس وإلى التحلي بما هو أفضل وأقوم عند الله بترك العجز والكسل والتواني في العمل، ونبذ الاتكال على الغير والمطالبة بما يستحيل تحقيقه فهي من أمور ديننا وإن لها قدرا عندنا ومكانا في قلوبنا يجعلنا نرعاها حق رعايتها، وندعو لها بطول حياتها وتحقيق غاياتها. وأما حرية التعبير فلا يمكن أن يحكم لها أو عليها إلا بحسب ما يتبعها من ممارسة فهي مثل اللسان حيث يكون خير ما في الذات البشرية إذا استعمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الإصلاح ويكون شر ما فيها إذا استعمل في عكس ذلك.

49- مع الأيام

لكن ما نريده ونلح عليه تأصيلا للذهنيات هو أن لا يغيب عن الأذهان أن حقوق العامل وحقوق المرأة ضمنها الإسلام فجعلها من الدين وإنه لفي ضلال من يعتقد أن الإسلام صلاة وصوم وزكاة وحج، وأن ذمته تبرأ بها إذا حافظ عليها فينال عند ربه أحسن الدرجات ولو لم يرع ما بينه وبين الناس وما عليه من الواجب نحو غيره.

50- الإسلام ليس خيارا ولا العربية

وإن ما يطرح اليوم من قضايا في هذا الميدان لم يفكر فيه قط سلفنا الصالح من عرب وأمازيغ ولا رأوا فيه نقطة خلاف بينهم في يوم من الأيام إذ كان للغة العربية مقامها وقدرها لا ينازعها فيه لغة ولا لسان وكان للأمازيغية مكانتها وحق استعمالها كلسان فالإسلام واللغة العربية نعمتان أكرمنا بهما

فالإسلام بالجزائر ليس خيارا ظرفيا ولا اللغة العربية و هما للشعب بمثابة الروح للجسد لا تفارقه إلا عندما يفارق الحياة.

وإذا كانت الديمقراطية الدستورية بالتي تصرفنا عن صراط الله المستقيم فتبا لها من ديمقراطية، وإذا كانت التعددية الحزبية بالتي تعرقل صحوتنا الإسلامية أو توقف مدها الميمون، فسحقا لها من تعددية.

46- المجتمع الجزائري في مفترق الطرق

حتى أصبحت عندنا التجارة مضاربة في الداخل، وتهريبا إلى الخارج أو تسويقا لما يستورد منه خلسة فأصبح هو الرائج وإن الأزمة التي تتخبط فيها بلادنا تعود إلى ثلاث محاور أساسية، هي إنتاج ناقص واستهلاك مفرط وإنجاب متزايد، وإن علاجها يكمن في القضاء عليها بفرض أضدادها.

51- هل إلى السلام من سبيل ؟

إن الدارس لوضع بلادنا المتتبع للأحداث والمحلل بها تحليلا موضوعيا غير متحيز لا يسعه إلا أن يعترف بأن الإسلام هو المقوّم الرئيسي لمجتمعنا لا يحي إلا به ولا يموت إلا عليه. وإن جماهيرنا سواء التي تعيش بالمدن والتي تعيش بالأرياف والبوادي، ما فتئت تنادي بأن أدنى مطلب لها هو أن يبقى الإسلام دينا للدولة وثابتا من ثوابت الأمة، وتتطلع إلى ما هو خير فاستبشرت بقانون الأسرة واعتبرته اللبنة الأولى في تحكيم الشريعة الإسلامية .....

..... وإنها لدعوة صادقة إلى أبناء الشعب وبناته أن تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وأن اصنعوا مثل ما صنع أجدادكم وآباؤكم الأمجاد ولا تصرفتكم عن ذلك الأحقاد وقوموا يدا في يد إلى ما يرفع شأن البلاد ويسعد العباد .....

53- مشيخة أم شيخوخة قبل الأوان ؟

وقد قيل قديما إن الشريعة ما أفسدها إلا علماء السوء ورهبانها ومن حقنا اليوم أن نقول إن الشريعة ما أفسدها إلا إنصاف العلماء والجهال المتطفلون على العلم وإن مجتمعنا ما أفسده إلا اثنان شيخ يتصبى وشاب يتمشيخ فضاع، من الأول وقاره وأضاع الثاني حيويته ونشاطه، فانعكس على المجتمع بواره، فمتى يُذهب الله عنّا رجس الاثنين ويومئذ يفرح المؤمنون.

55- والصلح خير

فلا غرو أن العفو والصفح وإصلاح ذات البين مجلبة للخير، مدعاة للتسامح الذي يُلين القلوب، والقلوب إذا لانت غمرتها الرحمة والمحبة فلانت لبعضها، .....

وما كان صالحا للأفراد في إصلاح ذات بينهم وتأليف قلوبهم يصلح لا محالة للجماعات في تطييب نفوسهم وتحسين علاقتهم فتسكن الضغينة وتزول الأحقاد، .....

إذا استفحل وتطوّر بحيث أصبح صراعا وقتالا فلا مناص من اللجوء إلى حسم الأمر بما يجعل له حدا، .....

فالسلم ضالة المؤمن مهما كانت الظروف والأحوال ولو كان الطرف المحارب من الأعداء!

56- إنما الأمم الأخلاق

..... وما من أمة فرطت في أخلاقها إلا حاق بها المكر السيئ

وكتب لها الله شرّ العاقبة وكل مجتمع يتميز عن غيره بما له من خصائص. وخصائص المجتمع الجزائري أنه مجتمع يدين بالإسلام وبهذه الميزة كان لزاما عليه أن يخضع للنظم الإسلامية، فالإسلام بخلاف الأديان الأخرى له جانب تعبدي وجانب تشريعي وجانب اجتماعي أخلاقي، وبفضله انقلب المجتمع العربي الجاهلي إلى مجتمع يسود فيه الإيخاء والعدالة والحرية والمساواة وغير هذا من الصفات الحميدة.

57 – ويح الأمة من المترفين

...وليحذر الذين أغناهم الله بمال أو متاع أن يوقعوا أمتهم وأنفسهم في شر المال، فالله يمهل ولا يهمل ويوتي المتقين في الخير خلفا والمتلفين أموالهم في الشر تلفا ونسأل الله أن لا يترك من هذا الصنف لا سلفا ولا خلفا.فقي بقائهم بيننا شقوتنا وفي كل نشوة من نشواتهم محنتنا، ولا خير يرجى ما داموا بيننا يعيثون في الأرض فسادا، ولا يرضيهم أن يجعلوا مالهم لخير البلاد زادا.

ملحق الصور

المدرسة الرسمية بتلمسان سنة 1941

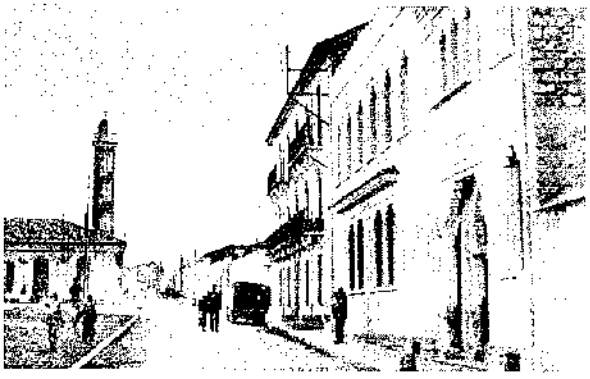

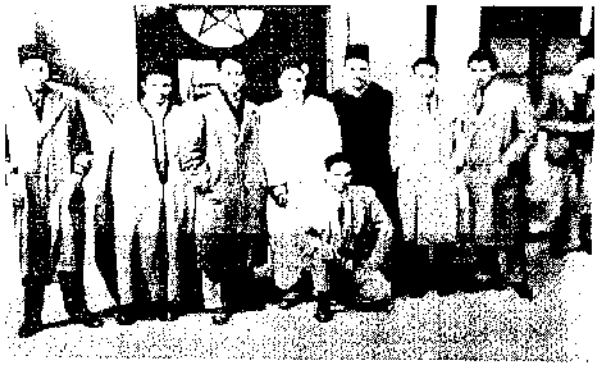

مدرسة الفتح – سطيف–

مع ابنه سنة 1948

الراحل بوعلام باقي وزيرا في الحكومة الجزائرية

الراحل بوعلام باقي مع الملك فهد

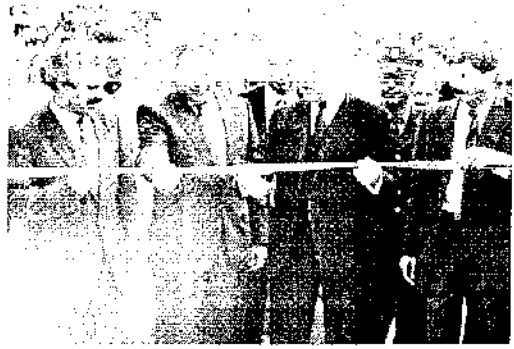

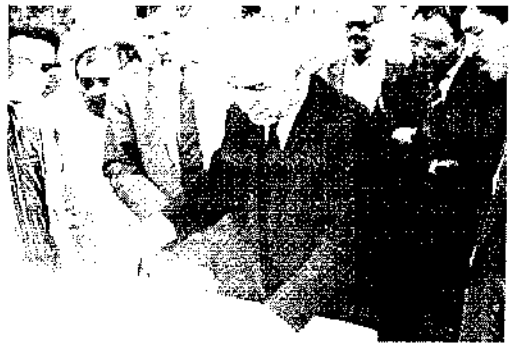

نشاطاته الوزارية

الراحل بوعلام باقي في بيت من بيوت الله

الراحل بوعلام باقي في الحج

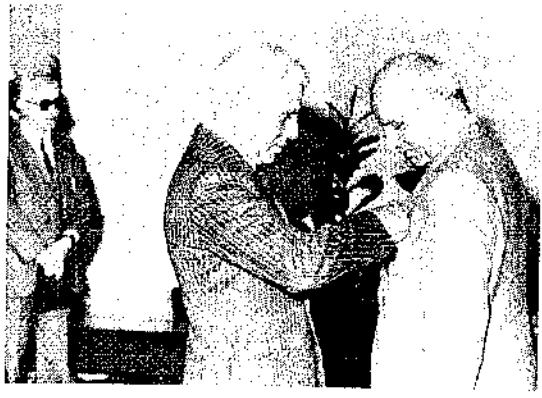

الراحل بوعلام باقي يتلقى وسام استحقاق من الرئيس الشاذلي بن جديد

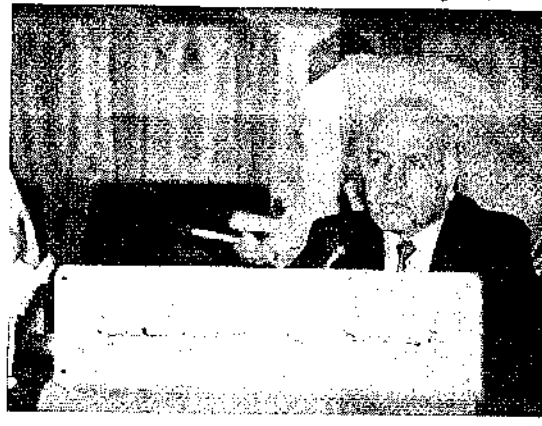

الراحل بوعلام باقي في ملتقى

الراحل بوعلام باقي مع وزير الصحة عبد المالك بوضياف

الراحل بوعلام باقي مع ممثلين دبلوماسيين من الخليج

صورة للراحل بوعلام باقي

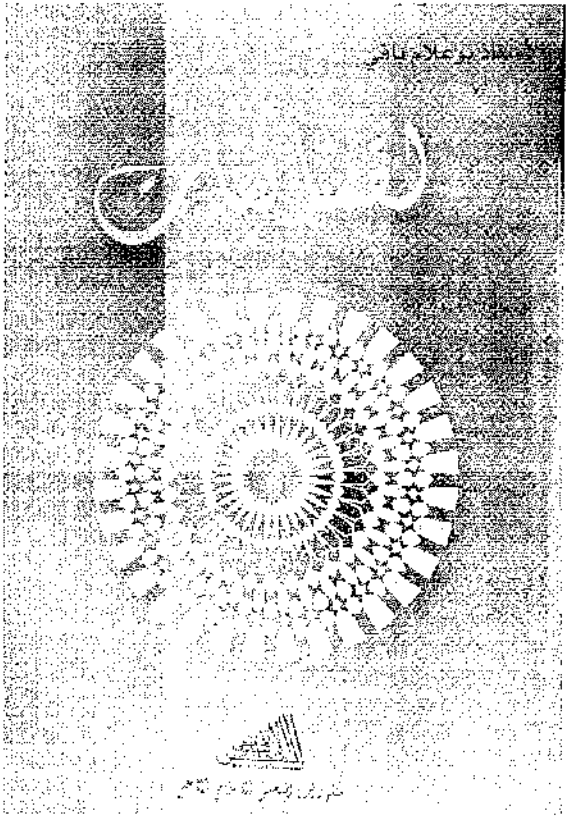

صورة لكتاب الراحل بوعلام باقي

فهـرس الكتـاب

* كلمة مدير الجامعة – أ.د. السعيد دراجي 005

* كلمة نائب مدير الجامعة — الأستاذ: عزيز جداد 008

حياتـــه وشخصيتـــه

* محطات في حياة المجاهد بوعلام باقي

أ.د. شكيب أرسلان باقي..... 011

نضاله وجهاده في حرب التحرير

* المجاهد بوعلام باقي ونشاطه في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية

د. محمد السعيد قاصري 039

الراحل بعد الاستقلال من ممثل لشعب إلى رجل دولة

* جوانب من النشاط الإصلاحي للشيخ بوعلام باقي

د. فوزية لوصيف..... 061

أصالته وإسهامه الفكري والعلمي

* إسهاماته الإسلامية خدمة لقيم الوطن وتقوية لهويته

أ.د. كمالي لدرع 084

* المرأة في الخطاب الإصلاحي عند بوعلام باقي من خلال كتابه لقمانيات.

د. زكية منزل غرابة..... 099

* تجليات الوسطية والاعتدال في فكر بوعلام باقي من خلال كتابه "لقمانيات".

د. سعاد رياح 112

* موقف الأستاذ بوعلام باقي من الغلو والتطرف من خلال كتابه لقمانيات.

د. لحلح الزهرة + مصطفى ويداح (طالب دكتوراه) 128

* نظرة الأستاذ بوعلام باقي إلى الحريات الفردية

أ. ليلى إبراهيم عدواني 137

* البعد الحضاري للعلوم الإنسانية لدى بوعلام باقي اسهاماته المعرفية في ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر- د. ليلى فيلالي 145

* من ملامح التربية الأخلاقية عند بوعلام باقي

د. سوالمي فاطمة الزهراء..... 164

* خصائص الإسلام في فكر بوعلام باقي من خلال كتابه لقمانيات

د. سعاد دوفاني 174

شهادات وآراء

* بوعلام باقي في بعض الكتابات التاريخية المحلية

د. بشير فايد 185

* حياة المجاهد والوزير بوعلام باقي مع شهادات حول مساره

أ. لخضر بوطبة 200

* كلمة افتتاح للراحل بوعلام باقي عضو المكتب السياسي، وزير الشؤون الدينية سابقا في ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين..... 209

* من أقوال الأستاذ بوعلام باقي -رحمه الله- من كتابه لقمانيات..... 222

* ملحق الصور 238

* فهرس الكتاب 245